سيرة ومسيرة..

علماء ومواقف بين ثوابت
الدين وعواصف السياسة

فهرسة أثناء النشر / إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، إدارة الشئون الفنية

عبد السلام، رضا
سيرة ومسيرة.. علماء ومواقف بين ثوابت الدين وعواصف السياسة
نيوبوك للنشر والتوزيع
17 × 24 سم
تدمك: 9789779960234
رقم الإيداع: 20332/2019
1 ـ الرجال ـ تراجم
2 ـ الإسلام ـ تراجم
أ ـ العنوان

دار النشـــر: نيوبوك للنشر والتوزيع
عنوان الكتاب: سيرة ومسيرة.. علماء ومواقف بين ثوابت الدين وعواصف السياسة
الـكـاتـب: رضا عبد السلام
رقم الطبعة: الأولى
تاريخ الطبع: 2020

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناشر

NEW BOOK
نيو بوك للنشر و التوزيع

ويحظر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملًا أو جزئيًا، أو تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناشر الخطية الموثقة

نيوبوك للنشر والتوزيع
6 عمارات الدفاع الوطنى ـ حدائق القبة ـ القاهرة
تليفون: 01092673274
newbooknb@gmail.com

رضا عبد السلام

علماء ومواقف
بين ثوابت الدين وعواصف السياسة

سيرة ومسيرة..

تقديم
أ.د عمرو شريف

NEW BOOK
نيو بوك للنشر و التوزيع

الإهـــــداء

إلى أسرتى
زوجتى التى حملتنى ومازالت على راحتيها زمنًا
ابنى عبد الرحمن.. ابنتى أفنان..
زهرتاى فى دنيا الحياة

المحتويات

الإهـــــداء ٥

تقديم سلسلة «سيرة ومسيرة» د. عمرو شريف ١١

مقدمة ٢١

الأستاذ الدكتور الأحمدى أبو النور.. ..... ٣٥

الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ٧٣

الأستاذ الدكتور/ محمود محمد مزروعة ١٠٥

أكبر علماء الأزهر سنًا فضيلة الشيخ معوض إبراهيم ١٦٥

العلامة الدكتور أحمد طه ريان ١٧٩

فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف شيخ مقارئ مصر ٢٠٥

الأستاذ الدكتور محمد المختار المهدى الرئيس العام للجمعية الشرعية
للعاملين بالكتاب والسنة ٢٢١

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العدوى ٢٣٧

ختاما ٢٥١

ملحق الصور ٢٥٥

الكتاب الأول «سيرة ومسيرة.. علماء الدين بين ثوابت الدين وعواصف السياسة»

ـ الأستاذ الدكتور الأحمدى أبو النور... وزير الأوقاف الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء.

ـ الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم.. رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب الأسبق ورئيس جامعة الأزهر الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء.

ـ الأستاذ الدكتور محمود محمد مزروعة عميد كلية أصول الدين الأسبق وأستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر.

ـ فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم... أكبر علماء الأزهر سنًا توفى عن ١٠٦ أعوام.

ـ الأستاذ الدكتور أحمد طه ريان عميد كلية الشريعة والقانون وشيخ المذهب المالكى فى العالم الإسلامى وعضو هيئة كبار العلماء.

ـ فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف شيخ المقارئ المصرية السابق وأحد أهم علماء القراءات فى العالم.

ـ الأستاذ الدكتور محمد المختار المهدى أستاذ الدراسات العليا بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بجامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية وعضو هيئة كبار العلماء والرئيس السابق للجمعية الشرعية.

تقديم سلسلة «سيرة ومسيرة»

د. عمرو شريف

لما كنت من عشاق **التاريخ المصرى القديم**، فإن أمتع أوقاتى هى تلك التى أقضيها فى الرحلات النهرية ـ التى يطلقون عليها نيل كروز Nile Cruise ـ بين الأقصر وأسوان وما يصاحبها من زيارة المعابد والمقابر المصرية القديمة. ولعل أكثر ما يثير دهشتى فى هذه الزيارات ما ألاحظه من حرص الإنسان المصرى القديم على تسجيل ليس فقط انتصارات الفرعون على أعداء مصر، بل وأيضًا حرصه على تسجيل أحداث حياته اليومية ونشاطاته الاجتماعية والاقتصادية من خلال «**نقوش على الحجر**» غائرة وبارزة، ورسم وتلوين على أسطحه.

كان دائمًا يدور فى خاطرى التساؤل: كيف لهذا الإنسان الذى لم يكد يفيق من مخاض الحضارة الإنسانية، التى كتب الله عز وجل أن تولد على يديه، كيف تسنى له أن يتجاوز الاهتمام بتأمين المأكل والمشرب والمأوى والتكاثر والأمان من الأعداء، إلى الاهتمام بأن تكون له «**ذاكرة تاريخية**» يحتفظ فيها للأجيال القادمة لآلاف السنين بسجل لحياته ونشاطاته؟

يا إلهى... كم هو رائع أن يكون الحرص على الذاكرة التاريخية فطرة متأصلة فى النفس الإنسانية إلى هذا الحد!!!

ويلاحظ القارئ للقرآن الكريم حرصه على أن ينقل لنا ما مر بالأمم الغابرة وشخصياتها المحورية من أحداث ومواقف، وما تلقته من ثواب وعقاب إلهى تبعًا

لسنن إلهية لا تتبدل، لذلك وصفها رب العزة بقوله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٦٢).

وقناعتى أن «القصص القرآنى» هو الأسلوب الأمثل الذى يستخدمه القرآن الكريم فى تربية النفس الإنسانية على المفاهيم الدينية والأخلاقية والحضارية على السواء. والمتأمل لهذا القصص يجده بمثابة «**ذاكرة تاريخية**» للخبرات والتجارب التى تمر بها الأنماط المختلفة للنفس الإنسانية. وهذه الأنماط ليست قاصرة على بلاد الشرق، كما يبدو من أسماء الأقوام والأشخاص الذين يتناولهم القصص القرآنى، لكنها نماذج إنسانية تكاد لا تترك نمطًا لم تتناوله من أنماط البشر عبر التاريخ وعبر الجغرافيا.

* * *

عندما هممت بتدوين سيرتى الذاتية، قمت بجولة تحليلية لأضع يدى على العوامل التى شاركت فى تشكيل بنيتى النفسية وبنيتى الفكرية، لأطرحها على قارئى. لم يكن غريبًا أن جاء على رأس هذه العوامل منظومة ثلاثية محورها «**الإنسان القدوة**»، متمثلًا فى الوالدين ودائرة الأهل المقربين أولًا، فمعلمى المدرسة والجامعة ثانيًا، ثم شخصيات متميزة تعرفت على أفكارها وتجاربها وشخصياتها وسيرها الذاتية على صفحات الكتب وعبر موجات الراديو والتليفزيون، حتى يمكننى القول بأن جيلنا ومن سبقوه قد تربوا وتثقفوا من خلال عطاءات «**الإنسان القدوة**» الذى يمثل مفكرونا ومبدعونا أحد أهم روافده.

وقد كان قرارى بتدوين سيرتى الذاتية ـ فى المقام الأول ـ استجابة لدعوة الدكتور عبد الوهاب المسيرى ـ رحمه الله ـ التى طرحها فى تقديمه لرحلته الفكرية، حيث دعا المفكرين لأن يدونوا سيرهم الذاتية حتى يتركوها كمنارات ترشد أبناءنا فى حياتهم، حتى لا يبدأوا من نقطة الصفر.

وباعتبارى أستاذًا جامعيًّا، قمت بتدريس مادة الجراحة لعشرات الآلاف من طلبة كلية الطب مع تدريب الجراحين المبتدئين على ممارسة الجراحة طوال قرابة الخمس وأربعين سنة، فيؤسفنى أن أقول إننى قد عاينت بنفسى تدهورًا مستمرًّا فى

المستوى الفكرى بل والسلوكى لأبنائنا هؤلاء، بالإضافة إلى ما أرصده من تدهور فى الدوائر الاجتماعية المحيطة بى. وإذا كان هذا التدهور يرجع إلى عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية وتعليمية وإعلامية عديدة، فلا شك أن افتقاد «الإنسان القدوة» يمثل عنصرًا مشتركًا فى هذه العوامل جميعها.

* * *

جالت هذه الأفكار عن **الذاكرة التاريخية والإنسان القدوة** فى خاطرى عندما طلب منى أخى الفاضل الأستاذ رضا عبد السلام ـ حجة البرامج الحوارية فى الإذاعات العربية وإذاعة القرآن الكريم ـ أن أقدم لسلسلة كتب تحمل تدوينًا لحلقات برنامجه الأشهر «سيرة ومسيرة» والذى يقوم على حوارات مع قادة الدين والعلم والفكر والفن.

ولا شك أنك الآن ـ القارئ الكريم ـ تدرك لماذا أسعدنى كثيرًا أن استكتبنى أخى رضا هذا التقديم. فهذا البرنامج وسلسلة الكتب التى تنقل محتواه هو بمثابة «**ذاكرة تاريخية**» لأمتنا العربية والإسلامية، تحفظ لنا سيرة ومسيرة وإنجازات شخصيات يحق لنا أن نباهى بها بين الأمم، وهى فى نفس الوقت تمثل مثلًا أعلى وقدوة لفتياننا وفتياتنا وشبابنا وكبارنا يقدم لهم ما صرنا نفتقده بشدة، فى منظومتنا التربوية والفكرية، ذلك أن «سيرة ومسيرة» تلقى الضوء على «**الإنسان القدوة**» الذى صرنا نفتقده مع مسيس حاجتنا إليه؛ وكم كان أبو فراس الحمدانى (٩٣٢ ـ ٩٦٨م)، شاعر العرب وأميرهم وحكيمهم مصيبًا حين قال: «فى الليلة الظلماء يُفتقد البدر».

* * *

القارئ الكريم...

إن كان تقديمى السابق عن أهمية «الذاكرة التاريخية» و«الإنسان القدوة»، وهو ما يمثله برنامج ومدونات «سيرة ومسيرة»، قد انطلق من خبراتى الذاتية، فاسمح لى أن يكون تقديمى لبرنامج وسلسلة كتب «سيرة ومسيرة» ولمبدعها الرائع الأستاذ رضا عبد السلام من خلال تجربتى الشخصية أيضًا:

ترجع علاقتى بالأستاذ رضا إلى سنوات قليلة بحساب السنين، لكنها كانت

كلقاء روحين تصاحبا وتصافيا فى برزخ الغيب فى زمان ومكان لا يعرفهما إلا الله عز وجل، وربما كان ذلك خارج الزمان وخارج المكان.

كان اتصالًا سريعًا من مذيع إذاعى كبير، استمعت إليه كثيرًا وسمعت عنه كثيرًا، يطلب أن يسجل معى بعض الحلقات لبرنامجه «سيرة ومسيرة» الذى يقدمه فى إذاعة القرآن الكريم، ذلك البرنامج الذى يستضيف فيه أعلام الفكر والعلم والفلسفة والدين والأدب، مما أصبغ على هذه الإذاعة طابعًا معاصرًا جديدًا عميقًا. والتقينا فى «كافيه سيلانترو» الذى اتخذه منه صالونًا لى.

لست فى حاجة ـ القارئ الكريم ـ لأن أصف لك الدهشة حين رأيت رضا لأول مرة، فقد كنت أظن ـ كأستاذ للجراحة ـ أن مثل ما يعانيه من إعاقة لا تسمح لصاحبها بتحقيق التفوق الفكرى والتميز المهنى فى مثل هذا المجال. لكنى تجاوزت هذه المشاعر فى لحظة واحدة دون جهد، فأنا أدرك ـ والحمد لله ـ أن الرغبة والإرادة والهمة والمثابرة هى المفاتيح الحقيقية للنجاح وليست القدرات الفيزيائية المادية، عندها انقلب اندهاشى إلى إعجاب وانبهار.

تحدثت إلى رضا عن سيرتى ومسيرتى قرابة الساعتين والنصف، حتى قال فى نهاية اللقاء؛ ليتنا كنا سجلنا حديثك الذى ذكرت. وأهديته كتبى العشرة التى صدرت حتى ذلك الحين، وافترقنا على وعد بلقاء بعد أن ينتهى من مطالعة الكتب والإعداد للحوار.

بعد أسابيع كان لقاؤنا الثانى فى عيادتى بمصر الجديدة، وتكررت اللقاءات حتى أتممنا تسجيل **عشر حلقات** بعد أن كان الاتفاق أن نسجل ثلاثًا فقط.

لم يقف انبهارى برضا عند **حرفيته واحترافه**، المتمثلين فى سعيه إلى مكان ضيفه، حتى ولو تطلب ذلك السفر لمئات الكيلومترات، وفى استخدامه لأكثر من جهاز تسجيل حتى لا تضيع المادة المسجلة بسبب أى خطأ غير متوقع، وفى تدوينه للملاحظات بالقلم الذى يمسك به بين أسنانه أثناء الحوار. أقول إن حِرَفية واحترافية رضا لم يكونا أهم ما يميزاه من سمات، لكن الأهم كان **جديته واحترامه لضيفه وفكره**، اللذين انعكسا فى قراءته لكل ما يتوصل إليه الضيف من إبداعات. لقد بهرنى بحق أن رضا عبد السلام قبل محاورتى حول أى كتاب من كتبى كان يخرج بعض

الصفحات التى دَوَّنَ فيها أسئلته حول أفكار هذا الكتاب، والذى يكشف بيقين أنه قد غاص بين صفحات الكتاب ووصل إلى جوهره ومقصودى منه.

وقد زاد إدراكى لقيمة هذا الجانب من أسلوب رضا عبد السلام، وهو اطلاعه على فكر من يحاوره بمثابرة وإخلاص، عندما قارنته **بخبرات مخزية سابقة** مع بعض معدى البرامج والمذيعات والمذيعين الكبار فى الإذاعة والتليفزيون والفضائيات، حتى إن إحداهن، بعد أن جلسنا فى صالون البث الهوائى وكادت الكاميرات أن تبدأ فى التصوير، حتى سألتنى عن اسمى والمعلومات التى أحب أن تُعرفنى بها، ثم سألت مُعدة البرنامج عن طريق السماعات الدقيقة؛ «هو احنا ها نتكلم فى إيه»؟!!

وما أن تعرفت على رضا، وعرفت **موسوعيته وجديته وإخلاصه**، حتى صرت من مدمنى **متابعة برنامجه «سيرة ومسيرة» كل أسبوع**، وقد اعتدت أن أدون ملاحظاتى أثناء الحوار لأتواصل معه هاتفيًّا عقب كل حلقة، محللًا وناقدًا ومعلقًا، وحتى صرت أسأله عن ضيفه التالى بعد أن تنتهى حلقات أحد ضيوفه. لقد صار الحوار بينى وبين رضا حول حلقات برنامجه من الطقوس الثابتة مساء يوم السبت من كل أسبوع فور انتهاء البرنامج، وإذا تأخرت فى القيام بهذا الطقس بادر هو بالاتصال ليطمئن عَلَيَّ أولًا ثم ليستمع إلى رأيى فى البرنامج.

ولم تقف نجاحات رضا عبد السلام عند المجال الفكرى والمهنى الإعلامى، لكنه حرص على تحقيق النجاح فى حياته الخاصة مثلما حققه فى حياته العامة. فكوَّن **أسرة سعيدة هو ربها**، وصار خير زوج لخير زوجة وخير أب لخير ابن وابنة.

عندما دعوت المذيع الكبير رضا عبد السلام لأن يدون سيرته الذاتية تَرَدَّد كثيرًا، تَرَدُّد مقدر المسئولية وخطورتها، وكثيرًا ما كان يتذرع بأن ليس لديه ما يستحق أن يسجله! وكنت أخالفه فى ذلك دائمًا. فدون أن أعرف تفاصيل حياته، كنت على يقين بأن فى حياته الكثير الذى ينبغى أن يسجله ليستفيد منه شبابنا، وليدرك الأصحاء منهم قبل غيرهم أن الإعاقة الحقيقية هى إعاقة الإرادة والعزيمة.

لقد كنت واثقًا تمامًا من قدرة رضا عبد السلام على إخراج الدرر والجواهر من سيرته المفعمة بالصعاب، وقد تأكدت من صدق حدسى بعد أن طالعت الفصول الأولى من هذه الملحمة. فكتبت إلى رضا قائلًا: «إن كلى ثقة فى بقدرتك على الإبداع،

فمقومات النجاح التى جعلتك مذيعًا كبيرًا هى نفسها المقومات التى تجعلك كاتبًا كبيرًا؛ فعندك القضية، وعندك الأفكار، ولديك القدرة على التحليل العميق، ولديك مَلَكَه العرض، ولديك الإمكانيات اللغوية، فكان طبيعيًّا أن يولد قلمك عملاقًا»...

* * *

إذا كان عالم النفس الإيطالى «تشيزرى لومبروزو» (١٨٣٥ ـ ١٩٠٩م) قد صك مصطلح «**مفتاح الشخصية**» الذى يفسر من خلاله سلوك الشخص، وعنه أخذ أستاذنا عباس العقاد ـ رحمه الله ـ عند تحليله للشخصيات الإسلامية العظيمة التى تناولها فى سلسلة كتبه «**العبقريات**»، فإن رحلتى العميقة مع «نقوش على الحجر» التى هى سيرة ومسيرة الإعلامى والفنان المبدع رضا عبد السلام تجعلنى أحدد ـ تبعًا لرؤيتى ـ مفتاح شخصيته. إنه مفتاح وثيق الصلة بسيرته ومسيرته، حتى يمكننا القول بأن العلاقة بينهما علاقة تبادلية؛ فسيرة رضا عبد السلام وتنشِئَته قد شكلت مفتاح شخصيته، وفى نفس الوقت فإن هذا المفتاح هو الذى وجه مسار حياته.

قناعتى أن مفتاح شخصية مبدعنا رضا عبد السلام هو «**الاعتداد بالنفس**»، وقد أفرز هذا المفتاح **ثلاث سمات أساسية اعتبرها بمثابة دعامات شخصيته**، وهى:

ـ التحدى.

ـ السعى لبلوغ ذروة الإنجاز.

ـ الغوص فى أعماق نفوس الآخرين.

وإذا أردنا الاستشهاد على هذا المفتاح وهذه السمات الدعامات بأمثلة من سيرة رضا عبد السلام ومسيرته؛ نجد **اعتداده بنفسه** يتجسد فى وصفه الصادق لمن يريدون أن يحرموا من يعانى من قصورًا جسديًّا من أبسط حقوق الإنسان فى النجاح وإثبات ذاته بأنهم هم الذين «يعانون إعاقة نفسية».

ولا شك أن نمط تنشِئَة الطفل ثم الصبى رضا مسئول إلى حد كبير عن هذا **الاعتداد بالنفس**، ولعل «العلقة السخنة» التى تلقاها من والده ـ ولم يتلق مثلها من قبل ولا بعد ـ عندما قبل الطفل أن يعامله عريس الفرح معاملة خاصة ويطعمه بيده باعتباره معاقًا، مثال واضح لكيف تم غرس بذور الاعتداد بالنفس فى أعماق رضا.

وإذا كان خلق «التحدى» سمة واضحة فى سلوك الناجحين بصفة عامة وذوى القصورات البدنية بصفة خاصة، فقد كان التحدى هو الدافع وراء إصرار رضا على أن يبتكر لكل مشكلة تقابله حلًّا، ولعل تدريباته الشاقة لتعلم الكتابة بقدمه ثم بفمه عندما لم تسعفه كتابة القدم فى المدرسة ـ وذلك دون توجيه من أحد ـ مثال يجسد خلق التحدى الذى تخلق به مبدعنا منذ طفولته.

ويتجلى سعى رضا **لبلوغ ذروة الإنجاز** فى عدم اكتفائه بأن يتم قبوله كمذيع فى إذاعة القرآن الكريم، بل نجده يصر على أن يصبح «مذيع هواء» وهو حلم يراود جميع المذيعين فى مجال الإعلام الإذاعى والتليفزيونى.

أما سمة **الغوص فى أعماق نفوس الآخرين**، فإن القارئ لـ«نقوش على الحجر» والقارئ لهذه السلسلة التى بين يديك سيجد من الأدلة عليها ما يفوق الحصر، فما من شخصية تعامل معها مبدعنا فى جميع مراحل حياته إلا كان يحللها ويضع يده على إيجابياتها النفسية وسلبياتها، ويتخذ تجاهها موقفًا سلوكيًّا بناء على نتائج هذا التحليل.

ولا شك أن هذا المفتاح وهذه السمات الداعمة لشخصية مبدعنا تقف وراء تميزه وإبداعه فى برامج الحوار الإذاعى كما تجسَّد فى برنامجه «سيرة ومسيرة». فلا شك أن الحوار مع أعلام الفكر الإنسانى من مختلف التخصصات يمثل تحديًّا يحتاج لإعداد دقيق يدفعه فيه «السعى لبلوغ الذروة»، كما يحتاج إلى فهم صحيح لشخصية المحاور تعينه عليه قدرته على «الغوص فى أعماق نفوس الآخرين»، ويكون ذلك فى إطار «الاعتداد بالنفس» ليكون ندًّا للكبار الذين يحاورهم.

لعلك الآن ـ القارئ الكريم ـ تدرك مفاتيح نجاح وإثارة بل وإبهار الحوارات التى أنت مُقْدِم على مطالعتها...

* * *

ترجع المسيرة الإذاعية لمبدعنا رضا عبد السلام إلى قرابة الربع قرن، ويمكن القول بأنه قد ولد عملاقًا، **فبرامجه السابقة** (مساجد لها تاريخ، وقطوف من السيرة، ومع الصحابة) ما زالت علامات تتردد أسماؤها فى تاريخ الإذاعة.

وعندما استشعر مبدعنا أهمية الجانبين اللذين بدأت بهما مقدمتى؛ وهما «**الذاكرة التاريخية**» و«**الإنسان القدوة**» قرر أن يكون له برنامج حوارى يحققهما ويخرج بهما

إلى الوجود الملموس، فكان برنامجه «سيرة ومسيرة» الذى استقبلته أسماع محبى صوت وأداء وثقافة وشخصية رضا عبد السلام بكل الترحاب ابتداء من أبريل ٢٠١٤ واستمروا يترقبونه ليل كل يوم سبت حتى الآن.

ويخبرنا رضا عبد السلام ـ بالأمانة التى عهدناها منه ـ بأنه ليس صاحب فكرة تقديم «**برنامج حوارى مع علم من الإعلام فى مجال من المجالات**»، بل سبقته فى هذا الاتجاه برامج «شاهد على العصر» و«حديث الذكريات» و«شخصيات إسلامية وراء الميكروفون».

أتصور ـ القارئ الكريم ـ أن المبدع رضا عبد السلام، بعد أن اتخذ قرار تقديم مثل هذا البرنامج، قد وقف وقفة ـ بدافع من اعتداده بنفسه والذى يجعله يتأبى على أن يكون نسخة مكررة ممن سبقوه، وبدافع من سعيه الدءوب لبلوغ ذروة الإنجاز ـ قد وقف وقفة يبحث فيها كيف يكون برنامجه مختلفًا عمن سبقوه؟

نقلًا عن مقدمة المبدع رضا عبد السلام للجزء الأول من سلسلة «سيرة ومسيرة» ألخص لك ـ القارئ الكريم ـ ما سعى المبدع رضا عبد السلام إلى تحقيقه فى برنامجه حتى يحوز التميز عمن سبقوه:

ـ التجهيز بشىء من الجهد والتعب فى قراءة الشخصية المستضافة فى البرنامج.

ـ أن يكون للشخصية المستضافة باع فى مجال الإنتاج الفكرى والعلمى؛ إما بمشروع فكرى أو علمى أو بمؤلفات وكتب أحدثت أثرًا فى الفكر والعلم والحركة الفكرية والثقافية المصرية والعربية.

ـ أن يكون للضيف شخصية فاعلة صاحبة رأى وحجية فى قضايانا الرئيسة فى المجتمع العربى والإسلامى فى مجال إيقاظ الأمة من غيبوبتها الفكرية والعلمية، وتحقيق صحوة العقل المسلم والعربى من سباته الذى طال.

ـ يستوى فى السمتين السابقتين أن تكون الشخصية قد تولت مسئولية سياسية أو ثقافية أو غيرها، أو لم تتول مثل هذه المسئوليات، وإن كانت الأولى هى الأكثر ثراء وفائدة عادة؛ لأن المسئولية تُظهر معدن الشخص الحقيقى فى التعامل مع المواقف والأحداث والأشخاص.

ـ إذا اشتملت الحوارات على شخصيات من أصحاب الفنون والمواهب، باعتبارهم يمثلون جزرًا للراحة بين المناقشات الجادة المتخصصة والكتب والمشروعات الفكرية، فينبغى أن تتناسب اهتمامات هذه الشخصيات مع أهداف إذاعة القرآن الكريم وفلسفة العمل فيها.

ـ الالتزام بأن يترك للمتحاورين حرية التعبير عن أفكارهم، سواء اتفق معهم أو اختلف.

بعد هذه الوقفة لتحديد السمات التى أراد المبدع رضا عبد السلام أن يحقق بها برنامجه التميز عن البرامج السابقة التى تقوم على نفس الفكرة، احتاج الأمر إلى وقفة أخرى، استغرقت أسبوعين، ليختار الاسم الأيقونة لبرنامجه، فوقع اختياره على اسم: «**سيرة ومسيرة**».

ويقصد رضا بـ«**السيرة**»؛ ميلاد الضيف وأسرته وتنشئته ودراسته والشخصيات التى تأثر بها.

ويقصد بـ«المسيرة»؛ ما قدم الضيف لتلاميذه وقرائه ووطنه ودينه وللحياة فى مجالات الدين والفكر والعلم والفن.

وأصدقك القول ـ القارئ الكريم ـ لقد نجح المبدع رضا عبد السلام فى تحقيق هدفيه الذين سعى إليهما من برنامجه (**المشاركة فى تشكيل الذاكرة التاريخية للأمة من خلال تقديم الإنسان القدوة**) نجاحًا كبيرًا، وذلك من خلال حواراته مع شخصيات تحرى فى انتقائها أدق المقاييس، فأصبحت شخصيات برنامجه بمثابة الأزهار النفيسة ولم يبق إلا جمعها فى باقات وتقديمها للقارئ العربى.

* * *

وإذا انتقلنا من برنامج «سيرة ومسيرة» إلى **سلسلة كتب «سيرة ومسيرة»** نجد أن الفكرة بزغت فى عقل مبدعنا منذ أكثر من عامين، وكانت تميل إلى أن يحتوى كل كتاب من السلسلة على شخصيات ذات اهتمامات مختلفة، ثم عَدَّل مبدعنا من رؤيته وفضل أن يحتوى كل كتاب على شخصيات لها نفس التوجه؛ دينية، فلسفية، علمية، اجتماعية.

كذلك تأخر ظهور السلسلة لأكثر من عام، بعد أن فضلنا أن يكون التَعَرُّف الأول للقارئ على الكاتب رضا عبد السلام من خلال سيرته ومسيرته، التى صدرت مع انعقاد معرض القاهرة الدولى للكتاب فى يناير العام ٢٠١٨، ثم أخذت نصيبها الذى تستحقه من الحوار والتحليل فى مختلف الندوات والبرامج والصحف والمجلات.

ويخبرنا المبدع رضا عبد السلام فى مقدمته بأن كتب سلسلة «سيرة ومسيرة» تحتوى **على إضافتين غير موجودتين فى حلقات البرنامج**. الإضافة الأولى لا تحملها تسجيلات الحلقات، وهى عرض قصة وملابسات وانطباعات اللقاء مع الضيف. والإضافة الثانية، ما تحمله التسجيلات مما لا يصلح لأن يذاع على الهواء فى إذاعة القرآن الكريم...

ولعل من أبدع ما اشتملت عليه مقدمة المبدع رضا عبد السلام لسلسلة «سيرة ومسيرة»، هى خلاصة خبرته من خلال حواراته العديدة مع أعلام العلم والفلسفة والدين والفكر والفن فى بلادنا، وهو ما أسماه «**أسباب التفوق وعوامل النجاح المشتركة**». فهذه الخلاصة هى حصاد البرنامج الحقيقى، لذلك أترك لك ـ القارئ الكريم ـ الاطلاع على هذه الأسباب والعوامل فى مقدمة رضا عبد السلام التى خطها بقلمه...

وأختم هذا التقديم لسلسلة «سيرة ومسيرة» لمبدعها الفنان رضا عبد السلام بنفس المقولة التى اقتبستُها من «رحلة د. عبد الوهاب المسيرى الفكرية» والتى سبق أن ختمت بها تقديمى لسيرة ومسيرة رضا عبد السلام المنشورة باسم «نقوش على الحجر»:

«لقد كانت مادة عملك نقية صافية،

وكان فنك نقيًّا صافيًا،

فكيف كان يمكن للنتيجة ألا تكون رائعة!»...

أخى الفاضل المبدع رضا عبد السلام:

بارك ربى فيك ولك وبك...

مقدمة

منذ أن حملت صوتى موجات الإذاعة كى يستمع إليه الناس وأنا أؤدى دورى فى هذا المجال سواء فى استديوهات الهواء أو فى الإذاعات الخارجية فى أشهر المساجد بمصر أو على مستوى التقديم الإذاعى فى البرامج التى تخاطب العقل أو الوجدان أو تجمع بين الاثنين فى وجبات تختلف بحسب الموضوع والقضية والمكان والزمان، وهذه مهمة الإذاعى الذى يصافح صوته آذان الناس والذى يجب أن تصادق روحه آذان مستمعيه الذين يربطهم به الصدق الذى يحسونه وكم المعلومات الصحيحة والأفكار التى يعرضها بأمانة من يريد الوصول إلى ما يعتقد أنه صحيح دون افتئات أو انحياز أو حجب للآراء الأخرى، ثم يترك مستمعيه لكى يصدروا حكمهم والتجربة أثبتت بأنهم يقابلون صدق العرض والتقديم بصدق القبول بل والحب والود ولو لم تر الوجوه الوجوه.

ومسيرتى التى ربت على ربع قرن قدمت فيها جميع الألوان الإذاعية والفنون الصوتية والبرامج على اختلاف أنواعها...

فقد جلست أمام الميكروفون مذيعًا للهواء طوال هذه الفترة أمسك بجميع خيوط الفن الإذاعى بقوة من خلال لغة سليمة وبديهة حاضرة وسرعة فى اتخاذ القرار بنطق الكلمة المناسبة فى الوقت المناسب بالطريقة التى تنتج الأثر المرجو وأرسل طوال فتراتى الإذاعية روحى التى يحسها المستمع من خلال الأداء يتبعها عقل واعٍ ولسان منضبط يأتمر بأمر اللغة العربية الصحيحة وصدق أتحراه دائمًا وراء كل كلمةً تخرج من فمى وأدعو الله أن يتقبل منا على قدر الصدق والإخلاص.

وقدمت بجانب عملى مذيعًا للهواء مجموعة من البرامج وكان باكورة هذه البرامج فى مقتبل العمر الإذاعى.

برنامج «مساجد لها تاريخ»

قدمت فيه أشهر المساجد التاريخية فى مصر والعالم الإسلامى المختلفة سبرنا فيه أغوار الحضارة الإسلامية عبر البلاد والعصور والأشخاص، ووقفنا فى اللحظة التاريخية لهذه المساجد لنعرف قصة الإنشاء والفن المعمارى الذى تنطق به الأعمدة والقباب والمآذن والساحات الذى أبدعها الفنان المسلم..

كان هذا البرنامج بمثابة رحلة رائعة عبر الزمان والمكان يعطرها عبق التاريخ، وتزينها بطولات الأشخاص وتجملها أصابع الفنان المسلم فى الأسقف المزينة بالصدق والأعمدة المثبتة بالإخلاص والحوائط المرسوم عليها دقة وإتقان من بنى وشيد هذه العمارة الرائعة وقدمت برنامج «قطوف من السيرة».

عن سيرة الرسول ﷺ بداية من العصر الجاهلى ثم عصر الرسالة وما حدث طوال هذه الفترة المثال فى تاريخ المسلمين، وماكان فيها من أحداث صنعت أمة بعد ذلك وكان هذا حديثًا مكتوبًا من أشهر الكتب فى سيرة الرسول سواء من الكتب التراثية أو الكتب الحديثة التى أسهبت فى الاهتمام بهذه الفترة التاريخية الأهم فى التاريخ الإسلامى وإسقاطها على الواقع الذى يعيشه المسلمون.

ثم كان برنامج «مع الصحابة»

الذى انتهجت فيه منهج الاستقصاء فى تناول الشخصية تاريخيًا وتناولنا كل ما يتعلق بها من مواقف وأحداث مع تحليل لكل هذه المواقف، وأذكر عندما كنا نتناول شخصية الصديق أبا بكر رضى الله عنه عندما أرسل أربعة عشر جيشًا إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية وقفنا عند هذه النقطة بالذات تحليلًا كيف لأبى بكر أن يعرف جميع مناحى الجزيرة العربية إلا إذا درسها وعرف كل ما يتعلق بها وهذه من خصائص أبى بكر دراسة الأمر قبل الإقدام عليه إضافة إلى كثير من صحابة النبى الذين لم نقف عند التعريف بهم فقط وإنما بيان أنهم لم يكونوا عبادًا فقط وإنما خبروا العالم الذى كانوا يعيشون فيه لذلك نجحوا وسادوا فى فترة لم تحدث فى تاريخ الدنيا.. وكان معى فى هذا البرنامج الأستاذ الدكتور عبد الشافى عبد اللطيف أستاذ التاريخ الإسلامى وهو

أحد ضيوفنا فى سيرة ومسيرة والأستاذ الدكتور محمد عبد العليم العدوى رحمه الله.

وهكذا كانت برامجى التى قدمتها دائمًا لها علاقة بالتاريخ الذى أعشقه لأنه هو الذى يكشف الحقيقة وراء الأحداث والوقائع وللتاريخ خط طويل لأحداث تعرف منها الشخصيات والوقائع والأحداث وترتسم فيه الصورة واضحة جليه أمام عينيك صورة الظالم، وهو ينال عقابه بعدما دارت عليه الدائرة والمظلوم وهو مستبشر بما حاز من حق وما حصل عليه من فوز، وترى فيه الإنسان بكل حسناته وسيئاته وهو بذلك يضىء الحاضر ويقدم الدروس والعبر حتى يعلم دارسوه وقارئوه ومقدموه كيف لا يقفون موقف الذين ظلموا أنفسهم ويكونوا دائمًا مع الذين نصروا الحق ولو أصابهم الضر أحيانًا.

وكنت وأنا أقدم هذه الوجبات الإذاعية المختلفة كانت تراودنى فكرة برنامج قدمت فى الإذاعة على جميع محطاتها وهى استضافة علم من الأعلام فى مجال من المجالات، وهذه الفكرة قدمها الأستاذ «عمر بطيشة» فى برنامج شاهد على العصر فى البرنامج العام، وقدمتها الأستاذة «أمينة صبرى» فى برنامج حديث الذكريات على موجات صوت العرب وعندنا فى إذاعة القرآن الكريم نفس الفكرة فى برنامج شخصيات إسلامية وراء الميكروفون، وكل هذه البرامج كانت تقدم الضيف كسيرة حياة ومواقف وأحداث ومحطات رئيسية فى حياته وكانت تشير فقط إلى إنتاجه الفكرى والعلمى إذا كان من المشتغلين بالعلم أو الفكر، وفى الحقيقة فإن هذه البرامج أضافت ثراءً إلى الإذاعة المصرية من خلال القدوة التى قدمتها من خلال هؤلاء الأعلام الكبار على اختلاف درجاتهم ومجالاتهم وتخصصاتهم.

ففكرت أن أقدم برنامجًا على هذا الشكل فقلت بينى وبين نفسى ماذا يمكن أن أقدمه من خلال هذا البرنامج يكون إضافة إلى ما قدمه رواد الإذاعة قبلى أو ماهى الإضافة التى تتميز بها عن الذين سبقوك.. وهنا تركت نفسى تفكر مع عقلى الذى اعتاد على أن يفكر مليًا قبل الإقدام على فعل شىء وتعاقدًا بعد السفر عبر الأفكار واصطلحا على أن يتجهزا بشىء من الجهد والتعب فى قراءة الشخصية المستضافة فى البرنامج واشترطا أن يكون لها باع فى مجال الإنتاج الفكرى والعلمى بمشروع فكرى أو علمى أو بمؤلفات وكتب أحدثت أثرًا فى الفكر والعلم والحركة الفكرية والثقافية

المصرية والعربية.. ومن ناحية أخرى تكون شخصية فاعلة صاحبة رأى وحجة فى قضايانا الرئيسية فى المجتمع العربى والإسلامى فى مجال إيقاظ الأمة من غيبوبتها الفكرية والعلمية وصحوة للعقل المسلم والعربى من سباته الذى طال. يستوى فى هذا أن تكون هذه الشخصية قد تولت مسئولية ما سياسية أو ثقافية أو غيرها، أم لم تتول، وإن كانت الأولى تكون أكثر ثراءً وفائدة لأن المسئولية تظهر معدن الشخص الحقيقى عند التعامل مع المواقف والأحداث ومع الأشخاص.. وبالنسبة للضيوف أصحاب الفنون والمواهب ـ مما يناسب إذاعة القرآن الكريم وفلسفة العمل فيها ـ فجعلناهم كفترات للترويح عن النفس بين المناقشات الجادة والكتب والمشاريع الفكرية فهم يمثلون جزرًا للراحة بين فترات السفر عبر العقول والأفكار التى تتلاقح وتتفق وتختلف أمام الميكروفون.

اسم البرنامج

اسم البرنامج هو الشعار الذى يوحى بالمضمون والهدف والغاية من البرنامج وأول خطوة فى نجاح أى برنامج هو الاختيار الموفق لاسم البرنامج ذلك لأنه يعطى من خلال الاسم فكرة عما يمكن أن تسمعه وتستفيد به وتتفاعل معه إضافة إلى ما يحيط بهذا الاسم من جمال وجاذبية الصوت الذى يطلق الاسم والمؤثرات الصوتية التى تصاحب هذا الاسم، وهذا كله كنت منتبهًا له تمامًا حتى يخرج البرنامج فى أحسن صورة لذا كان اختياره شديد الصعوبة وظللت على مدى أسبوعين وأنا أفكر فى اسم يعبر عن هذا المضمون الذى بينته سابقًا. ضيف تفتح كتاب حياته بمراحلها المختلفة النشأة والتربية والتعليم ثم مرحلة الشباب ثم مرحلة النبوغ والعطاء الفكرى والعلمى ورأيه فى القضايا الأساسية فى المجتمع من خلال تخصصه فاهتديت إلى هذا الاسم «سيرة ومسيرة» فالسيرة تتناول حياة الضيف والمسيرة تتناول ما قدم فى هذه الحياة بشخصه وعقله وفكره وما أفاض على المجتمع من أفكار وما أضافه له من وعى وما أنتجه من رؤى.. وكانت انطلاقة البرنامج فى شهر أبريل ٢٠١٤ نحلق به فى فضاءات الفكر والعلم لضيوفنا نقدم من خلالهم القدوة الحسنة وقصص النجاح الباهرة ونقدم إنتاجهم الفكرى والعلمى لكى نضىء به ظلام الطريق ونفتح به أبواب

العقول ونزيل بها أدران الجهل ونمحو بها ضلالات المشعوذين من أصحاب الأفكار الضالة المضلة ونحرر بها العقول من أقفال الفكر المتطرف وأصحاب الأحكام المطلقة وكأنهم آلهة وندافع به عن الإسلام بالأسلوب الذى يفهمه الجميع بأصالة التراث الصحيح الذى يتناسب مع الواقع وأدوات العلم الحديث والفكر الذى لا يناقض عقلًا سليمًا ولا يصطدم مع منطق مقبول.

ضيوف البرنامج

فى رحلة رائعة عشت فيها مع عقول مصر الكبيرة فى مختلف المجالات أفتش عن كنوز العلم والفكر وأفتح خزائن الإبداع بمفاتيح الحوار والمناقشة الهادئة وأسبح فى بحور الأدب وأنهل من فيض الرؤى التى تفتح أفاق التقدم والرقى. فهذه الشخصيات بتنوعها الخلاق وتعددها الثرى تمثل علامات كُلّ فى مجاله علامات على طريق النجاح والتفوق وطرح الأفكار فى جميع مناحى البحث فيما يتعلق بالفكر والدين وكل منهم دنيا كاملة وتاريخ من الجهد والمثابرة والوصول إلى منابر التأثير فى العقول بحيث يمكن أن يمثل كل واحد منهم سبيلًا من سبل الخلاص للمجتمعات التى تأخذ بالعلم طريقًا لها. سوف نجد فى هذه الحوارات علماء دين كفضيلة الدكتور الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف الأسبق الذى يحكى عن تجربته الحياتيه وطفولته فى ظل الاحتلال الإنجليزى وانتمائه السياسى فى بداية الصبا وأول الشباب وكيف رأى مصر قبل ثورة يوليو وعلاقاته بالقرآن حفظًا ودراسة وتجويدًا ثم تخصصه فى علم الحديث واختياره وزيرًا فى أول عهد حسنى مبارك، وقصة كلمته التى قالها لى «لا أعرف لماذا أتوا بى وزيرًا ولا أعرف لماذا أقالونى» ورده على منتقدى كتب الحديث والمشككين فى نسبة بعض الأحاديث إلى النبى ﷺ ردًا قويًا هادئًا وسيرة الدكتور أحمد عمر هاشم وريادته فى علم الحديث ودخوله إلى معترك السياسة التى لم تكن فى بهاء دوره فى علم الحديث، وسنرى هل أضافت له أم أنها لم تكن بقيمة دوره كعالم دين وشاعريته الكبيرة التى قد لا يعلم الكثير عنها شيئًا وسوف نقرأ فى حوارنا معه شيئًا من هذا الشعر الذى يمثل أعلى درجات الحب النبوى.

وهذا العالم الأزهرى الذى زاد عمره على مائة سنة وهو أكبر علماء الأزهر سنًا فضيلة

الشيخ «معوض عوض إبراهيم» الذى عاصر مراحل كثيرة من تاريخ الأزهر الشريف وحكايات مع العلماء وموقفه مع الرئيس السادات وكيف أحدث هذا الموقف أزمة فى حينه وسفره إلى اليمن فى منتصف القرن العشرين، وماذا رأى فى هذا البلد الذى وصف النبى الإيمان أنه يمانى، وماهى المشاهد التى استوقفته فى هذه الرحلة.. محطة تشم فيها عبق التاريخ الأزهرى من خلال هذا العالم الكبير الذى كان عقله نابهًا وبديهته حاضرة ولسانه منطلقًا رغم كبر سنه والدكتور إبراهيم بدران هذا العاشق لتراب مصر المتيم فى حبها الذى لم أقابل فى حياتى شخصية عالم ومسؤول كبير بهذا التواضع الجم والأدب العالى... سأورد ما رأيته فيه وحديثى معه حول أول لقاء مع الرئيس عبد الناصر عندما كان فى الفالوجا محاصرًا واختيار السادات له وزيرًا للصحة وأخوته وصداقته للشيخ الشعراوى، والعشرين جنيهًا التى مازال يدفعها مريضه عندما يدخل عليه حجرة الكشف وهو قد جاوز الثمانين من عمره حقًا.. هو قصيده فى حب مصر قد لا تكون موزونة بميزان الشعر لكنها مفتونه بحب هذا البلد.

ومن الشخصيات التى سنفرد لها فى هذا الكتاب مساحة تستحقها بجدارة الأستاذ الدكتور «محمد عثمان الخشت» الذى التقينا به وهو نائب لرئيس جامعة القاهرة قبل أن يجلس على كرسى رئاسة جامعة القاهرة وحوار عن نشأته التى كانت لابد أن تنتج هذه الشخصية المفكرة المبدعة التى لا يمر عليها شىء إلا إذا محصه العقل وأجاز له المرور، وسنتحدث معه عن حياته تلك ثم عن دراسته فى كلية الآداب وعن الماجستير والدكتوراة ثم عن تخصصه الذى أصبح علمًا من أعلامه وهو فلسفة الدين وعن كتبه التى أحدثت أثرًا كبيرًا فى الحياة الفكرية والثقافية ككتاب «أخلاق التقدم» وكتاب «تطور الأديان».

وهذا الرجل الذى لا يعرفه إعلامنا لأنه مشغول بما لا فائدة منه لعقل ولا تأثير له على حس، هذا الرجل الذى سافر إلى ألمانيا بعد أن تعلم فى الأزهر وحصل على الدكتوراه وكان صورة مشرفة للعالم الأزهرى الذى قرأ التراث فأخذ منه ما ينفع ودافع عنه فى أوروبا، هذا العلم وهذا المفكر الكبير الذى أبهرنى بشخصيته وطريقة تفكيره هو الأستاذ الدكتور «محمد عبد الغنى شامة» أستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الألمانية فى جامعة الأزهر وتحدث معى فى القضايا الأساسية المطروحة وماذا نأخذ

من الغرب وماذا ندع باعتباره خبيرًا بما رأى وعلم من حياته معهم واختلاطه بهم.

ومن الشخصيات التى تعلمت منها من خلال معرفتى بها وحواراتى معها الأستاذ الدكتور عمرو شريف أستاذ ورئيس أقسام الجراحة بكلية طب عين شمس وأحد أهم المفكرين الذين كتبوا فى الرد على فكرة الإلحاد وعلى الملحدين بشكل لم يسبقه فيها أحد إلا محاولات الدكتور مصطفى محمود التى كانت متفرقة أما هو فقد بنى مشروعه الفكرى على أن المسلم يجب أن ينظر فى الكتاب المنظور وهو الكون والكتاب المسطور وهو القرآن الكريم واتخذ من الآية الكريمة فى سورة فصلت شعارًا لهذا المشروع الفكرى والعلمى.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

وانتج للمكتبة العربية والإسلامية مجموعة من الكتب ستكون محلًا للمناقشة والحوار معه بالإضافة لحياته التى صاغها بعقله كما يريد فكانت تجربة ناجحة بامتياز سواء على المستوى الإنسانى أو على المستوى المهنى الطبى.

وكذلك الأستاذ الدكتور «عبد الهادى مصباح» أستاذ المناعة العالمى وصاحب القلم الذى يبهرك بموضوعاته، وحوارى معه كان سياحة فى حياته التى انتقل فيها من نجاح إلى نجاح وسافر إلى أمريكا ليحصل على الدكتوراه ويصبح من أهم خبراء المناعة فى العالم بالإضافة إلى أنه خبير عالمى فى مرض الإيدز ولديه مجموعة من الكتب التى حصل بعضها على جوائز كبيرة كان حوارًا ممتعًا وجميلًا ورائعًا مع هذه الشخصية المبهرة.

كذلك من الشخصيات التى تذكرنا بتاريخ مصر القريب الذى كانت القرية المصرية فيه لها شكل يختلف عما أصبحت عليه الآن وهو أحد من عاشوا هذه الفترة الشيخ «أحمد محمد عامر» الذى قارب على الثمانين وكان لا يزال يقرأ فى الإذاعات الخارجية فى المساجد الكبرى تقف مع حياته تلك التى بدأت فى أوائل القرن الماضى ورحلته مع القرآن وأول ريال يحصل عليه من قراءة القرآن مرسوم عليه صورة للسلطان عباس حلمى الثانى وحوار ممتع عن حياته وسفرياته المتعددة وأحفاده الذين بلغوا ثلاثين حفيدًا..

وكذلك حوارى مع الشيخ «محمد محمود الطبلاوى» الذى قرأ القرآن فى جوف الكعبة والحوار الذى دار بينه وبين الملك خالد ملك العربية السعودية...

وحوارى مع الدكتور «نعينع» الطبيب الذى حفظ القرآن وأتقن القراءات العشر وهو لا يزل طالبًا بكلية طب الإسكندرية وصلته بأستاذه وشيخه مصطفى إسماعيل وعلاقته بالرئيس السادات وقصة سفره إلى المملكة المغربية وقصة اللقاء مع الملك الحسن الثانى ملك المغرب والحوار الذى دار بينهما..

وحوارى مع أستاذ العلوم الذى أصبح من أشهر قراء مصر الشيخ «حلمى الجمل» وقصة إتقانه للقراءات العشر والقراءات الشاذة التى لا يستطيع الإلمام بها سوى العلماء الكبار..

ثم هذا اللقاء مع هذا الرجل القرآنى الشيخ «عبد الحكيم عبد اللطيف» شيخ المقارئ المصرية السابق الذى أبهرنى تواضعه وأخجلنى أدبه وعندما نأتى إليه أحكى لكم عنه عجبًا وليس غريبًا على أهل القرآن هؤلاء الذين يمشون على الأرض هونًا.

هذه شخصيات مشهورة يعرفها كثير من الناس.. لكن هناك شخصيات لم تحظ بشهرة لكنها أخذت قلوب كل من عرفها احترامًا وأدبًا وإعجابًا فهذا رجل يملأ الصدق والإيمان قلبه ويحدوه نحو التفوق والنجاح عقله الواعى ونفسه الكبيرة صنع مجده وهو يجلس على كرسى متحرك لمدة ستين عامًا وأصبح عميدًا لكلية الصيدلة بإحدى الجامعات الخاصة ورئيس قسم الصيدلة الصناعية بجامعة القاهرة وأحد أهم خبراء الأدوية فى مصر الأستاذ الدكتور «محمد فريد الميلجى».

وشخصية هذا العالم الأزهرى الذى يشع النور من خلال لحيته البيضاء ووجهه المبتسم وأريحيته التى تضمك إليه عندما ينظر إليك الأستاذ الدكتور «أحمد طه ريان» فى حكايته عن نفسه وعن والده ونشأته تحس أنك أمام نموذج لرجل يعيش فى القرن الحادى والعشرين بقلب المائة الأولى للدعوة المحمدية.

واللغة العربية لها نصيب فى شخصياتها التى حافظت على جلال اللغة وجمالها وعذوبتها فهذا العلَّامة الكبير الأستاذ الدكتور «عبد الغفار حامد هلال» الذى أمتعتنى كتبه ثم كان هذا الحوار الرائع معه حيث الإنسان حينما يتخلق بأخلاق القرآن مع

والده الذى كان له الأثر الكبير فى حياته، ثم مسيرته اللغوية الذى صاحب فيها العلَّامة اللغوى الكبير ابن جنى ودافع عنه وقصة المعركة اللغوية بينه وبين المفكر الكبير لويس عوض ورده عليه ردًا قويًا سنعرض له تفصيلًا حينما نطل عليه فى هذا الكتاب وشاعريته التى أبدع فيها مجموعة من دواوين الشعر وكتب نهج البردة الخاصة به فى مدح سيد المرسلين ﷺ لينضم إلى شوقى وغيره ممن نهجوا على البردة فى معارضاتهم الشعرية.

.. وقبل وفاة صاحب «لغتنا الجميلة» هذا الصوت الساحر والنبرات الهادئة والأداء الإذاعى الأنقى والتصوير الصوتى الأوفى الأستاذ فاروق شوشة روى لنا نشأته فى قرية الشعراء بدمياط وقصة عشقه للغة العربية وإبداعه الشعرى الذى أتحف به محبيه فى الوطن العربى كله وقصة برنامجه الأشهر «لغتنا الجميلة» الذى ظل يغنى فيه للشعر والشعراء ويبسط فيه للعامة والمثقفين ألوان الجمال الساحر فى لغتنا الجميلة بمختاراته الرائعة بين نثر وشعر.

ولأن المرأة فى مصر قد أسهمت فى الحياة الفكرية والسياسية والعلمية والإعلامية فكان لنا معها سيرة ومسيرة فهذه السيدة التى كانت الأولى على الجمهورية فى الثانوية العامة واختارت كلية الحقوق لتصبح بعد ذلك من أهم أساتذة القانون فى مصر وجلست على كرسى رئيس اللجنة التشريعية فى مجلس الشعب الأسبق الأستاذة الدكتورة «فوزية عبد الستار» وسيرتها ومسيرتها المبهرة التى انتقلت فيها من نجاح إلى نجاح مع رفيق العمر العلَّامة الكبير الأستاذ الدكتور محمود نجيب حسنى رئيس جامعة القاهرة الأسبق.. وهذا اللقاء الثر الثرى مع هذه الشخصية المبهرة التى أضاء عقلها نور العلم نور العلم فغدت من أهم أساتذة فلسفة العلم فى مصر والمنطقة العربية وأحد أهم العقول المصرية والتى سافرت دول العالم لكى تكون خير دليل على قدرة المرأة العربية المسلمة على النجاح والتفوق الأستاذة الدكتورة يمنى طريف الخولى حفيدة الشيخ أمين الخولى العالم الأزهرى المشهور سيكون معها الحوار حول نشأتها الأوروبية وجذورها العربية الأصيلة التى رجعت إليها لاحقا وعن مسيرتها العلمية التى كانت فيها دائمًا فى الطليعة وعن أستاذها التى نهلت منه عقلا وفكرًا الفيلسوف الكبير زكى نجيب محمود وعن جوائزها فى كل مراحلها

الدراسية وتقدير العالم كله لها حيث تحل أو ترتحل وعن كتبها فى فلسفة العلم وفى تاريخ العلوم عند العرب ورأيها فى قضاياتهم الإنسان أينما كان.

وصاحبة الصوت الذى لطالما سعد به المستمعون عبر إذاعتى البرنامج العام والقرآن الكريم التى حكت عن حياتها وحياة مصر فى مدينة شبين الكوم وعن والدها الذى رسمت له صورة ولى من أولياء الله الصالحين تقى وورعًا وزهدًا وكيف تأثرت به الرائدة الإعلامية الكبيرة الدكتورة «هاجر سعد الدين» رئيس شبكة القرآن الكريم وسيرة ومسيرة لها طعم مصر فى زمانها الجميل ولها شكل الإذاعة المصرية فى بداية الستينيات من القرن الماضى محطتنا معها شديدة الروعة والجمال.

هذه الشخصيات هى التى سنلتقى بها على صفحات هذا الكتاب فى سلسلة نبدأها بعلماء الدين ثم نتبعها بشخصيات الفكر واللغة والأدب ثم الشخصيات المبدعة فنيًا والأمر مازال مفتوحًا لشخصيات أخرى فى هذا البلد الذى لطالما أنتج للأمة العلماء والمفكرين والمبدعين.

قيم جامعة

عندما عايشت هذه الشخصيات وعرفتها فى الساعات التى أتيحت لى معها ودار النقاش والحوار سواء فيما يتعلق بالمادة الإذاعية التى أعد لها ليستفيد منها المستمعون أو الحوارات الأخرى حول الاهتمامات والآراء فى بعض الموضوعات التى تهم الناس وجدت أن هذه الشخصيات الكبيرة التى نجحت فى ميدان الحياة يجمع بينها صفات مشتركة يمكن أن تطلق عليها أسباب التفوق أو عوامل النجاح وهى من وجهة نظرى كما رأيت:

أولًا: الجهد والمشقة والتعب والمثابرة والبحث

هذه صفات واضحة فى كل من هذه الشخصيات فكل منهم تحدث عن وعورة الطريق وشدته فى بداية الأمر وعن العوائق التى تمنع المسير وعن الفشل الذى يولد الإصرار على النجاح وعن السهر على الأفكار حتى تثبت وعلى العقول حتى تنضج وعن لحظات النجاح ودموع الفرح عندما يأتى النجاح والتفوق لذلك نبغوا وتفوقوا وعلوا وحازوا رضا النفس وشكر المجتمع.

ثانيًا: الأخلاق والالتزام

كل واحد منهم آية ومثال فى الالتزام الأخلاقى والارتباط الواعى بالدين فلا تجد واحدًا منهم ممن وصل لغايته بسلم من سلالم العشوائيات التى ملأت حياتنا التى أصبحت فيها رسائل الماجستير والدكتوراه تباع على أرصفة الجامعات لمن لم يعرف قواعد الإملاء الصحيحة بل كل منهم التزم القواعد الأخلاقية فى البحث والدراسة حتى أصبح علمًا وعلَّامة فى مجاله دون نظر إلى تقدير لأنه يعلم أن التقدير فى بلده لا يطال إلا حاملى المباخر.

ثالثًا: الأسرة سر النجاح

الأسرة المستقرة الأب والأم والزوجة والأولاد كانت هى الدافع لكل شخصية من هذه الشخصيات فهى النبع الصافى الذى شرب منه كل منهم ماء الحياة والحياء وكانت هى المصدر الذى يستقى منه القيم التى عاش بها والجدار الذى يأوى إليه وقت الأزمات وكان ذلك من أهم العوامل التى أدت إلى الاستقرار النفسى لهذه الشخصيات الكبيرة وكان فى هذه الشخصيات ما لم ينعم بهذه الميزة المهمة ومع ذلك تفوق فى حياته وأصبح علمًا فى مجاله.. وستطلعنا سطور هذا الكتاب على علامة التربية الأستاذ الدكتور «سعيد إسماعيل على» الذى لم يسمح له والده بالتعليم ولكنه عقد عهدًا بينه وبين نفسه أن يكون شيئًا فأصبح من أكبر أساتذة التربية والتعليم فى مصر والوطن العربى.

وكذلك علامة القراءات الدكتور «شعبان محمد إسماعيل» ونفس القصة وإن اختلفت الظروف والوجوه.

رابعًا: الإبداع والابتكار

كل شخصية من هذه الشخصيات لها منهج فى الإبداع والابتكار فى مجال تخصصه فكل منهم جاء بجديد سواء كان فكرًا مسطرًا فى الكتب أو آلة ينتفع بها أو وسيلة تيسر على الناس حياتهم أو سبلًا لحل المشاكل التى استعصت على الحل

أو رفع الغبار عن حقائق تفيد الناس فى حياتهم أو كشفًا لزيف المزيفين أو دحضًا لحجج بائعى الأوهام من المشعوذين والكذابين وسنرى ذلك كثيرًا فى حواراتنا مع هؤلاء الأعلام.

خامسًا: عقبات البشر وعقول الخاملين

هذه الشخصيات الكبيرة عانت فى مسيرتها ممن لا يعمل ولا يريد لغيره أن يعمل ليس عنده فائض من إبداع لذا يكره المبدعين يقف حجر عثرة فى سبيل الناجحين النابهين حسدًا وحقدًا تراه كارهًا بلا سبب رافضًا بلا مبرر يريد أن يتسيد المواقف بلا سند من اختيار نزيه ويحتل الأماكن بلا موهبة تؤهله لذلك هؤلاء يمثلون عقولًا منتجة للمشاكل والعوائق والسدود مشاكل لا تنفك عن عقول أصحابها حتى تهدم كل بنيان يريد أصحابه أن يكون واحة لكل متعب أو سريرًا لكل مريض أو حرفًا يتعلمه طفل فى مهد حياته هؤلاء هم أعداء النجاح فى كل مكان وخاصة عندما يكون الاعتماد على أهل الثقة وليس أهل الخبرة والكفاءة.

سادسًا: السياسة عندما تخطف عالم الدين

فى بعض هؤلاء الضيوف تجد السياسة بألاعيبها وطموحاتها ومزالقها قد أخذت بعضهم فحولت بعض مساراتهم وحلت محل البحث والدرس والمراجعة والدعوة وخلقت لهم مواقف أخذت على بعضهم بل وأساءت فى بعض الأحيان إلى صورتهم النقية التى عاشت فى أذهان الناس وسنرى بعضهم رغم أستاذيته فى مجاله يصبح أداة أحيانًا لتنفيذ ما تمليه السياسة وفى سبيل ذلك تكون المواقف التى لا يسعده أن تكون فى تاريخ حياته ولا تسعد من رأوا فيه قدوة ومثلًا فى وقت من الأوقات.

سابعًا:

هذه الشخصيات الكبيرة لها فكرها وعقلها ولها إنتاجها العلمى والفكرى ولها مواقفها فى شتى الأمور فى الدين والدنيا وكنت عندما أحاورهم أعرض بأمانة ما يقوله

كل منهم بحيث تصل الرسالة كاملة لكن قد اختلف مع بعضهم ويكون السؤال هو السبيل للتعبير عن هذا الاختلاف الذى أحل فيه محل المستمع ومن أبرز الشخصيات التى برزت من خلال الحوار معها ذلك الأستاذ الدكتور محمود محمد مزروعة فيما يتعلق بنظرته إلى الشيعة أو فيما يتعلق بشهادته المشهورة على فرج فودة حتى إنه فى ختام كلامه فى هذين الموضوعين.

قال «اعتبر هذا رأيًا لى».

كان هذا فى إطار الأدب الواجب للعالم الكبير ومن خلال مهنية تحترم قواعد الحوار الإذاعى.

وبعض الشخصيات كنت أبدو متفقًا معها تمامًا لكنى ـ مع ذلك ـ كنت أبدى وجهة النظر الأخرى التى تعارض كما كان مع العلامة الكبير الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند وخاصة عندما تحدث عن الإمام ابن تيمية وبرأه من فهم المتطرفين له من خلال أبحاثه وكتبه عن ابن تيمية.

أسرار من خلف الميكروفون

بعض هذه الشخصيات خصنى بمعلومات لا يمكن أن تكون أمام ميكروفون الإذاعة ولا موضوعًا تحمله موجات الراديو لكن نلقى بها هنا على صفحات هذا الكتاب لتكون شهادة من أصحابها على وقائع وأحداث عاشها الناس فى مصر ولم يدروا أسرارها، وبعض هذه الأسرار وجهات نظر لأصحابها فعلى سبيل المثال حكى لى الدكتور الأحمدى أبو النور فى جلسة قبل التسجيل عن بداية الإخوان المسلمين وكيف كان للمخابرات الإنجليزية دور فى تدعيمها وكيف نشأت الجامعة العربية على اعتبار أنه قد شهد بدايتها وأشياء أخرى، واستأذنته فى تسجيل ذلك لى فلم يرفض وسوف نورده بعد أن نسرد حواره الإذاعى معنا وكذلك الدكتور محمود مزروعة حكى لى عن تفاصيل شهادته التى أحدثت ضجة كبيرة فى حينه والمتعلقة بفرج فودة الذى قتله بعض المتطرفين من الجماعات الإسلامية.. وهذه الأسرار سنعرض لها بعد أن نقدم الحوار الذى دار بيننا وبين هذه الشخصية.

فى نهاية هذه المقدمة أريد أن أقول إننى التزمت المهنية فى حواراتى مع هؤلاء الضيوف وحاولت أن أستخرج من كل ضيف منهم مواطن القدوة فى شخصيته ومراكز الإبداع فى فكره وسبل التقدم من خلال مؤلفاته وكتبه التى كنت حريصًا على قراءتها أو على الأقل أعرف مضامينها حتى أستطيع أن أحاوره وأناقشه ليعيش معى المستمع متعة الفهم والوصول بالحوار والمناقشة إلى الحقيقة أو ما يعتقد أنها الحقيقة.

وليس معنى ذلك أننى أتفق مع كل ما تحدث به ضيوفى فقد أتفق أو أختلف لكن رأيى لا أبديه إلا كونه رأيًا من الآراء وهذا من أمانة العرض بل هذا ما يجب أن يفعله كل إذاعى يحترم نفسه ويحترم مستمعيه ودائمًا أعرض الآراء الأخرى حتى يكون المستمع ملمًا بكل الآراء المطروحة فى الموضوع والتزمت أن أترك للضيف حرية العرض وطرح ما يراه من أفكار ورؤى.

وسوف نبدأ أولًا بعرض قصة اللقاء مع الضيف لأنها تبدو مختلفة من حيث مكان اللقاء ومن حيث شخصية الضيف فى المكان الذى استضافنا فيه ولأنها شخصيات غير عادية آثرنا أن نقدم لقارئنا شكلًا من أشكال التعريف بها عله يرسم ملامح أكثر للشخصية وخاصة أنها ستلقى ما عندها من فكر أو علم أو فن..

وسنعرض للحوار كما أذيع فى الإذاعة عبر الميكروفون بقدر الإمكان ثم نعرض لما قد يكون أسر إلينا به الضيف من أسرار يكون من حق قارئنا أن يكون ملمًا بها علها تفسر بعضًا مما نراه يحدث أمامنا فى الواقع الذى نعيشه خاصة وأنها شخصيات كانت فاعلة وقتها فمنهم من كان وزيرًا ومنهم من كان رئيس جامعة ومنهم من كان أحد المفكرين الكبار ومازال وهو فى الأغلب كلام لا تستطيع موجات الإذاعة أن تحمله ولا يستطيع ميكروفون أن يبثه فى الهواء.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن تكون هذه الحوارات إثراءً للفكر والعلم.

الأستاذ الدكتور الأحمدى أبو النور. .

وزير الأوقاف الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

كثير من العلم والفقه والحديث قليل من السياسة

أقوال فى الحوار

ـ رأيت مصر فى هذه الفترة تأبى أن يكون فيها احتلال.

ـ كنا نعتز بمصطفى كامل ومحمد فريد ونقرأ لهذا ولذاك ونقرأ لسعد زغلول وعشت أيضًا حرية الكلمة فى مصر.

ـ نجيب الهلالى زاد المرتب من ثلاثة جنيهات لأربعة جنيهات فأقاموا له احتفالًا بمناسبة هذا الجنيه.

ـ عاش أبو هريرة أربعين سنة بعد النبى وهى مدة كافية فى جمع الأحاديث وروايتها وكتابتها.

ـ حاورت جماعة التكفير والهجرة وزعيمهم شكرى مصطفى وجهزت لهم كل ما يمكن أن يتحدثوا فيه للرد عليهم.

ـ فكرة الخلافة تجارة وتسييس للدين.

ـ لا أعرف لماذا اختارونى وزيرًا ولا أعرف أيضًا إلى الآن لماذا أعفونى.

ـ هناك فرق من أن تختار دينًا من البداية غير الإسلام أو أن تدخل الإسلام ثم ترتد.

ـ الحكم بالإيمان أو الكفر حكم على أمر جوانى لا يعلمه إلا الله.

ـ الذى أنشأ الجامعة العربية هم الإنجليز.

ـ سعيد رمضان زوج بنت حسن البنا قال: عبد الناصر يعرض علينا وزارة الأوقاف ووزارة التربية والتعليم وإما نشكل الوزارة كاملة وإلا فلا.

ـ نحن أحوج ما نكون إلى كل طاقة بناءة وإلى كل يد معطاءة وإلى كل شخص يسعى للأمن والعدل والسلام.

قصة اللقاء

عندما بدأت أعد للبرنامج كان ضمن الشخصيات التى انتويت أن أسجل معها الدكتور «الأحمدى أبو النور» إضافة إلى أنه كان وزيرًا للأوقاف فى أوائل الثمانينيات من القرن الماضى فهو علامة الحديث النبوى وخبير بالسنة النبوية وله تاريخ طويل فى الدعوة وهو أحد أهم علماء الأزهر الشريف وعضو هيئة كبار العلماء..

وتشاء الظروف وأنا أبحث عن طريق للتعرف عليه كنت فى القاهرة فى أحد أيام الجمعة فى أول ٢٠١٤ وعندما أكون فى القاهرة فى يوم من أيام الجمعة فإنى غالبًا ما أصلى الجمعة فى الجامع الأزهر، فذهبت ومعى أحد أصدقائى لصلاة الجمعة فى هذا المسجد العريق فإذا بى أرى الدكتور «الأحمدى أبو النور» هو الخطيب فى هذا اليوم وكان يتحدث عن الالتزام الأخلاقى وأثره على الفرد والمجتمع، وكان يقف على المنبر وقفة ثابته مرسلًا صوته الهادئ الذى لا تخلو عباراته من جزالة فى اللفظ وسلامة فى اللغة ومنطق فى الفهم البعيد عن التشنج الذى أتعبنا به خطباء اليوم من أصحاب الحناجر الزاعقة وبعد أن أنهى خطبته حاولت أن أصل إليه فلم أستطع. لكن هذا الموقف وكأنه يقول لى أسرع ولا تفوت الفرصة وبعد عدة أيام حصلت على رقم تليفون منزله واتصلت به فكان صوته الهادئ على الخط معى وكلماته التى تحس أنها تخرج من فمه بقدر وبدأ بكلمة الترحيب المثبتة على لسانه والتى عرفت بعد ذلك أنه يبدأ بها محدثه دائمًا «أهلا بكم» وتحس عندما يقولها وينطق بها أنها خالصة بالترحيب لمن يتحدث إليه ناطقة بشدة أدبه وحسن حديثه فعرّفته بنفسى وعرضت

عليه فكرة البرنامج وهى عرض قصة حياته باعتباره قدوة يُقتدى به والتعرض لمسيرته العلمية فى الأزهر وإنتاجه العلمى فى علم الحديث باعتباره أحد أهم علماء الحديث ورأيه فى المشاكل التى يتعرض لها المسلمون فى العالم الآن فوافق وأبدى ذلك بكلمته المرحبة «أهلا بكم»، لكنه اعتذر أن يأتى إلى الإذاعة لكبر سنه فقلت له: أنا آتيك فى أى مكان توافق عليه فوصف لى بيته فى مدينة نصر فى عمارة مشهورة هناك باسم «عمارة الوزراء» فذهبت يقود بى السيارة نجلى عبد الرحمن وسألنا حتى وصلنا إلى عمارة الوزراء وأخذنا المصعد إلى الدور الذى يسكن فيه فضيلته وضغطنا على جرس الباب ففتح بنفسه بوجهه الطيب ولحيته البيضاء المهذبة التى ترسل بالوقار إلى كل من يراه. وكان يلبس جلبابًا أبيض فرفع بصره إلينا وكأنه يستفهم فبادرته بالسلام فقلت له أنا فلان فرحب بنا وقال «أهلا بكم»، فدخلت إلى صالة واسعة مقسمة إلى ثلاثة أقسام القسم الأول على امتداد الداخل من الباب فيه طاقم من كراسى صالون يبدو فخمًا أشار لنا بيده أن نجلس عليه وعلى شمال الداخل من الباب القسم الثانى من الصالة مجموعة كراسى أنتريه منخفضة عليها مجموعة من الوسائد الصغيرة بجانبها أباجورة تضىء المكان بضوء يميل إلى اللون القمحى الفاتح وعلى امتداد هذه الصالة القسم الثالث ليس فيه شىء سوى بعض التحف متوسطة القيمة الموضوعة على منضدتين وبجانبها وعاء فخارى مزين برسوم تجذب إليها الأبصار لجمال تنسيقها بالإضافة إلى تحف زجاجية لطيور وأشكال أخرى يراها من يجلس فى المكان الذى كنا نجلس عليه ومعلق على الحائط لوحات لفن عربى وإسلامى موزعة على حوائط الصالة ـ ويبدو المنزل هادئًا تحيط به السكينة ويلفه وقار ويشمله سلام يحسه الداخل إليه عندما يحتويه المقعد الذى يجلس عليه لعله من شخصية هذا العالم الوقور.

رحب بنا فأبديت سعادتى بهذا اللقاء خصوصًا أن إذاعة القرآن لم تحظ منه بتسجيلات كثيرة وخلعت عليه عبارات المدح والثناء التى يستحقها فشكرنى وطلبت منه أن نبدأ فأذن المؤذن لصلاة المغرب فصلى بنا إمامًا ثم عرضت عليه أن نبدأ وعلى مدى أربع زيارات كانت الأولى فى صالة بيته والثلاثة الأخرى كانت تحتوينا فيها مكتبته المهيبة والتى يحس المرء عندما يدخلها أنه داخل إلى محراب يسكنه الخشوع.

نورها الهادئ تشعر معه أن أرواح من كتبوا هذه الكتب تلف بجناحيها حولك فهذا مؤرخ بكتبه التى تحكى أيامًا لأمم مضت بما لها وما عليها وذاك عالم تفسير عاش مع القرآن ليجلى معانيه والثالث مفكر مبدع جاء بجديد فى الفكر أو فى العلم أو فى دفع حركة العقل لكى ينتج أثره، لكن أكثر الكتب التى تشد ناظريك وتجذب الفضول إليها كتب الحديث ولم لا ونحن فى مكتبة واحد من أكابر علماء الحديث فى العالم الإسلامى لذلك عند دخولى غرفة المكتبة وجدت ما يقرب من أربعين مجلدًا رصت على مكتب طويل على صفين فشدت انتباهى فسألته ما هذه الكتب قال إنه مسند الإمام أحمد بن حنبل سبعة وثلاثون مجلدًا إضافة إلى كل كتب الحديث بشروحها وتعليقاتها على أرفف المكتبة، وكان بجانبى وأنا أجلس كتاب «صدام الحضارات» لصامويل هانتجتون فقلت بينى وبين نفسى هكذا يجب أن يعيش العالم عصره وقضاياه حتى يكون قادرًا أن يشخص الداء لأمة تريد أن تعيش العالم بأصولها الثابتة لكن فى ظل واقع مختلف ومتغير..

كل هؤلاء الذين كتبوا هذه الكتب كُل فى زمانه ترى فى كتبهم أرواحهم التى خلصت للفكر وللعلم حتى أنتجت للبشرية هذا النور الذى يهتدى به السالكون فى الطريق إلى ربهم، وكثيرًا ماكان يوقف ضيفنا التسجيل معه لكى يستعين بعبارة من كتاب لمؤلف ما فى موضوع ما وخصوصًا إذا تعلق الأمر بعلم الحديث تخصصه وهكذا فعل مع كتب العلامة الكبير الدكتور محمد أبو شهبة فى رده على من شكك فى أبى هريرة وفى نسبة كم الأحاديث الكثيرة التى رواها على الرغم من مدته القليلة التى عاشها مع النبى ﷺ.

وسنبدأ فى حوارنا أولًا بالسيرة الشخصية كما جاءت فى الحوار مع فضيلته ثم نتناول رحلته العلمية وتخصصه فى علم الحديث وإلى كتبه ومؤلفاته ورده على منتقدى كتب الحديث ثم فى نهاية حديثنا نكتب ما قاله عن الإخوان المسلمين وعن علاقتهم بالمخابرات الإنجليزية كمعاصر لهذه الفترة ورأيه الشخصى فى الرئيس عبد الناصر وهذه الأخيرة كانت أحاديث لم نرسلها إلى بوق الميكروفون ولا حملتها موجات الأثير.

تقديم الميكروفون

ضيفنا هو أحد أهم علماء الأزهر الكبار ووزير الأوقاف الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء عالم عابد يشع من وجهه ضياء الرضا وهو علم من أعلام الوسطية والاعتدال، مهمة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هى أولى مهامه فى حياته قضى فيها أكثر من ستين عامًا فى خدمة الإسلام والمسلمين وهو مصرى عاش تاريخ مصر قبل ثورة يوليو وبعدها وكان شاهدًا على هذه الأيام منذ أيام الصبا إلى فتوة الشباب حتى ربيع وخريف العمر.

قدم للمكتبة الإسلامية الكثير من المؤلفات فى علم الحديث وهو تخصصه يقصدها طلاب العلم فى كل مكان..

ولد عام ١٩٣٠ وتدرج فى التعليم الأزهرى حتى كان عميدًا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية وعين وزيرًا للأوقاف فى أوائل الثمانينيات..

كان هذا الحوار فى أوائل عام ٢٠١٤.

النشأة وقاهرة ما قبل ثورة يوليو

رضا: عن النشأة والطفولة وعن الوالد خاصة وأنه كان عالمًا أزهريًا ودائمًا ما تذكره فى أحاديثكم.

د الأحمدى: فضيلة الوالد رحمه الله ضمن عشرة من علماء الأزهر أسسوا قسم الوعظ بالأزهر وكان موكلًا إليه خمسين قرية وعزبة ليعمل فيها بالوعظ فى محافظة كفر الشيخ وكان معنيًا بهذه المهمة وكذلك كان جدى رحمه الله وكان أبى يسير على نفس النهج بنفس الإخلاص وكان يتبسط فى كلامه مع الناس وكنت أرى ذلك بنفسى وظللنا فى كفر الشيخ حتى بلغت ست سنوات وانتقلنا بعد ذلك مع الوالد إلى مدينة قويسنا بالمنوفية ثم إلى القاهرة، وبدأت فى القاهرة التعليم الإلزامى والتحقت بالجمعية العامة لتحفيظ القرآن الكريم بحى القلعة قريبًا من مسجد شيخون وسبيل «أم عباس» ولا أزال أذكر الحديقة التى كانت فى ميدان القلعة وكانت هذه الحديقة بها ترعة للأسماك الملونة وكان هذا يستقطب الزائرين.

والحديقة كانت بأشجارها وزهورها وثمارها كانت آية فى الروعة والجمال وأذكر أنه كان بجوار هذه الحديقة صالة باتيناج للرياضيين كان هذا فى فترة أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن الماضى وكنت وأنا طفل أمرُ على مسجد السلطان حسن على يمينى ومسجد الرفاعى على يسارى وأصعد إلى ميدان القلعة ولا أزال أذكر أن التنزه المحبب إلينا أن نذهب إلى هذه الحديقة وإلى هذا الميدان وإلى صالة الباتيناج الرياضية وفى بعض الأيام نستمع إلى موسيقى الجيش فى هذا المكان وموسيقاها كانت تطرب القلوب والآذان.

كان المدرسون يقومون بتحفيظ القرآن وكانت المدرسة بجانب تحفيظ القرآن تدرس لنا الرياضة والإملاء والخط والمطالعة والإنشاء، وكان المدرسون ينتقلون معنا إلى مسجد شيخون ويتوضأون أمامنا للتعليم ثم يصلون بنا. وأذكر أنهم لم يكونوا فقط يحفظوننا القرآن بل كانوا يحرصون على بيان بعض المعانى للآيات التى تستوعبها عقولنا ونحن صغار مثل الوصايا بالوالدين والصدق والأمانة والعدل وكان لهذا أثر فى التربية الأخلاقية فى هذه الفترة المبكرة لأن الإشراف على تربية الأولاد بنين وبنات فى المنزل أو المدرسة أو علاقات الصداقة يجب أن تتحد جميعًا فى بث القيم التربوية للطفل فى هذه السن ويكون ذلك غرسًا سويًا فى المجتمع وفى تنمية المجتمع سواء تخصص المرء فى الجانب المادى فى المجتمع كالطب والهندسة أو فى المجال الدينى فيجب أن تكون البداية دينية وأخلاقية لأن التربية الدينية والأخلاقية هى أساس التعامل فى المجتمع بغض النظر عن التخصص، نأخذ دليلًا على ذلك قصة سيدنا يوسف فالله قال فيه على لسان يعقوب ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ هذه هى التربية الأخلاقية التى تحدثت عنها الآية وهى هداية الوحى ثم كان العلم الذى تعلمه يوسف وهو علم التخطيط والزراعة والتخزين والتنمية الزراعية والإدارة لذلك عندما اختاره الملك واصطفاه طلب منه يوسف كما حكى القرآن ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ حفيظ ثمرة التربية الأخلاقية وعليم ثمرة التربية التخصصية لذلك جمع بين التربية الأخلاقية والتربية العلمية وكان لذلك أثره فى تنمية مصر فى حينه وكذلك رأيت التعليم فى هذه الفترة المبكرة من حياتى فى قاهرة غير التى نعيشها الآن.

رضا: المؤثرات التى أثرت فى شخصية الدكتور الأحمدى فى هذه الفترة وأهم الشخصيات التى تركت أثرًا فى الطفولة وبداية الصبا.

د الأحمدى: أول من أثر فى حياتى الوالد ـ رحمه الله ـ بعنايته بالسلوك والأخلاق وبتحفيظى القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية كما حفظنى بعض المتون فى الجانب الفقهى أو فى الجانب المتعلق بقراءة القرآن فى هذه الفترة وكان يمكن بعد حفظى للقرآن فى سن الثانية عشرة من عمرى أن أدخل الأزهر ولكنه آثر أن أعيش سنة كاملة فى مدرسة التجويد والقراءات فى رحاب جمعية المحافظة على القرآن الكريم الذى كان ناظرها الذى أصبح بعد ذلك شيخ عموم المقارئ المصرية الشيخ عامر السيد عثمان رحمه الله معه الشيخ محمد سليمان وكان يدرس السنة الأولى من هذه المدرسة التى كانت الدراسة فيها من أربع سنوات، وقرأت عليه القرآن كله برواية حفص فى السنة الأولى وتعلمت على يديه بل وحفظت كتابين هما متن تحفة الأطفال ومتن تحفة الجزرية وحفظت أيضًا فى هذه السنة خمسمائة بيت من الشاطبية من ألف ومائة وسبعة عشر بيتًا تتكون منها الشاطبية وكان سنى أثنتى عشرة سنة وكان سنى بعد أن انتهيت من هذه السنة ثلاث عشرة سنة ولم أكمل فى هذه المدرسة ولو عاد بى الزمان لكنت قد انتهيت تمامًا من دراسة القراءات فى الأربع سنوات ولم أكتف بسنة واحدة لأنى أرى أن من يدرس القراءات يكون أمامه محيط من العلم والفقه واللغة والأحكام ويكون لديه ثقافة علمية ضخمة جدًّا وهذا يفيد العالم الذى يشتغل بالتفسير وهذه السنة رغم عدم كفايتها جعلتنى أقبل فى الأزهر بل أعجب وقتها شيخ معهد القاهرة الذى حضر امتحانى الشفوى فى القرآن وأثنى على قراءتى وشكرنى عليها، لذلك لما أنشئ معهد القراءات فى كلية اللغة العربية تقدمت ونلت الدرجة الأولى على المتقدمين فى رواية حفص كل ذلك كان نتاج هذه السنة الميمونة التى درست فيها فى مدرسة التجويد والقراءات.

رضا: الميلاد كان ١٩٣٠ إذا فقد عشت أكثر من عشرين سنة قبل ثورة يوليو فى ظل الاحتلال الإنجليزى صورة القاهرة بل مصر كلها كيف رأيتها فى هذا الوقت؟

د الأحمدى: رأيت مصر فى هذا الوقت تأبى أن يكون فيها احتلال وشهدت المصريين فى ميدان التحرير الذى كان يطلق عليه حينئذ ميدان الإسماعيلية وكان

الإنجليز لهم معسكر فى الميدان الذى فيه الآن مبنى جامعة الدول العربية وكنت أسمع ماكان يدور فى بورسعيد والإسماعيلية والبلاد الأخرى من انتفاضة الشعب على الإنجليز وكان النظام ملكيًا وظل الشعب يقاوم حتى دحر الاحتلال وكنا شغوفين جدًّا بهذه الأخبار التى تأتينا من جميع المدن..

وأذكر عندما قامت ثورة يوليو أخذتها أنا بدء من الجامع الأزهر ورأيت كيف تم الاعتداء على محلات داوود عدس والمرجوشى التى كانت محلات لأجانب وانطلقت معهم إلى ميدان الأوبرا ووجدت كيف تم إحراق الأوبرا ثم دخلوا إلى شارع فؤاد الذى أصبح شارع ٢٦ يوليو وكان عمرى اثنتين وعشرين سنة وعشت أزمة ٤ فبراير حينما أحاطت الدبابات بالقصر لتفرض مصطفى النحاس كرئيس للوزراء على الملك، فرفض النحاس ذلك..

عشت فترة من الملك فاروق وكانت فترة مهمة تثير فى نفوسنا معانى الوطنية وكنا كشباب نعتز بمصطفى كامل ومحمد فريد ونقرأ لهما ونقرأ أيضًا لسعد زغلول وبالتالى عشنا فترة سياسية خصبة وعشنا حرية الكلمة فى مصر، ودليلى على هذا أن الوفد كأشهر الأحزاب الموجودة فى هذه الفترة وكان فيه الأحرار الدستوريون والسعديون لكن الوفد كان أقواها وأكبرها ولما اختلف مصطفى النحاس مع مكرم عبيد الذى كان خطيبًا مفوهًا وكان يحفظ القرآن الكريم كاملًا وكان كثيرًا ما يستشهد بآيات القرآن فى خطبه، وأذكر أنه شكل الكتلة الوفدية ويعنى هذا شجاعة أدبية فائقة من مكرم عبيد وكان له عمق واحترام عند المسلمين من المصريين وأذكر أننى عندما كنت ذاهبًا إلى المدرسة قرأت فى صحيفة الكتلة الوفدية التى أنشأها مكرم عبيد لتكون متحدثة باسم كتلته الوفدية قرأت فيها لمكرم عبيد يقول:

«هؤلاء النحاسيون كأنهم أعجاز نخل خاوية لاترى لهم من باقية».

معنى هذا أن هذه الفترة كانت فترة حرية الكلمة وتلاحم بين قوى الشعب المصرى ولم نكن نسمع أبدًا عن فتنة طائفية وحسبنا أن نعلم أن أحد وزراء الأوقاف السابقين الدكتور عبد المنعم النمر كان عنده عمارة فى شبرا كنت أحد ساكنيها وكان بها مسيحيون ولم يشعر أحد أن هناك عداوة أو كراهية إطلاقًا فهذه الفترة التى عشناها

كانت فترة سياسية ممتازة لأن فيها رجال سياسة لهم تاريخ سياسى طويل، وكان البيت الواحد يضم الوفدى الذى يؤمن بمبادئ الوفد والآخر يمكن أن يكون سعديًا أو من الأحرار الدستوريين ولم تحدث أية غضاضة بل كانت حرية الرأى والفكر هى السائدة.

رضا: المستوى الاقتصادى فى مصر فى هذا الوقت وحالة المصريين كيف رأيتها؟

الأحمدى: كنا نسمع دائمًا عن الأعداء الثلاثة الفقر والمرض والجهل، لكن الحلول الجذرية لهذا الثالوث ما وجدت فيها إلا القليل فكان المعلم فى التدريس الابتدائى يتقاضى ما يقرب من ثلاثة جنيهات وجاء أحمد نجيب الهلالى أحد وزراء الوفد وقرر أن يزيد هذا المرتب ٣٠٪ فزاد المرتب إلى أربعة جنيهات وهذا الجنيه جعل المعلمين يحتفلون بنجيب الهلالى شكرًا له على هذا الجنيه، لكن ومع ذلك كان هذا الجنيه يمكن أن يأتى بالكثير فمثلًا أنا دخلت الجامعة سنة ١٩٥٢ وكنت أتقاضى مصروفًا شهريًا قدره جنيهًا واحدًا وكانوا يدفعوا لى أبونيه فى المواصلات وكنت سعيدًا فى حياتى ولعل الاحتلال الإنجليزى فى هذه الفترة لم يجعل مصر تستطيع أن تفعل الكثير فى هذه الفترة من الناحية الاقتصادية.

رضا: اخترت الدراسة فى كلية أصول الدين لماذا؟

الأحمدى: كان الوالد يريد أن أدخل كلية الشريعة والقانون ولكنى قارنت فى هذا الوقت بين كلية أصول الدين وبين كلية الشريعة فوجدت أن كلية الشريعة تفرض علىَّ دراسة الأحكام وأن كلية أصول الدين تدرس التفسير كله والحديث، وعندما حادثت فضيلة الوالد وضحت له وجهة نظرى ثم قلت له إن أصول الدين بها مواد أخرى كالتاريخ والسيرة وعلم النفس وما يتعلق بالعقيدة وطمأنته أننى يمكننى فى الإجازة الصيفية أن أحصل على قدر أوفر من الدراسات الفقهية وبالتالى أجمع بين رغبة الوالد ورغبتى أنا بالالتزام فى كلية أصول الدين ووافقنى على هذا، وكان ذلك عهده معى طوال دراستى بالأزهر فكان يشرح لى الدروس قبل أن أحضرها وعلمنى عدم الاقتصار على الكتاب المقرر وإنما يجب الرجوع لأكثر من مرجع للمعلومة الواحدة وفعلًا كنت أدرس فى الكتاب الواحد كتاب وكتابين حتى أُلم بموضوع الكتاب تمامًا

والدراسة الحقيقية فى الأزهر تقوم على الحوار العلمى بين الطالب والأستاذ، وهذا موجود فى كتب التراث فالإمام الشافعى فى كتابه الرسالة نحى هذا المنحى، ألفه على الأسلوب الحوارى.

ومن حظنا أن الله وهبنا فى هذه الفترة مدرسين فترة الابتدائى والثانوى كان من حقهم أن يُدرسوا فى الجامعة لما لديهم من علم وفكر. وكانت مدرستى فى الابتدائية الأزهرية بعد الابتدائية العامة أربع سنوات بالنسبة للنحو تدرس أول سنة كتاب التحفة السنية شرح (المقدمة الأجرومية) (وفى السنة الثانية تدرس) تنقيح الأزهرية (وفى السنة الثالثة تدرس كتاب) قطر الندى وبل الصدى «لابن هشام» وفى السنة الرابعة تدرس لابن هشام أيضًا كتاب (شذور الذهب) والمرجعية والشواهد فى هذا الكتاب تكون من القرآن والسنة، وبنهاية الابتدائية نكون قد درسنا كل هذه الكتب فى النحو.

وفى المرحلة الثانوية ندرس ألفية ابن مالك فى النحو بشرح ابن عقيل وهذا يلزمنا بإعراب الألفية والشواهد التى يتأتى بها الشارح وهو ابن عقيل، وفى السنة الثالثة والرابعة والخامسة ندرس كتاب ابن هشام أيضًا وهو باسم [أوضح المسالك فى ألفية ابن مالك] وهذا الكتاب يتحدث عن الألفية وعن فلسفة النحو العربى من خلال شرحه للألفية، واذكر الشيخ الذى كان يدرس لنا الشيخ محمد مصطفى وكان فى غاية الالتزام والعلم، آتاه الله بسطة فى العلم والجسم، يدخل من الباب الساعة الثانية تمامًا ويده فى جيبه.

ويقول: يا أولاد أنتم سمعتم آخر نكته؟

فنرد: لا ما سمعناش.

فيقول آخر نكته، ثم يقول: سمعتم النكتة اللى بعدها، نقول: لا ماسمعناش، فيقول كمان نكته، ثم يقول: يلا نبدأ، ثم يشرح لنا النحو كمن يعشق محبوبته، فكان النحو معشوقته ومحبوبته وكنا نحس بذلك، وكان أسلوبه سهلًا ممتنعًا وكنا نجلس من أول دقيقة إلى آخر دقيقة وعلى الرغم من صعوبة المادة ألا أنه سهولة شرحه وحبه للمادة جعلنا نستوعب النحو تمامًا.

وسوف أقول شيئًا فى فضيلة الوالد أنه كان يحاورنا ويأخذ رأينا وفى نهاية حوارنا

نتفق على ما نريد ويقنعنا أو نقنعه وكذلك كان معنا فى تقرير مصيرنا وما نريده وكان يتابع ويشجع.

وانتهيت من الدراسة فى أصول الدين سنة ١٩٥٦ وكنت أول دفعتى وعشت سنة بعد تخرجى فى كلية اللغة العربية وعشت هذه السنة مع علماء التربية وعلم النفس لأنى كنت بحاجة لدراسة أصول التربية وطرق التدريس وتخرجت فى هذه الدبلومة وكان ترتيبى الرابع، وطُلب منا بحث فى نهاية السنة فقدمت بحثًا عمليًا لشرح الممنوع من الصرف ومثلت الممنوع من الصرف كقطعة المعدن النقية التى يمكن أن تشترى بها ما تريد فإذا لحق بهذه القطعة ما يشوبها من معدن آخر لا تصرف ومن هنا شرحت لهم أن الممنوع من الصرف له أسبابه التى تجعله لا يصرف منها الأسباب العلمية وغيرها من الأسباب، وهذا لعشقنا للمادة.

وحصلت من قسم العقيدة والفلسفة على دبلوم دراسات عليا سنة ١٩٦٢، ودرست فى هذه السنة المنطق القديم فن وشرح وسبعة حواشى كانت تسمى «حواشى القطب على الشمسية» وغيرها فى مادة العقيدة كذلك، وكنت الوحيد الذى نجح فى هذه السنة لاننى كنت مستمتعًا بهذه الدراسة وبعد ذلك عُينت معيدًا فى قسم الحديث بكلية أصول الدين سنة ١٩٦٣ وكان الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين فى هذا الوقت، وقال لى د. عبد الحليم محمود: لا بد أن تكمل فى قسم العقيدة والفلسفة لأنك حصلت فيه على الدبلومة ويمكن أن تنجح فى هذا المجال.

قلت له: الرسول ﷺ يبعث لى أقوم أسيبه وأروح لسقراط وأفلاطون.

فضحك الرجل، لكن فيما عرفته بعد ذلك أنه كان يمكن أن أجمع بين الحسنين بين دراسة الحديث وبين العقيدة والفلسفة التى كنت قد حصلت فيها على الدبلوم، لكن هذا ما حدث.

رضا: فى عام ١٩٧٠ كانت رسالة الدكتوراه فى الحديث النبوى وعلومه وكان موضوعها [منهج السنة فى الزواج] وحصلت فيها على امتياز مع مرتبة الشرف الأولى. فلماذا اخترت هذا الموضوع؟

الأحمدى: كنت قد قدمت بحثًا عند اختيارى معيدًا فى قسم الحديث بعنوان

[الحياة الزوجية فى ظل القرآن والسنة] وعند اختيار موضوع الدكتوراه أردت ان أُلم بهذا الموضوع تمامًا فى القرآن والسنة، فنصحنى عميد الكلية آنذاك الدكتور أبو الروس ان أتوسع فى هذا الموضوع برسالة الدكتوراه وهذا ما حدث.

محاورة جماعة التكفير والهجرة

قتلة الإمام الذهبى

رضا: وقت أن كنت عميدًا لكلية الدراسات الإسلامية طُلب منك أن تحاور جماعة التكفير والهجرة التى قتلت الإمام الذهبى شيخ الأزهر ما قصة هذا الموضوع وماذا دار فيه؟

الأحمدى: طُلب منى وأنا عميد كلية الدراسات الإسلامية آنذاك أن أناقش هؤلاء فى موضوعات ومنها وأهمها إنكارهم الإجماع وإنكار الإجماع موضوع فى الفقه وأصول فقه، وهذا يجب أن يوكل لأساتذة كلية الشريعة والقانون، فعقدت اجتماعًا وقلت من يعرف أحدًا له علم فى موضوع الإجماع فليدلنى عليه فدلنى أحدهم على الدكتور «محمود فرغلى» ورسالة الدكتوراه الخاصة به فى موضوع الإجماع، فطلبت رسالة الدكتوراه من الرجل وقرأتها فوجدته إمامًا وحجة فى الموضوع ورأيت أنه أجدر منى فى النقاش مع هذه المجموعة فطلبت منه أن يقوم هو بهذه المهمة وسأكون معه، لأن المسألة ليست مسألة شهرة ولا وجاهة، فاعتذر الرجل بأدب، فكان لزامًا علىَّ أن أقوم بهذه المهمة لأننى لو اعتذرت سيكون الأزهر منها فى عيون الناس.

فبحثت فى الموضوع ووجدت أننى يجب علىَّ أن اجتمع مع هؤلاء من طريقين، الأول: أن أحيط بالموضوع من كل الجوانب، الثانى: أن أحصل على كل المعلومات المتوفرة عن فكر هؤلاء الشباب وما هى الموضوعات التى يثيرونها ووجهة نظرهم بشأنها، وكانت هذه المعلومات والأسئلة فى ثمانى صفحات كاملة، وكانت أسئلة ليست عبثية وأنما كان بها بعض الثغرات التى دخلوا منها إلى هذا التطرف.

و كان من أهم ما تكلموا فيه أن الإجماع مستحيل فى عالم فيه أكثر من مليار نسمة [وقتها] فرددت عليهم فى هذا أن هناك أمورًا مجمع عليها فى كل الدنيا وهذه الأمور

ثابتة عند كل المسلمين كالمعلوم من الدين بالضرورة وأركان الإسلام وتحريم الربا وتحريم الزنا والإجماع فى فترة بعينها وهى عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى هذا الإجماع يمثل المدرسة الأولى، فكل ما شابه حدث فى هذا الوقت يأخذ حكمه لكن ما استجد من أمور الحياة لابد أن يكون عليه توافق جماعى وهنا تتدخل المؤسسات العلمية مثل منظمة المؤتمر الإسلامى ومجمع البحوث الإسلامية وهيئة كبار العلماء وجميع الهيئات العلمية فى شتى أنحاء الأرض وكان سجالًا بينى وبينهم، لكنهم قبل أن يتحدثوا لى سألونى بتهكم: كيف حصلت على مقعد مجلس الشعب؟

وأنا تعلمت ألا أخسر محاورًا أو مناقشًا، لذلك لا أحتقر محاورًا فقلت لهم: سأفترض معكم جدلًا أن الحوار فى الندوات كان هو السبب كما تقولون، لكن سأسألكم هل كنت الوحيد فى هذه الندوات؟ قالوا: لا، كان معك، مجموعة من الأساتذة. قلت: وهل كل هؤلاء قالوا لا؟، قلت: إذا فهذه ليست مكافأة على هذا العمل لأنها لو كانت كذلك لعُين كل من شارك فى هذه الهمة.

وتركت لهم الفرصة لكى يسألوا فى كل شىء لأننى كنت حريصًا على أن أسمعهم ويسمعوننى، فبدأوا يسمعوننى واقتنعوا بما قلت لهم خصوصًا فى الإجماع وكيفيتة فى زماننا هذا على أن تكون الآية الخاتمة فى هذا الموضوع ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

فالرد إلى الله والرسول فى حياة الرسول والرد بعد الرسول ﷺ إلى سنته وسنة الخلفاء الراشدين، والسنة فيها صلاحية طالما كان هناك دراسة وطالما لم يكن هناك تسييس للفتوى وطالما أستند فيها إلى أصول الفقه والاستحسان والمصالح المرسلة فى الوصول إلى الحكم، فالقضايا عندما تدرس بنزاهة وموضوعية ويراعى فيها تقوى الله سنلتقى.. وكان هذا الحوار يسجل فى جهاز تسجيل وأمرت السلطات أن يذاع عليهم جميعًا أى جماعة التكفير والهجرة وأتى بنتائج طيبة فى هذا الوقت.

رضا: كان لكم لقاءات كثيرة مع الشباب من خلال البرنامج الشهير فى هذا الوقت

[ندوة الرأى] وحاورت جماعة التكفير والهجرة وزعيمهم شكرى مصطفى. احك لنا عن هذه التجربة.

الأحمدى: اتصل بى مسئولون كبار فى أمن الدولة وطلبوا منى أن أحاور هؤلاء الشباب، وقالوا لى: نريد أن نعرف هل هؤلاء الشباب على حق أم على باطل؟ فسألتهم: ومن دلكم علىَّ؟

قالوا: إن الذى رشحك أ.د. موسى شاهين لاشين، وكان نائب رئيس الجامعة وكان من أكبر أساتذة علم الحديث رحمه الله. فطلبت منهم كل ما يقول به هؤلاء الشباب.

فذهبت إليهم وتعمدت أن يكون معى الكتاب الذى يحوى الدليل الذى أرد به عليهم، وعند أول لقاء صارحتهم أن الذى أرسلنى إليكم [أمن الدولة] وقلت لهم بوضوح لا تتبعوا أفكارى ولكن انظروا فى الدليل الذى أستند به على كلامى وبعد ذلك لكم رأيكم.

وأنا طبيعتى أن احترم أى فكر ليحترم فكرى وأسمع له ليسمع منى وهذا ما حدث مع هؤلاء الشباب. وعاهدت الله بينى وبين نفسى ألا أغضب من أى شذوذ فى القول أو فى السلوك، وكان يحدث، ففى مرة من المرات كان معى أحد الزملاء وأنا أحاور هؤلاء ورأى ردودهم وأفعالهم معى فقال والله لو أنا مكانك لمسكت الكرسى ودشدشت دماغه.

وكانت المناقشات حامية وكان منهم من يناقش بقوة مثلًا كان فاشيًا عندهم أن المسلم إذا أصاب معصية ومات دون أن يتوب فهو مخلد فى النار، فقلت وما دليلكم؟

فقالوا: قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

فقلت لهم الحديث الشريف يقول «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

إذا يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فسألتهم: لمَ دخل النار؟

قالوا: للمعصية

فقلت: ولمَ خرج منها؟

فيكون الرد الطبيعى لما فى قلبه ولو مثقال حبة من خردل من إيمان إذا كتب الله ألا يخلد فى النار موحدًا، وبالتالى اقتنعوا بهذا الكلام بأنه لا يخلد فى النار مؤمن موحد حتى لو دخلها واستشهدت أيضًا بالآية «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء».

وكذلك ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وكانت هذه من أهم المسائل التى اقتنعوا بها.

وكذلك كانت الفكرة المسيطرة عليهم أنهم الآن (فى أوائل الثمانينيات) فى زمن الخلافة التى على مثال خلافة النبوة ففى الحديث «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم تكون ملكًا عضوضًا ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ففهموها على أنها الدعوة التى جاء بها شكرى مصطفى وأنهم الجماعة التى سميت بجماعة التكفير والهجرة وإلى الآن ونحن نسمع هذا الكلام بنفس المفهوم وهى نغمة يخدعون بها السذج فقلت لهم وهل أنتم الذين تحددون الزمان الذى تكون فيه الخلافة التى على منهاج النبوة وقلت لهم:

قيل فى هذا الحديث أن الخلافة التى على منهاج النبوة هى خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز وهى خلافة بعض الخلفاء الأربعة لكن هؤلاء الشباب كانت تتملكهم الفكرة ويفسرون النصوص على هواهم ويريدون أن يفرضوا هذا الفهم على المجتمع، فكان فهمهم لهذا الحديث أن الملك المقصود كان من معاوية بن أبى سفيان حتى جاء خليفتهم وهو شكرى مصطفى، فهكذا فهموا الحديث.

ففكرة الخلافة تجارة وتسيس للدين، لماذا؟ لأنه فى الوقت الذى قال كلامه عن منهاج النبوة قال: أنا الخليفة. ولم يكتف بذلك بل قال: أنا المهدى المنتظر، هكذا قال شكرى مصطفى، وهكذا اتبعوه. وكانوا كما رأيت مقتنعين فعلًا به كخليفة وكمهدى منتظر، وأنه سيرث الأرض معهم ويقيم عليها العدل، فناقشت هؤلاء وكانت الفكرة قد تزلزلت عندهم لماذا؟

لانه بعد إعدام شكرى مصطفى تهاوت المقدمات والمقدمة الأولى أنه المهدى المنتظر، والمقدمة الثانية أنهم الجماعة المؤمنة الوحيدة على ظهر الأرض، المقدمة الثالثة أن جميع الناس دونهم كفرة وما دام الناس كلهم كفرة فيكون حلالًا عرضهم وأموالهم لأن تعميق فكرة الكفر فى إنسان تجعله وحشًا وهذا ما حدث منهم فى هذا الوقت.

وفى الحقيقة أن شكرى مصطفى كان فيه كاريزما الزعامة ويحسن التأثير على أتباعه من تفسيره للقرآن والسنة على هواه.

أثمرت حواراتى هذه مع الشباب، رجوع كثير منهم عن هذا الفكر لأنى كنت أناقشهم جماعات وأناقش من أراد أن يتفرد بى خاصة، وأناقش معهم كل ما يمكن طرحه، ويجب أن يكون ذلك هو السبيل مع الشباب.

وللحق كنت إذا أقمت لهم الدليل على شىء يسلمون به ويقتنعون، وأذكر شابًا كان جريئًا علىَّ وكان أبوه محافظ مطروح وتطاول هذا الشاب علىَّ بما لا يليق، ولكن بعد الحوار جاء إلىَّ فى غرفتى واعتذر فقبلت اعتذاره وقلت له إنك ابنى ولا عليك، وأذكر أن زميلة فى الكلية غضبت غضبًا شديدًا من تصرف هذا الولد معى وكانت لها صله به وجاءت لتعتذر فطلبت منها أن تأتى بهذا الولد إلى بيتى فتعجبت هذه السيدة ولكن تحت إصرارى جاء الولد مع أبيه بعد هذا الموقف واعتذر ونشأت بيننا علاقة طيبة.

وبعدها اتصل بى وطلب منى تزويده بالكتب وأصبحت علاقتى به علاقة قوية وهذا نموذج من النماذج التى لو لم تصبر عليها لما نجحنا معها وهكذا يجب أن يعامل الشباب.

رضا: من ١٤/ ٧/ ١٩٨٤ إلى ١١/ ١١/ ١٩٨٦ كنت وزيرًا للأوقاف ورئيسًا للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية كيف عشت هذه الفترة خصوصًا أنه منصب سياسى؟ وحضرتك قلت «لا أعرف لماذا اختارونى ولا أعرف لماذا أقالونى».

الأحمدى: منصب الوزير لم يكن هدفًا ولا مطمعًا لكنى فوجئت به، فأستاذيتى فى الجامعة كانت ما أطمح إليه فى هذه الحياة لكن فى هذه الفترة لم يكن مستحسنًا الاعتذار عن المنصب لأمور لا داعى لذكرها الآن

وفى الحقيقة أقول لك لا أعرف لماذا اختارونى ولا أعرف أيضًا لماذا أعفونى.

إلا أننى لم أكن فى مطبخ السياسة؟ ولا أعرف عنها شيئًا، لكن دعوت الله أن يوفقنى فى خدمة الدعوة، لذلك أول ما استلمت المنصب جمعت الجميع فى الوزارة وقلت لهم إنكم جميعًا إما تلميذ لى أو زميل فى العمل، وبالتالى فنحن نريد أن ننجح فى مهمتنا، وقلت لهم إن الإمام هو جوهر الأمر فى وزارة الأوقاف واجتمعت بالائمة وقلت لهم فى وضوح إن وزير الأوقاف هو حامى الأئمة والمسئول عنهم، فيجب أن تخلصوا وتتقوا.

رضا: قضية الأوقاف الخيرية وإدارتها كيف تعاملت معها فأنت وزير الأوقاف وقتها؟ خصوصًا أنك قد صرحت فى هذا الموضوع ببعض أنواع الفساد فى أموال الأوقاف؟

الأحمدى: كنت حريصًا على أموال الأوقاف وأذكر أن محافظ الجيزة وقتها طلب أرضًا لإنشاء مخبز آلى وطلب ستة آلاف متر ليقام عليها هذا المخبز فسألت: ما هى أقصى مساحة يقام عليها المخبز الآلى؟

قيل لى أقصى مساحة ستمائة متر فأرسلت له بهذه المعلومة أننى سأعطيك ستمائة متر وهذه هى المساحة التى يتطلبها المخبز، ولن أعطيك غيرها فشكانى إلى رئيس الوزراء وأعلمه بموقفى، فشُكلت لجنة ثلاثية من محافظ الجيزة مع أستاذ بكلية الهندسة مع وزير الأوقاف وهو أنا، وبالتالى لم يأخذ إلا ستمائة متر فقط أيضًا كان فى الساحل الشمالى وقف السيدى كرير لا يقل عن ٢٨ ألف فدان حافظنا عليه بالإضافة أن هناك كان كثير من أموال الأوقاف فى كل ربوع مصر حافظنا عليها.

كتابة الحديث النبوى

رضا: وأنتم من أهم علماء الحديث الآن يجب أن نثير هذه القضية ونناقشها معكم لأنها محل للنقاش دائمًا أن الحديث النبوى لم يكتب إلا بعد النبى ﷺ بمائتى سنة. وهذه الشبهه هى المثارة دائمًا. فمتى كتب الحديث النبوى؟ وهل هو فعلًا لم يكتب ولم يدون إلا بعد النبى بمائتى سنة؟

الأحمدى: الحقيقة أن النبى ﷺ نهى عن كتابة الحديث ثم أمر بكتابته والأمر يحتاج إلى توضيح، فثبت أن عبد الله بن عمرو بن العاص جاء إلى النبى ﷺ وقال: إن قريشًا قد نهتنى أن أكتب عنك الحديث وقالوا: أن محمدًا بشر يغضب ويرضى ويصيب ويخطئ فكيف تكتب وراءه (وكان معروفًا عنه أنه يكتب عن النبى).

فماذا أصنع يا رسول الله؟ فقال له النبى ﷺ: اكتب، والذى نفس محمد بيده ما يخرج منى إلا الحق. وهذا يدل على أمر النبى له بالكتابة وكتب عبد الله بن عمرو صحيفته ودونها بأمره ﷺ «اكتب» وقد طبعت هذه الصحيفة عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمر وحفظت إلى الآن وهى محفوظة وصحيفة بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وصحيفة على بن أبى طالب وهى من إحدى الصحف المكتوبة والتى دون فيها على أحاديث النبى فى حياته وكان البعض يعتقد أنها خاصة بالخلافة عن الرسول والحكم فبين على بن أبى طالب أن هذه الأحاديث لم تكن تعنى هذا، وكان أبو هريرة وهو قد أسلم سنة ٧ من الهجرة وأعلم أنه أكثر الصحابة هجومًا لهذا السبب لكن المهاجمين فى قلوبهم مرض فاتهم شىء وهو أن هذه السنوات الأربع كان أبو هريرة متفرغًا تمامًا لحفظ الحديث فلم يشغل نفسه بتجارة ولا بعمل وكان ذا ذاكرة قوية لأنه ثبت أن النبى ﷺ دعا له بالحفظ فكان إذا سمع حديث لم ينسه، لكن هؤلاء قد فاتهم أن أبا هريرة قد عاش حتى ستة ٥٧ أى بعد النبى ﷺ بحوالى خمسين سنة فكل هذه السنوات كافية فأخذ الحديث عن كثير من الصحابة وكثير من الصحابيات وكان دقيقًا فى الرواية فكان عصر أبى هريرة عصر الاحتفال المؤمن المتبتل بالرواية والحرص على أن يكون الحديث كما نطق به النبى ﷺ، وكان أبو هريرة كما يمكن أن يقال الآن أستاذًا متفرغًا لهذه المهمة وكان يأمر من يكتب الحديث وكان من تلاميذه همام بن مبنه وصحيفته موجودة ومطبوعة حققها الدكتور رفعت فوزى أستاذ الحديث فى كلية دار العلوم، فكان كتابًا ضخمًا والإمام أحمد بن حنبل الذى توفى ٢٤١هـ أخذ هذه الأحاديث فى مسنده وجعل منها مسند أبى هريرة كما فعل لرواة الحديث من الصحابة، وكذلك فعل الإمام الشافعى الذى توفى سنة ٢٠٤ هـ وكذلك الإمام مالك كتب الموطأ.

فكل هذه المصنفات تستند إلى الرواية الصحيحة. فلو أتينا إلى البخارى محمد بن

إسماعيل البخارى وفاته ٢٥٦ هـ وكان من أساتذة عبد الله العقبى وهو تلميذ مالك ومالك تلميذ نافع ونافع تلميذ ابن عمر وابن عمر تلميذ الرسول ﷺ فالمسافة ليست بعيدة، وهؤلاء معروف عنهم الورع والدقة فى النقل والخوف من تغير حرف أو كلمة فى أحاديث لأن النبى قال:

«من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

وقال عليه الصلاة والسلام بالنسبة للعمد أو غير العمد: «من قال على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار».

وقال أيضًا ﷺ: «نصر الله امرء سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمعها فرب مُبلغ أوعى من سامع».

إذن الوعى بالعقل والسماع بالأذن والانفعال معها بالقلب، ثم قال النبى ﷺ «ثم أداها كما سمعها» فالكاف تدل على أن الراوى يؤدى كما سمع وهكذا فعلوا رضى الله عنهم. والحقيقة أن الهجوم دائمًا يكون على أبى هريرة لهذه الأسباب.

وثبت أن السيدة عائشة كانت تمتحن الرواه، فكانت تكلف ابن اختها اسماء بنت أبى بكر وهو عروة بن الزبير الرواة أن يأخذ من الذين كتبوا الحديث عن النبى ﷺ وهذا فى موسم الحج ثم تأتى بعد سنة فى موسم الحج القادم وتسألهم عما سألتهم فيه العام السابق وتتوثق أنها هى الأحاديث التى اطلعت عليها فى العام السابق. فتقول حينئذ:

«أراه لم يزد ولم ينقص لقد صدق».

وكانت تفعل ذلك مع كثير من روى عن النبى ﷺ من الصحابة كما فعلت مع عبد الله بن عمرو.

وإذا اختلفوا فى الرأى يتحاجون فيما بينهم فمثلًا عرض على أبى موسى الأشعرى فتوى فأفتى فيها برأى فذهبوا إلى عبد الله بن مسعود وقالوا لقد سألنا أبا موسى فأجاب بكذا، فأدرك عبد الله بن مسعود أن أبا موسى أخطأ فذهبوا مع عبد الله بن مسعود إلى أبى موسى.

وقالوا: أنت قلت كذا وكذا.

قال: نعم.

فقال له عبد الله بن مسعود: ألم تذكر موقف كذا وكذا مع النبى ﷺ.

قال: نعم لقد كنت ناسيًا وقال أبو موسى الأشعرى وقتها أمام جميع الناس: لا تسألونى عن شىء، وهذا الحبر فيكم، يقصد عبد الله بن مسعود على اعتبار أنه أكثر من أكثر رواة الحديث من الصحابة أيضًا فى الإمام الزهرى لأنه أكثر التابعين رواية وعلى البخارى لأنه الكتاب الأصح من كتب الحديث وهنا لابد أن ننتبه إلى هذه القصة، فإن التشكيك يكون فى ثلاثة مصادر رئيسية فى رواة الحديث وهم أبو هريرة من الصحابة والزهرى وصاحب الصحيح الإمام البخارى.

والرواية التى قلناها لعبد الله بن عمرو دليل قاطع وحاسم على كتابة الحديث النبوى فى عهد الرسول ﷺ وبإذنه أيضًا وهذا يرد على كتابة الحديث فى عهد النبى ﷺ وهذا فعله كثير من الصحابة أيضًا أحد الصحابة وكان يسمع خطبة من النبى ﷺ وكان اسمه أبو شاه فطلب من النبى ﷺ أن يكتب هذه الخطبة حتى يبلغها لقومه فقال النبى ﷺ: اكتبوا لأبى شاه وهذا دليل آخر وصحيح.

أما الإمام أبو شهاب الزهرى فقد كان التشكيك فيه كثير، ومن السهام التى وجهت إليه أنه كان وضاعًا للحديث وشككوا فى رواية هذا الحديث الذى يقول فيه النبى ﷺ

«لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا».

فقالوا إن هذا الحديث موضوع من الزهرى لكى يمالىء به الدولة الأموية التى كانت عاصمتها الشام، وهذا الأمر أمر سياسى وهم يقولون إن دولة بنى أمية كانت تريد أن توجه الناس إلى الشام ومن ثم فقد جاء الزهرى بهذا الحديث لكى يرفع من شأن الدولة الأموية لكن الواقع فى شخصية الزهرى أنه كان ورعًا ويعلم أن من يكذب على النبى ﷺ فليتبوأ مقعده من النار ولم يثبت عليه ممالأة لبنى أمية ولم يعهد عليه وضع الأحاديث بل كان أشد الرواه توثيقًا ودقة والدليل على ذلك أن هذا الحديث قد روى فى الصحيحين البخارى ومسلم وهذا الحديث بالذات قد رواه غير

الزهرى رواه آخرون لا علاقة لهم بالزهرى وهم من الرواة الذين لا يتطرق إليهم شك ولا ريب وهم ثقات.

إذا فهذه فرية واضحة ساقها المستشرقون وهذا أورده العلامة الشيخ محمد أبو زهو فى صفحة ٣٠٦، ٣٠٧، من كتابه «الحديث والمحدثون».

قال: هذه دعوه كاذبة خاطئة فإن الزهرى ثقة بإجماع أئمة المسلمين ولو انفرد بهذا الحديث لكان صحيحًا لا ريب فيه فكيف ولم ينفرد به، فقد أخرجه مسلم فى صحيحه من غير طريقة فى آخر كتاب الحج من صحيحه وأخرجه الشيخان البخارى ومسلم أيضًا من غير طريق الزهرى إذا فالهجوم على الإمام الزهرى وخاصة فى هذا الحديث ليس له أساس من سند صحيح وإنما أرادوا أن ينالوا من الرواة فى السنة النبوية ومن أهمهم الزهرى، وقد قال أستاذنا الدكتور محمد أبو زهو إذا كان الحديث عن بيت المقدس موضوعًا فماذا يقول المفترون عن الآية الكريمة التى ذكرت بيت المقدس فى القرآن الكريم صراحة.

«سبحان الذى أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا».

وأذكر هنا أيضًا بالتقدير الدكتور مصطفى السباعى فقد كانت رسالته عن السنة ومكانتها فى الشريعة الإسلامية ودافع فيها عن أبى هريرة وعن أبى شهاب الزهرى.

رضا: تحدث كثير ممن كتبوا فى هذا الموضوع كعبد الجواد ياسين ومحمد سعيد العشماوى عن وضع الأحاديث لخدمة الأغراض السياسية وخاصة فى دولة بنى أمية.. فما رأيك فى هذا القول؟

الأحمدى: نعم لا يمكن أن ننكر وضع الأحاديث فى زمن معين ولكن انبرى لها الجهابذة من العلماء بها كابن الجوزى فى الموضوعات والسيوطى والألبانى فى بيان الموضوع من الحديث النبوى لكن لم يثبت أن إمامًا من أئمة الحديث قد وضع حديثًا عن النبى ﷺ، وهذا ما أريد التأكيد عليه وضربت مثالًا على أن الأنظمة السياسية لم تؤثر على أئمة الحديث فى الرواية وضربت مثالًا بالزهرى وحديثه الذى رواه عن الرحيل إلى المساجد الثلاثة.

رضا: كعالم كبير من علماء الحديث كيف ترى الهجوم على أئمة الحديث فى هذه الأيام ولماذا اشتد بحيث أصبحت ظاهرة؟

الأحمدى: الهجوم على السنة وأئمة الحديث فى كل العصور وهو الآن بشراسة لأن آليات الهجوم ووسائل الإعلام وإغراءات الذهب الذى يسيل له لعاب هؤلاء كبيرة لكن الفرق بين الأمس واليوم أن الهجوم بالأمس كان محدودًا أما الآن فوسائل نشر هذا الهراء أكثر مما كان بالأمس فعلى المسلمين أن يتقووا وعلينا أن نواجه هذا الأسلوب بالحكمة وبالمنهج العلمى وبدون انفعالات تضيع معها الحقيقة وينبغى أن ندرس كل ما يحيط بنا وكل ما يُكاد لنا وندرس أيضًا بواعثه وأهدافه ووسائل نشره لكى نرد على ما يكتبونه فى نفس هذه الوسائل وهذا ما يجعل الباطل ينكمش أمام أشعة الحق وأمام منهجية الإنصاف، وأعتقد أن المنهج العلمى هو أفضل ما نواجه به هذه الغاشية ولابد أن تكون هناك جودة فى التعليم فى كل فروع المعرفة خاصة التى تضرب فيها سهام الباطل التى توجه للإسلام وأعتقد أن الصواريخ التى توجه للإسلام للطعن على القرآن والسنة لا تقل خطرًا عن الصواريخ التى تستخدم فى الحروب بل لعلها أعتى لأنها عندما تسلب ثوابت الإيمان بسهل بعد ذلك أن توجه الصواريخ النارية ويسهل أن تشق به صفوف المسلمين وتقسمهم إلى دويلات وتقسم الدولة الواحدة إلى دويلات صغيرة والأمة الواحدة إلى دول ضعيفة، فلابد دائمًا أن نجدد إيماننا ولابد أن نجدد ثقافتنا ولابد أن نعيش عصرنا وإذا أنت عرفت وسائل عدوك أمكنك أن تعرف كيف تتغلب عليه.

المدرسة العقلية فى فهم السنة النبوية

رضا: هناك فريق ممن يقدمون العقل فى فهم النص الدينى وخاصة السنة وقفوا عند بعض الأحاديث وقالوا إن هذه الأحاديث لا توافق العقل ورفضوا نسبة هذه الأحاديث إلى النبى ﷺ ومنها أحاديث فى البخارى وهناك بعض الأحاديث أُثير حولها لغط كبير لأنها لا تتفق مع العقل مثل حديث فقأ سيدنا موسى لعين ملك الموت وحديث تحاجت الجنة والنار، وحديث إسلام قرين النبى ﷺ؟

الأحمدى: أنت لا تدخل الإسلام إلا عن طريق العقل وهذا حدث مع كل نبى

أو رسول، لذلك وكل واحد فيهم قد أتى قومه بآية هذه الآية تدل أنه مرسل من الله والذى يحكم على صدق هذه الآية هو العقل كما فعل موسى عليه السلام مع أهل مصر وفرعون فماذا حدث، السحرة أعملوا العقل وكانوا أكثر من سبعين على ما ورد فكان ما هو معروف: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

وكان نتيجة ذلك أنهم آمنوا بالله بالعقل لأنهم علموا بالفعل أن موسى ليس بساحر وأن من ينصره لابد أن يكون إلهًا إذا فلنسجد لهذا الإله الذى فعل ذلك، إذا فالمسألة عقلية، لذا عندما تقرأ فى القرآن: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

فقول المؤمنين كما تشير الآية يكون بعد إعمال العقل فطبيعى إذا بعد قبول العقل أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأول ما تقرأه فى القرآن بعد الفاتحة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

فالذين آمنوا بالغيب جاء هذا بعد الآية العقلية التى أنصت إليها أساطين البيان وأساطين البلاغة وأصحاب المعلقات السبع التى كانت تعلق فى الكعبة وقالوا قولتهم المشهورة «والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقوله بشر».

إذا فكل رسالة فيها ما يدل على العقل حتى فى المعجزات التى تثبت أن من يقدر على هذه المعجزة بعد محاولات البشر الفاشلة إلا إله قادر حكيم وهذا الإله قد أرسل رسوله بالقرآن وبالسنة وعندما يقول الله سبحانه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

فالبيان هنا هو السنة لكن بشرط أن تكون الرواية صحيحة وما دامت صحيحة من خلال أدوات علم الحديث وعلم الجرح والتعديل إذا هذه الرواية يجب العمل بها.

ونبدأ بآخر حديث ذكرته وهو الحديث الذى روى أن قرين النبى ﷺ الذى أسلم القضية أن النبى ﷺ خرج إلى أهل البقيع كما تقول الرواية، فافتقدته السيدة عائشة، فرأته وهو قادم من البقيع.

فقالت: أنت يا رسول الله فى حاجة ربك وأنا فى حاجة نفسى. ظننت أنك قد أتيت بعض نسائك.

قال عليه الصلاة والسلام: أو قد جاءك شيطانك؟

قالت: أومعى شيطان؟

قال: نعم ومع كل إنسان.

قالت: ومعك.

قال: ومعى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم.

فكلمة فأسلم معناها أى فأسلم من شره وليس أنه أسلم من الإسلام وأنا أعجب ممن يقيم الدنيا ويقعدها ثم لا تنس أن الله سبحانه وتعالى قال: إن كيد الشيطان كان ضعيفًا، وقال عن المرأة: إن كيدهن عظيم.

وكان النبى ﷺ يقول لعمر: لو رآك الشيطان سالكًا فى طريق لسلك طريقا آخر لماذا؟ لأن عمر أحسن كيف يتخلص من الشيطان وينتصر عليه، فالشاهد فى الشيطان الذى أسلم إما أن يكون المعنى أننى سلمت منه وهذا المرجح وإما أن يكون أسلم بالفعل.

والشيطان نفسه يقول كما حكى القرآن:

﴿..... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ﴾.

ونرجع للحديث وفيه إشارة لطيفة كيف يتعامل الزوج مع زوجته وكيف يعالج الموقف معها كامرأة فلما أحس النبى بأن السيدة عائشة غارت لما رأته يأتى من جهة البقيع إذا به يفتح هذا الحوار اللطيف بينه وبينها لكى يصرف عنها وساوس الشيطان وتبقى العلاقة بينها وبينه ليس فيها ما ينغص هذه العلاقة.

وأما حديث فقأ عين ملك الموت من سيدنا موسى عليه السلام، فالملك تحكم عليه صورته وسيدنا موسى لم يكن عنده علم بأن هذا ملك الموت وهو جاء فى صورة بشرية، والحديث الذى جاء فيه جبريل على صورة دحية الكلبى شديد بياض

الثياب شديد سواد الشعر ولا يبدو عليه غبار السفر ولا يعرفه أحد منا هكذا جاءت الرواية يسأل النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وانصرف جبريل عليه السلام فقال النبى ﷺ (وهذا لا يذكره كثير ممن يتعرض لهذا الحديث).

«ردوا على الرجل».

فذهبوا فإذا بهم لم يروا شيئًا وقد ذهب.

فقال النبى ﷺ: هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم وما اشتبه على منذ جاءنى منذ أول مرة إلا هذه المرة وما عرفته حتى ولى، فممكن أن يكون سيدنا موسى عليه السلام لم يعلم بأن الذى دخل عليه ملك الموت وكان معروفًا عن سيدنا موسى شدته.

رضا: هم يقولون أن سيدنا موسى عليه السلام رسول من أولى العزم وأنه لا يخفى عليه أن هذا ملك الموت وإذا كان لا يعلم فهل يعقل أن يفقأ عينه؟

الأحمدى: لم يثبت لزوم أن يعلم النبى عندما يأتيه ملك أنه ملك فقد لا يعرف فى أول الأمر وكما قلت لك رواية جبريل عليه السلام مع النبى ﷺ سابقًا، وقال ابن حجر فى فتح البارى: أنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميًا دخل داره بغير أذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام وإلى لوط عليه السلام فى صورة آدميين فلم يعرفهم ابتداء ولو عرفهم إبراهيم عليه السلام ما قدم لهم الطعام ولو عرفهم لوط عليه السلام لما خاف عليهم من قومه، وأما موسى فلم يعرف أنه ملك الموت وإنما رد الله عين ملك الموت أمام موسى ليعرف أنه ملك الموت وليس بشرًا وهنا استسلم موسى لملك الموت وطلب أن يدفن فى الأرض المقدسة فلما رجع ملك الموت إلى ربه قال الله سبحانه وتعالى لملك الموت: قل له يضع يده على ظهر ثور فله مما غطى يده بكل شعرة سنة.

قال: أى رب ثم ماذا؟

قال: ثم الموت.

قال: فالآن.

لأن النبى أحب شىء إليه لقاء ربه.

وبالتالى فالشبهة مندفعة.

ولمن يعترض على هذا الأمر بأن الملك لم يطلب القصاص لأن القصاص لا يكون إلا بين البشر.

أحاديث الآحاد

رضا: هناك فريق ليس بالقليل من المشتغلين بالفكر الإسلامى يردون أحاديث الآحاد فيما يتعلق بالأحكام ودعواهم أن حديث الآحاد ليس قطعى الثبوت ومن ثم لا يمكن الاعتماد عليه فى أمور العقيدة أو الأحكام.

الأحمدى: حديث الآحاد وهو الذى لم يكن متواترًا وهذا الحديث يمكن أن يرويه واحد أو اثنان أو أكثر لكنه لا يبلغ فى روايته حد التواتر، وحديث الآحاد إما أن يكون غريبًا أو عزيزًا أو مشهورًا، والغريب ما تفرد بروايته واحد من أحد طرقه، والعزيز ما روى من طريقين على الأقل، فهل تتصور أن الأحاديث لا بد أن تتواتر الرواية فيها، أو أن الأمة الإسلامية قد اقتصرت على ما تواتر من أحاديث لكان الشرع محددًا ولكننا نقول إن الحديث إذا اطمأن له قلب المسلم العالم العاقل الفقيه بأنه حديث صحيح فلا بد أن يعمل به خصوصًا إذا لم يتناقض مع آية قرآنية أو مع حكم قرآنى لا يختلف مع ما ثبتت به الفتوى ما شاع بين المختصين، والعبرة ليست بالكم لكن يجب أن تتوثق من راوى الحديث حتى ولو راو واحد ونسأل عن كل راو على حدة؛ ما سيرته وما علمه ما منهجيته ما أخلاقه ما مدى صدقه وما هو المستوى الذى يضبط به الرواية هذا فى الثلاثة أنواع من أحاديث الآحاد وهم الحديث الغريب والعزيز والمشهور وهذه الشروط هى التى تعطينا الاطمئنان فإذا كان ثقه ثبتًا فيعمل بالحديث.

والإمام الشافعى فى كتابه الرسالة يقول كلمة مختصرة ولكنها بليغة قال:

الأنبياء والمرسلون بلغوا دينهم فموسى مع بنى إسرائيل وعيسى كذلك جميع الأنبياء فالمبلغ لرسالات السماء إلى الناس رسل وهم آحاد، ثم إن النبى ﷺ قل: نضر الله امرء (أى واحد) سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمعها، فرب

مبلغ أوعى من سامع يمدح النبى ﷺ امرء واحدًا نقل حديثه بالدقة المتناهية، أما اشتراطنا التواتر فللدقة فى جمع الحديث، لأن الواحد قد ينسى وهذا ليس اتهامًا له ولكن للتأكيد والتوثيق رواية. وإليك هذه الرواية التى تقول إن أبا موسى الأشعرى طرق على عمر بن الخطاب الباب ثلاث مرات وهو خليفة وكان وقتها مشغولًا فلم يرد فرجع أبو موسى فقال عمر فى نفسه ربما يسىء الطارق بى الظن فخرج إليه مسرعا وناداه.

وقال: لمَ غادرت، قال أبو موسى: لأننى سمعت النبى يقول «إذا استأذن أحدكم ثلاث فلم يؤذن له فليرجع» فطلب عمر منه بينة على هذا الحديث فعرض أبو موسى الحديث على مجتمع الأنصار والمهاجرين فوافقوا أبا موسى.

وقالوا له: لن يذهب معك إلا أصغرنا وذهب معه أبا سعيد الخدرى إلى عمر وقال له: يا عمر لاتكن عذابًا على هذه الأمة كلنا سمع هذا الحديث فقال عمر لأبى موسى: إنا لم نتهمك ولكن الرواية عن النبى ﷺ أمرها شديد.

إذا يجب أن يعرف الناس أن تعدد الرواة ليس شكًا فى الراوى وإنما للاستيثاق من الرواية وتقويتها لأن الأمر أمر دين والحديث إذا روى من واحد إلى واحد وكانوا كلهم ثقات فهو حديث صحيح.

حديث قتل المرتد

رضا: هذا فيما يتعلق بالحديث الآحاد من حيث الرواية لكن فى الاعتماد عليه فى الأحكام وخاصة التى يترتب عليها أحكام شديدة كالقتل هناك حديث آحاد يقول: «من بدل دينه فاقتلوه». وتكلم البعض من العلماء والمفكرين الإسلاميين منهم خاصة فى هذا الحديث بل ورده بعضهم لأنه يتنافى مع الآية التى تقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ والآية التى تقول: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾.

الأحمدى: الحديث يقول: «من بدل دينه...» وليس من اختار غير الإسلام يعنى هناك فرق من أن تختار دينًا من البداية غير الإسلام أو أن تدخل الإسلام ثم ترتد وإليك ما يلى:

فالتنوخى كان مسيحيًا وكان سفيرًا لهرقل وجاء برد للنبى ﷺ على رسالته إلى هرقل.

فقال له النبى ﷺ: من أين؟

قال: من تنوخ.

فعرض عليه الإسلام، فقال: يا أخا تنوخ هل لك فى الإسلام دينك ودين أبيك إبراهيم وإسحاق.

قال: أنا رجل مسيحى وسفير دولة مسيحية وسأنظر فى أمرى.

قال النبى ﷺ: صدق الله: إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء.

فأخرج له حلة صفورية من الأردن وأهداها له سيدنا عثمان، فوجد النبى أن الليل قد حل، فقال النبى ﷺ: هل منكم من يضيف الرجل. فاستضافه أبى بن كعب فى بيته وانظر إلى قول النبى للرجل: يا أخا تنوخ ـ قال له يا أخا وهو ليس على الإسلام ولم يستجب لدعوة النبى ﷺ للإسلام ومع ذلك قال له يا أخا تنوخ عدة مرات ونقول هذا لأن بعض الناس عندما يصادف أحدًا مختلفًا عنه فى العقيدة يتجهم ويعبس فى وجهه والنبى قال للرجل يا أخا تنوخ لأنه أخ من ثلاثة وجوه أخوة إيمانية لإيمانه بنبى لأن القرآن قد وصفهم بالإيمان فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾؛ قال كفلين هو إيمانهم بنبيهم والكفل الثانى هو إيمانهم بمحمد ﷺ ثم أباح أن تتزوج منهم ثم أباح لك أن تطعم من طعامهم، والأخوة الإنسانية بين سائر البشر أبونا آدم وأمنا حواء وربنا واحد والعالم كله دون المسلمين أمة الدعوة إذا يجب على أن أتعامل مع أمة الدعوة بما يرغبها فى الإسلام والله قال فى كتابه للرسول ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ والمسلم الذى يقرأ هذه الآية من أول سورة النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

إذا فهناك رحم تجمعنى مع الناس جميعًا فى كل الدنيا فبهذه الرحم أدعوهم إلى الإسلام أما الأخوة الثالثة لمن كان من المسلمين، وهذه بين بعضهم البعض، وهذا

هو الإسلام الحقيقى وأنا لست مع كلمة التسامح لأن الكلمة تعنى أنه اقترف ذنبًا وأنا أسامحه، فليس اعتناقه لدينه ذنب فهو حر وإنما أنا أفضل كلمة السماحة تقتضى أن كلامنا على صواب فإن الذى يحكمنا هو السماحة ويعرف كل واحد منا للآخر حريته فى اعتناق ما يريد، وفى البخارى سألوا النبى عن المشركين فقال: لهم رحم أبلها ببلالها.

وهو مشرك لا يؤمن بدينك عليك أن تحب له الهداية وفى القرآن فى سورة لقمان قال الله: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾ الذين هم مشركون وكذلك من تعيش معهم والآية واضحة فى معناها أنهما مشركين ومع ذلك تحب لهما الهداية.

نرجع للحديث المرتد فمن اختار الكفر على الإيمان فهذا شأنه وهذا ما حدث مع أبى طالب، ظل النبى ﷺ يحب له أن يسلم وكان يحفظ له موقفه معه وأبو طالب لم يسلم ثم ارتد أما لو جاءنا واحد وقال إنى أريد أن ألتحق بجيشكم وعملنا تحريات عنه فلم نجد عنه شيئًا فالتحق بالجيش وبعد التحاقه أفشى أسرارًا عسكرية فهذا يعدم لأنه خان وكان حربًا على البلد وهذا عقاب على خيانته، والكلام بالقياس على من جاء مختارًا للإسلام بإرادته ثم ارتد فالحرية فى أن يدخل أولًا لكن إذا دخل الإسلام باختياره ولم يكرهه أحد وهو يعلم أنه لو ارتد عنه فلذلك عقوبة والأمر والحال كذلك يكون الحفاظ على الدين والعقيدة ولامساس فى ذلك بالحرية الشخصية.

إذا منْ بدل دينه بعد أن اطمئننتم إليه ودخله باختياره فبالتالى لابد أن يحصن المجتمع نفسه وعقيدته وأى دولة تحافظ على نفسها من الجواسيس والذى يرتد يكون كالجاسوس فى الدولة التى دينها الإسلام.

رضا: حديث تأبير النخل الذى قال فيه النبى ﷺ فى نهايته «أنتم أعلم بأمور دنياكم» كيف نفهم هذا الحديث خاصة وأن بعض من توسع فى هذا الحديث بحيث أفرغ الإسلام كدين من مضمونه الفعلى والعملى.. كيف نفهم هذا الحديث؟

الأحمدى: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» يعنى الطب والهندسة والطبيعة أى كيف يمكن أن تستفيدوا من حياتكم ومما سخر لكم فى السماوات وفى الأرض لخير

مجتمعاتكم والله قال فى القرآن ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ ثم قال سبحانه ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ ثم هو الذى قال سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ فنحن مأمورون بتعمير الحياة وليس بتدميرها وبتنمية المجتمع وليس بتخريبه ويجب أن نسبق غيرنا فى أمور الدنيا ونغنى مجتمعاتنا الإسلامية من مد اليد لغيرنا.

إذا لا مانع من تنمية حياتنا بل نحن مأمورون بذلك أما ما يتعلق بسياسة هذه الأعمال أو سياسة الدين فهو الدين فقيم الدين وشعائر الدين وأحكام الدين وأصول الدين يجب أن تسوس الدنيا بمعنى أن نتلقاها من الله عز وجل، وإذا عن لكم أن تجتهدوا فيما لكم أن تجتهدوا فيه فلا مانع فى إطار الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

إذا أنتم أعلم بأمور دنياكم أن النخل كان يلقح ولعل النبى ﷺ كان يريد أن يبين أن الأمر بيد الله وليس بالتلقيح ولعل تجربتهم بقوانينهم العلمية ثم فشلها دليل على أن الأمر فى النهاية إلى الله سبحانه وتعالى ولا يحدث شىء إلا بمشيئة الله، لكن مع المشيئة الإلهية لابد لكم من اختيار ومشيئة حتى لا يأتى من يقول سأترك أرضى ولا أفلحها وينتظر الثمر ليس هذا وأذكر قول عمر لأناس جاءوا إلى الحج دون زاد معهم فسألهم عمر عن ذلك فقالوا نحن المتوكلون قال لهم عمر بل أنتم المتأكلون أى أنتم الذين تأكلون من غيركم ولستم متوكلين لذلك عندنا فى الإسلام «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده».

قضية التكفير.. المشكلة والعلاج

رضا: قضية التكفير بدأت مع الخوارج واستمرت فى عهود كثيرة على امتداد التاريخ الإسلامى.. كيف ترى هذه المشكلة وأسبابها وكيفية مواجهتها؟

الأحمدى: الحكم على الآخر بما ليس أساسه متوفرًا خطأ بين، أقصد أن الحكم بالإيمان أو الكفر حكم على أمر قلبى جوانى لا يعلمه إلا الله وإذا تذكرنا قول الرسول ﷺ التقوى هاهنا وأشار إل صدره ثلاث مرات معنى هذا أنى لا أستطيع أن أحكم

على شخص أنه تقى أو الأتقى أو غير ذلك، ومعنى هذا أن التكفير لايجوز ولا يصدر إلا من إنسان كليل النظر وأذكر أن النبى ﷺ كان يقسم الأموال على بعض أصحابه: مالك عن فلان يا رسول الله فإنى لأراه مؤمنًا أو مسلمًا.. ولعل النبى ﷺ يومئ أن الحكم على الجوانية وإن كنت حسن الظن بالآخر لايجوز على اليقين لكن يمكن أن يقول أحسبه ولا أزكى على الله أحدًا إذا كنت تريد أن تصفه بالإيمان أو التقوى فإذا الحكم بالإيمان اليقينى موصدا فما بالنا بالحكم بالكفر..

فالحكم بالكفر بريد القتل واستحلال ما لا يجوز استحلاله مع الآخر لأن الإيمان والإسلام هو حصانة المرء والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده وأن المهاجر من هجر ما نهى الله عنه، وبالتالى عندما أرى المرء يقول «لا إله إلا الله» ويلقى السلام ويدخل المسجد يصلى ويؤدى الزكاة ويؤدى العمرة والحج لايجوز لى إطلاقًا أن أتهمه بالكفر مهما كان الأمر لأن الكفر هو التكذيب بما جاء عن الله ورسوله وبالتالى الآية واضحة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾.

فلا يجوز أن أحكم بظاهر الناس لاعلى الكفر ولاعلى الإيمان وأن ندع أمر السرائر إلى الله تعالى ونذكر قتل أسامة بن زيد الذى قال لا إله إلا الله وهو يقتل وكان بظن أن هذا سيسعد النبى وإذا بالنبى ﷺ يغضب غضبًا شديدًا ويقول: ماذا تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءك يحاجك بها عند الله يوم القيامة معنى هذا متى قال لا إله إلا الله ليس لى إلا اللسان ولا أحاسب على ما بداخل المرء إنما يحاسبه الله عليه وأقول لهؤلاء الذين يفجرون ويقتلون ويستحلون الدماء وأنتم تدمرون علاقتكم بالله وعلاقتكم بمجتمعاتكم وإذا كنتم متحمسين فحيهلا على للإسلام لكن لا تهلكوا أنفسكم فالذين يقتلون الناس على الظن أو على أساس التأويل الفاسد وأن الدليل على الكفر هو الاطلاع على القلب فهل اطلعتم على القلب ثم لا تنسوا أن قتل المسلم سيكون هو أول ما تسألون عنه يوم القيامة.

الشباب والاستثمار فى المستقبل

رضا: باعتبارك أحد المتعاملين مع فئة كبيرة من الشباب وخاصة أنك قد حاورت كثيرًا ممن جنحوا عن الطريق السليم والسوى.. كيف ترى هذه المشكلة؟

الأحمدى: الشباب لابد أن يُحترم فمادمت أطالبه باحترام الآخرين فلابد أن أحترمه والأسرة عليها مسئولية كبرى فى هذه المهمة فالعلاقة الأبوية التى يراها الشاب فى البيت لابد أن ينعكس صداها فى الجامعة، ومن هنا يجب أن تقوم الأسرة بمسئوليتها وهنا أذكر قول النبى ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...» فمن واجب الأب أن يعمق فى ولده هذه القيم وكذلك المدرسين فى المدارس والجامعة وبالتالى تكون الأمور متبادلة وهذه مشكلة كبيرة لابد لها من حل وأرى أنه إذا تعاونت المدرسة مع البيت والجامع والإعلام ولو حدث يؤدى ذلك إلى التنمية الحقيقية فى المجتمع.

الإفتاء وكل من هب ودب

رضا: ما رأيكم فى التجرؤ على الفتوى؟ وكيف يمكن ضبط هذه القضية؟

الأحمدى: أول خطوة فى هذه القضية أن يعى من يجترئ على الفتوى أنه يتحدث عن الله وعن رسوله وأن يعى كيف يكون ورعًا بالنسبة للفتوى وأن يعى أن الفتوى ليست شطارة ولا مهارة وإنما هى صدور عن الله لأن معنى الفتوى أننى أكاد أفتق المراجع والمصادر العلمية حتى أصل إلى حكم الله أو حكم رسوله فالفتوى تكون فى أمر جديد لم يسبق أن أفتى فيه، أما الإجابة فى مسألة سبق الإجابة عنها من قبل شأنها شأن الامتحانات أما الفتوى فينبغى أن نكون أشد ورعًا، وأنا أذكر عندما كنت فى كلية الدراسات العربية والإسلامية للبنات فى أوائل السبعينيات من القرن الماضى أذكر أن وكيل الكلية الدكتور أحمد شعراوى رحمه الله وجدنى فى التليفزيون فى برنامج نور على نور مع الأستاذ أحمد فراج فقال لى: «إياك أن تتجرأ على الفتوى».

الفتوى معناها أن هذا حكم الله والمفتى إما يأخذ أجر وثواب الفتوى وإما يتحمل وزر ومغبة الفتوى، وليس عيبًا أن نحيل الفتاوى إلى أهلها القادرين على القيام بأعبائها

وهذا ماكان يفعله الصحابة وكان أبو موسى إذا سئل فى شىء وأفتى فيه ونفس هذه المسألة يسأل فيها عبد الله بن مسعود فيفتى بغير ما أفتى به أبو موسى فما يكون من أبى موسى أن يقول تكريمًا لعبد الله بن مسعود واعترافًا له بالعلم وبالقدرة على الفتوى يقول «لا تسألونى وهذا الحبر فيكم».

رضا: فى نهاية الحديث معكم تختار شخص توجه إليه رسالة وماذا تقول فيها؟

ورسالة تقولها للمصريين فى هذا الوقت من حياة مصر؟ (كان الحوار فى ١٩١٤).

الأحمدى: والدى العالم العلامة الشيخ محمد مليجى أبو النور الذى كان أحد أعمدة قسم الوعظ والإرشاد عندما بدأ هذا القسم ١٩٢٨ وكانوا عشرة فقط كان والدى واحدًا منهم وقد غرس فى وجدانى تقوى الله وحب العلم واعتنى بحفظى القرآن وتجويده وترتيله وأيضًا أذكر بالإجلال والتعظيم والتوقير أستاذى السيد أحمد صقر الذى كان لى أبًا بعد الأب ورشحنى معه لتحقيق كتاب شرح السنة للبغوى ووكل لى تحقيق كتاب الديباج المذهب ووكل لى تحقيق كتاب معالم الإيمان فى علماء القيروان وكان يعاملنى كما كان يعامل أبناءه.

أما المصريون فأقول لهم اعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا واذكروا كيف كنتم سادة وقادة وقوة كبرى يحسب لها ألف حساب سواء فى بداية الدولة وانتشارها فى عهد الخلفاء الراشدين أو بعدهم فى امتداد المد الإسلامى والبعث الإسلامى فى أوروبا فى الأندلس والبرتغال حوالى ثمانمائة عام كنا قوة يخشى بأسها ولكن كنا قوة يرجى خيرها أيضًا وعشنا أمنًا وسلامًا ولم يضع الأمن إلا عندما تفرقنا وعندما حارب بعضنا بعضًا فأرجو أن تكون فرصة للعودة للوحدة والاعتصام بحبل الله وأن نكون عند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾.

هذا هو الطريق لأنه لا يستغنى أحدنا عن الآخر ونحن أحوج ما نكون لكل طاقة بناءة وإلى كل يد معطاءة وإلى كل شخص يسعى إلى الأمن والعدل والسلام.

تكريم الأستاذ الدكتور الأحمدى أبو النور

١ ـ الدكتوراه الفخرية من الجامعة المحمدية وهى أول جامعة إسلامية بإندونيسيا ١٩٨٧.

٢ ـ وسام الجمهورية من الطبقة الأولى ١٩٨٦.

٣ ـ وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٩٣.

٤ ـ التحكيم فى جائزة الملك فيصل العالمية.

٥ ـ مقرر اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بالأزهر الشريف.

٦ ـ مناقشة الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه فى جامعات الأزهر والقاهرة وعين شمس وأم درمان وأم القرى واليرموك ومحمد بن سعود الإسلامية.

بعيدًا عن الميكروفون

فى كل لقاء مع فضيلة الدكتور الأحمدى أبو النور كان يدور بيننا حوار لا يصلح أن يذاع فى الإذاعة للحساسية الأمنية من جهة ولأن إذاعة القرآن لا تصلح منبرًا لهذه الموضوعات المتعلقة بالسياسة أو بأشخاص مختلف عليهم تاريخيًا. وكنت أفتح معه موضوعات عاشها ورأى أحداثها وقد يكون فاعلًا فى بعضها أو مراقبًا لها أو شاهدًا عليها لذا فقد كنت أسجل هذه الحوارات الجانبية على مرأى منه.

ومن هذه الحوارات تحدث عن الإخوان المسلمين وعن غيرهم فقال:

فكرة الخلافة التى ذهبت على يد أتاتورك والعمل على إزالة الخلافة كان قبل ذلك ففكر الإنجليز فى الإخوان، والإنجليز كانوا يحتلون قناة السويس مع فرنسا فكان أول تمويل للإخوان من الإنجليز وهذه أخبار تحتمل الصدق والكذب والتاريخ لم يُكتب بعد. فمثلًا من الذى أنشأ الجامعة العربية؟ هم الإنجليز وذلك لضمان السياسة العربية تكون لصالحهم وأول واحد عُين أمينًا لجامعة الدول العربية كان عميلًا للمخابرات الإنجليزية بيقين ووقتها الإعلام رفعه إلى السماء والدليل الآخر على ذلك أنه فى جلسة مغلقة من جلسات الجامعة العربية فى أحد البلاد العربية هذه الجلسة المغلقة

منقولة بالصوت والصورة فى اللحظة والتو لأمريكا وإسرائيل والمشكلة الآن أنك كنت قويًا فضعفت وكنت منتصرًا فانهزمت وكنت أمة واحدة فتفرقت وكان البحر المتوسط بحيرة عربية وكنت فى أوروبا ثمانمائة عام وكان التفكير أن يعم أوروبا كلها الإسلام ولاتنس أنهم فرقوا الأكراد شذر مذر لأنه قد خرج منهم يومًا قائدًا كصلاح الدين فلابد لهؤلاء أن يشردوا.

وحسن البنا كان شخصية أسطورية بمعنى أن الانتهال الثقافى له كان محدودا لكن كان عنده فتوح، كان عنده إشراقة كان عنده شخصية آسرة كاريزما الزعامة لايلقاك فى مكان ويتعرف عليك وينساك. وكنت أمر على مركزهم العام أرى السيدات يلقين الذهب فى أجولة لحرب فلسطين وفى هذه الفترة كان الإخوان إخوان دعوة وتربية ولما جاءت الثورة كنت قد حصلت على الثانوية من الأزهر وأنا فى طريقى وجدتهم فى احتفال كبير ووجدت خطيبًا يخطب فيهم كان هو سعيد رمضان زوج بنت حسن البنا وكان صورة منه فقال ضمن خطبته:

عبد الناصر يعرض علينا وزارة الأوقاف ووزارة التربية والتعليم وإما نشكل الوزارة كاملة وإلا فلا.. فالشاهد كنت فى بداية تعليمى الجامعى ومع ذلك انتقدته فعبد الناصر ألغى جميع الأحزاب ولم يلغى جماعة الإخوان بل وعرض عليهم المشاركة فى الحكم لأن عبد الناصر كان معهم فرفضوا.

ومن جهة أخرى كان الشيخ محمد الأودن مثالًا على ما فعله بهم عبد الناصر هذا الشيخ الذى كان يوصف بالعالم اللدنى هذا الشيخ الذى وقف الكلب الذى أدخلوه عليه ليأكله فإذا بالكلب يقف بجانبه دون أن يمسه.

لولا محمد نجيب لم تنجح الثورة ومع ذلك تخلصوا منه وبعد ذلك التخلى عن السودان وهذه هى النتيجة تشقق السودان نفسه الآن بانفصال الجنوب، نرجع للإخوان لو أنهم رضوا بوزارة الأوقاف لأن المساجد ستكون ملكك ويوم الجمعة يأتى إليك الناس كل الناس وأما التربية والتعليم فعندك النشء فماذا تريد بعد ذلك؟

هذا ماكان بيننا بعيدًا عن ميكروفون الإذاعة وأردت أن أعرضه عله يكون إجابة لأى سؤال من الأسئلة الحائرة فى حياتنا التى نحياها الآن والتى لها جذور من هذه

الفترة التى تحدث عنها فضيلة الدكتور الأحمدى أبو النور والتى عاصرها وشاهدها وكان مراقبًا لها كمصرى عاش فى هذه الفترة المهمة من حياة مصر المعاصرة.

بروفايل

عشت طوال هذه الحلقات مع هذه الشخصية التقية النقية الورعة المصالحة المتصالحة العالمة الفقيهة القارئة شخصية فضيلة الدكتور محمد الأحمدى أبو النور محاورًا ومناقشًا ومستفهمًا فرأيت بعينى رجلًا يحترم نفسه ويقدر ما عنده من علم ويعمل عقله ويقرأ النصوص بفهم يحفظ للأصول قدرها وفى نفس الوقت يعيش عصره ويجاوب فى كثير من القضايا مع مقتضيات هذا العصر، فقد أبهرنى بسعة صدره عندما تحدث عن الشباب وكيفية التعامل معهم ولم يوجه إليهم اللوم أولًا وإنما وضع قاعدة مهمة فى التعامل معهم وهو أن تقدرهم وأن تحترمهم لكى تطلب منهم أن يحترموك وقال عبارته التى توزن بميزان الذهب «ما تعودت أن أخسر أحدًا فى حياتى»، وكذلك فعل فى محاوراته مع شباب التكفير والهجرة عندما حاورهم واستطاع أن يقنع كثيرًا منهم بهذا الأسلوب الذى يجمع ولا يفرق والذى يلم ولا يفرق والذى تلتئم فيه القلوب والأرواح.. ومما أتاح لى أن أنفذ إلى ردهات هذا النوع من أنواع البشر المخلصين أننى التقيته فى بيته وبين كتبه فى مكتبته ورأيت مدى حرص العالم المدقق على أن تكون الكلمة فى مكانها المناسب وفى موضعها الصوتى الذى يقع فى سمع الناس بطريقة معينة حتى تؤتى أثرها فكانت من المواقف الشاهدة على ذلك أنه كان يطلب منى أحيانًا وقف جهاز التسجيل لكى يستعين بعبارة من كتاب بعينه وكذلك فعل مع كتاب «الحديث والمحدثون» للعلامة محمد أبو شهبة فى رده على من اتهم الزهرى فى وضع حديث شد الرحال إلى المساجد الثلاثة وكذلك فعل فى رده على حديث فقأ عين ملك الموت من موسى عليه السلام حيث صعد على كرسى فى مكتبته لكى يأتى بجزء من أجزاء فتح البارى بشرح صحيح البخارى لكى يورد ما قاله ابن حجر فى شرح الحديث تحديدًا ولماذا ـ من وجهة نظره ـ فعل هذا موسى عليه السلام مع ملك الموت وكان قبل أن ينطق بالكلمة كأنما يجهز لها مجراها بحيث تصل واضحة المبنى والمعنى، وكان كثيرًا ما يؤكد المعنى

بأكثر من دليل وخاصة فى الأمور التى تحتاج إلى مزيد من الأدلة كقضية كتابة السنة فى عهد النبى ﷺ فقد ساق أمورًا لا يعلمها إلا علماء الحديث وخرج منها يقينًا أن السنة قد كتبت فى عهد النبى بأمر منه وأن الصحابة معظمهم كان لكل منهم صحيفته التى كان يكتب فيها ما سمعه من النبى ﷺ وأن هذه الصحف قد انتقلت إلى التابعين حتى وصلت إلى كتاب الحديث بعد ذلك.

وكان شديد الكرم شديد الطيبة لينًا سهلًا لا يكثر من الكلام والكنى كنت دائمًا فى أوقات الراحة بين فترات التسجيل أسافر به إلى زمن عاشه وخاصة أنه كان فى القاهرة فكان يسهب فى وصف الزمان والمكان والإنسان ومما كان يجذب فى شخصيته هذه الأناة والدقة والتجويد فى كل كلمة تصدر من فمه حتى كأنك تحس بأن العبارة تمر على عقله قبل أن ينطق بها.

ومما عاينته ولاحظته فى شخصيته هذا الاحترام الجم والأدب العالى عندما يتحدث عن والده العالم الأزهرى بحيث إنه طوال حديثى معه كان كلما ذكره يلقبه دائمًا بكلمة «فضيلة» فيقول فضيلة الوالد أو فضيلة العالم والدنا وهكذا وحتى عندما يتحدث عن الناس عمومًا أثناء الحوار معه يقدم لهم بألقاب الاحترام والتبجيل والمحبة الخالصة حتى مع من اختلفوا معه.

وأحسست عندما تحدث عن فترة توليه وزارة الأوقاف سنتين منه بالأسى عندما قال:

«لا أعلم لماذا اختارونى ولا أعرف لماذا أعفونى».

ولكن الأمر بدا عندى واضحًا أنهم أرادوا من الرجل سمعته الطيبة وسيرته الحسنة وقبول الناس له فاختاروه فدخل هو المكان والمنصب بمنطق عالم الدين وليس بمنطق السياسى لذا فكان من الطبيعى ألا يبقى فترة طويلة وقد حكى لنا فى التسجيل معه بعض الوقائع التى تدل على ذلك ومن يقترب منه يعلم أن مثله لا يمكث كثيرًا على كرسى السياسى.

وفى آخر لقاء معه كان بعد خطبة العيد التى خطبها أمام الرئيس عبد الفتاح السيسى وكان قد تعرض بعدها لهجوم من الإخوان وغيرهم فسألنى وقتها عن رد فعل الناس

على الخطبة وشكا لى ما سمعه من الهجوم عليه فقلت له إن هؤلاء كل من اختلف معهم يعاملونه نفس هذه المعاملة فلا تحزن من هذا الكلام لكنه عاد مرة أخرى بعد فترة من هذه الجلسة وقال أنا لم أقل شيئًا مخالفًا ولم أداهن أحدًا وكأنه كان يدفع عن نفسه شيئًا لا يرضاه هو لنفسه وقتها.

قلت له: يا أستاذنا المشكلة أنك لست محسوبا على أحد فلما خطبت الخطبة ظن هؤلاء أنك قد صرت لأحد الفريقين ولمحت على وجهه فى هذا الموضوع أسى بدا فى عينيه وفى ثنايا وجهه لم أعرف أكان لومًا على نفسه أم على الناس.

وفى نهاية هذه الجلسة الأخيرة عقدت معه اتفاقًا على أن يشرح صحيح مسلم على أن نتعرض فى كل باب على حديث واحد دون التعرض للروايات المكررة لكى يكون سهل التناول سهل الشرح وقال إنه لا يستطيع أن يأتى إلى الإذاعة فقلت له سآتيك أنا كل أسبوع مرة وطلب منى مدة لكى يستعد لهذا العمل الذى سيحفظ فى مكتبة الإذاعة لواحد من أهم علماء الحديث وتركت البيت بعد أن خرج معى كعادته إلى باب المصعد أمام باب شقته وودعته بعد أن ملأت عينى من وجهه الذى يتزين بلحيته البيضاء الجميلة التى ترسم هالة من النور على وجهه وحادثته بعد ذلك مرتين فى التليفون وفى كل مرة أؤكد له على موعد التسجيل وفى يوم الخامس من شهر نوفمبر ١٩١١ وأنا أدخل استديو الهواء بادرنى أحد الزملاء وكان يعلم صلتى به بخبر وفاته فاسترجعت ودعوت له بالرحمة والمغفرة وقلت لعل الله يثيبه على نيته فى المشروع الذى كنا قد أعددناه معه من شرح صحيح مسلم.

فسلام على هذا العالم الكبير فى عليين.

الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم

أستاذ الحديث والشاعر الكبير

عالم الدين عندما تزاحمه السياسة

قصة اللقاء

منذ أن وطئت قدماى مبنى الإذاعة والتليفزيون فى نهاية الثمانينيات من القرن الماضى وأول تسعينياته وأنا أراه ملء السمع والبصر فى جميع وسائل الإعلام عالمًا فى الحديث النبوى وفى سنة النبى ﷺ ومتحدثًا يلهب عبارات اللغة ويرسل بها وكأنها طيعة فى فمه وذا بديهة حاضرة وخطيبًا مفوهًا يهز أعواد المنابر وكنت دائمًا أراه فى استديوهات الإذاعة فى الدور الثانى حيث الاستديو الذى أسكن فيه فترتى الإذاعية ولم ألتق به إلا مرة واحدة حيث كنت أنقل على الهواء احتفالًا من احتفالات الإذاعة المصرية على شبكاتها المختلفة وكان هو المتحدث فسلمت عليه وقتها كمذيع سيقدمه لإلقاء كلمته.

ويشاء القدر بعد ذلك أن ألتقيه كثيرًا بعد ذلك لأنه كان يسجل برنامجه اليومى لإذاعة القرآن الكريم «فى ظلال الهدى النبوى» مع الدكتور عبد الصمد دسوقى رئيس شبكة القرآن فى استديو التسجيلات قبلى مباشرة لذلك كنت أراه أسبوعيًا وتعرفت عليه وقتها والذى كان فيه رئيسًا للجنة الدينية فى مجلس الشعب والتى أخذته السياسة إلى ساحات الخلاف والاختلاف ومواقفه التى كانت حديث الناس وقتها بين مؤيد له ومناصر وبين معارض يريده أن ينأى بنفسه عن مزالق السياسة وخاصة أن الجلسات تذاع على الهواء.

وشاهدته أكثر من مرة وهو يصارع الوقت لكى يلحق بالتسجيل لبرنامجه ويعود إلى مجلس الشعب مرة أخرى.

ولما عزمت على تقديم برنامجى «سيرة ومسيرة» كان من أوائل من فكرت بالتسجيل معهم لأنه شخصية تُغرى أى مشتغل بالفكر وممتهن للإعلام أن يحاورها وذلك لعدة أسباب لتجربته العلمية الثرية فهو واحد من أكبر علماء الحديث ولحياته التى خالطتها السياسة وامتزجت بالمسئولية عن أكبر جامعة إسلامية فى العالم وهى جامعة الأزهر فكلمته أن يكون ضيفًا علينا فى البرنامج فوافق مباشرة بعد أن عرضت عليه فكرة البرنامج، ورحت أجهز نفسى بالبحث عن سيرة حياته ومؤلفاته وكتبه وعن دواوين شعره ولكن وجدته فى أول حلقة معه وقد سهل علىَّ المهمة حيث جاء بملزمة فيها معظم كتبه وملخص عن حياته وسفرياته والرسائل الجامعية التى نوقشت فى منهج الحديث عنده والتى تناولت شعره وأقوال العلماء فيه.

أقوال فى الحوار

ـ والداى نذرانى للقرآن والسنة قبل أن أولد.

ـ كان الكُتاب فى القرية منارة.

ـ أول تعليمى كان فى مدرسة عامة وليست أزهرية.

ـ كنت خطيبًا فى سن الحادية عشرة.

ـ كان طالب الأزهر وأنا فى الثانوية الأزهرية مركزًا للإشعاع.

ـ رأيت النبى فى رؤيا فى المنام وهو بين الحجر الأسود وباب الكعبة وأنا أمشى خلفه.

ـ إذا صح الحديث فارجعوا إلى شروحه لأن الشروح تتناول المراد مما لا يرقى إليه فهم بعض الناس.

ـ ألفت مسرحية شعرية فى الثانوية الأزهرية عنوانها «أصحاب الجنة».

ـ كان معى أولادى وكنا نسكن فى منطقة الحجون بمكة المكرمة بجوار قبر السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ تسمى المعلى.

قال لى الشيخ الشعراوى نقلًا عن والده «اشعبط فى ربنا» باللغة الدارجة هكذا ولا يهمك من شىء.

القيم الإسلامية والحجاب انتشروا بعد انتشار دروس الشيخ الشعراوى.

رضا: فى قرية بنى عامر بمحافظة الشرقية كان الميلاد ١٩٤١ وكانت النشأة.. فكيف كانت هذه النشأة وماهى المؤثرات التى رأيت أنها كان لها وقع فى شخصيتكم؟

هاشم: بدأت النشأة منذ ولدت بحمد الله بل من قبل أن أولد لأن والدى قد نذرنى لخدمة كتاب الله وسنة نبيه وأن أتعلم فى الأزهر، فما إن بلغت من طفولتى مرحلة الإدراك حتى وجهنى والدى إلى كُتاب القرية فبدأت أول محطة فى حياتى فى هذا الكتاب وكنت فى سن الرابعة، وكان الكُتاب فى القرية منارة بل كانت كتاتيب القرى مصابيح ياليتها تعود فى هذه الآونة لكن يجب أن تتطور كأن تكون فى الأندية ومراكز الشباب أى بصورة تتناسب مع هذا العصر. فهذه الكتاتيب هى التى وضعت الأساس الذى بُنيت عليه شخصياتنا وهى التى خرجت الأئمة لأن مهمتها الأولى هى حفظ القرآن وتجويده وكان الشيخ الذى يحفظنا القرآن ـ ومازلت أذكر اسمه حتى الآن ـ الشيخ عبد رب الرسول هذا الشيخ كان بجانب حفظه للقرآن وتجويده بقراءاته العشر كان عالمًا فى العلوم الإسلامية وكان يعقد بالكُتاب درسًا يشبه الندوة لمن أراد أن يسأل أو يستفهم عن شىء ما وكان بيننا وبينه حوار دائم.

وبعد أن تخرجت من الكُتاب ذهبت إلى المدرسة الابتدائية وكانت مدرسة عامة ولم تكن أزهرية، وبعد المدرسة كنت أذهب إلى الكُتاب وبعد حفظ القرآن الكريم توجهت إلى معهد الزقازيق الدينى وهذه هى المحطة الثانية فى حياتى وكان الطريق بين قريتى بنى عامر وبين الزقازيق خمسة كيلومترات كنت أمشيها ذهابًا وإيابًا ولم تكن هناك أية وسيلة للمواصلات ومن هو عزيز فى أهله يكون له «ركوبة» كحمار مثلًا وكان يودعه فى لوكاندة بجانب مكان المدرسة ويأخذه بعد انتهاء اليوم الدراسى، وكنا نعانى معاناة شديدة خاصة عندما كانت تمطر السماء فنمشى فى الأرض التى

اختلط ترابها بمياه الأمطار، وهكذا عشنا فى البداية حياة صعبة وشاقة ولكن غرست فى نفوسنا حب العلم وأهميته ويواليت الأبناء والأحفاد الآن وهم فى نعمة يضاعفون جهدهم فى ظل هذه النعمة ليكونوا مثلًا عليًا.

رضا: كيف كانت حياتك بعد أن التحقت بالأزهر؟ وكيف كان التعليم الأزهرى فى هذه الفترة المبكرة؟

هاشم: لما حفظت القرن الكريم التحقت بمعهد الزقازيق الدينى لأنه لا دخول للمعهد قبل الامتحان فى القرآن الكريم كاملًا، وكان الامتحان يشمل أيضًا الحساب والإملاء والخط لذلك كان الواحد منا القرآن يصوغ منه فى بداية حياته شخصية متميزة فى كلامه وفى أخلاقه وفى معاملاته وأذكر أن أول جمعة خطبتها كان سنى أحد عشر عامًا وأنا فى الصف الأول الابتدائى فى معهد الزقازيق الدينى، وكانت القصة أن إحدى القرى طلبت من العارف بالله محمود أبو هاشم أن يخطب الجمعة فاعتذر وأرسلنى معهم لأخطب الجمعة وأنا فى هذه السن فأخذت أحد زملائى معى وقلت له: استمع إلى الخطبة جيدًا وإذا رأيتنى قد تركت شيئًا من الخطبة ذكرنى به فكانت خطبة لا أنساها فى حياتى حيث كان توفيق الله حليفى وكانت موضع إعجاب الحاضرين الذين حضروا الخطبة.

وكنا فى هذه الفترة نحفظ ألفية ابن مالك فى النحو ومتن أبى شجاع فى الفقه الشافعى وكان هناك مدرس للخط مريحًا للنفس لا يغضب ولا يضرب وكان شيخًا جليلًا وقورًا صالحًا مازلت أذكر اسمه إلى الآن الشيخ أحمد صالح وكان عاشقًا للخط العربى وكنا نتنافس فيمن يقول بيتين من الشعر أو حكمة من الحكم العربية فيكتبها بخطه الجميل وفى يوم كتبت له من تأليفى بيتًا من الشعر فى هذه السن الصغيرة.

بحبل الله فاعتصموا جميعًا.

وكونوا كلكم شعبًا مطيعًا.

فقال لى الشيخ: من قائل هذا البيت؟

قلت: أنا الذى كتبته.

فأخذ يشجعنى وكانت نبتة الشعر فى هذه السن المبكرة من حياتى وأذكر أننى بعدها بسنوات قليلة قد ألفت مسرحية شعرية مستمدة من كتاب الله وكان عنوانها «أصحاب الجنة» وهى قصة أصحاب الجنة التى ذكرها القرآن فى سورة القلم وكان الطلاب فى هذا الوقت يشجعون بعضهم بعضًا وكنا فى الإجازة الصيفية نلتهم كتب الأدب والتصوف والفكر وكنا نقبل على كتب الأعلام من أمثال الشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد الغزالى والأستاذ خالد محمد خالد، وكنت متيمًا بصفة خاصة بكتب الشعر وكنت أحفظ كثيرًا من الدواوين الشعرية لكبار الشعراء وكنت فى المرحلة الثانوية الأزهرية مع زملائى نشارك فى اللقاءات والندوات وكان طالب الأزهر وقتها مركزًا للإشعاع يقود قريته ويكون الإمام فى الصلاة كما قال شوقى:

هزوا القرى من كهفها ورقيمها ... أنتم لعمر الله أعصاب القرى
الغافل الأمى ينطق عندكم ... كالببغاء مرددًا ومكررًا
يمسى ويصبح فى أوامر دينه ... وأمور دنياه بكم مستبصرًا

رضا: بعد الثانوية الأزهرية على أبواب الشباب وأنتم بهذه العقلية اليقظة كيف كانت مرحلة الجامعة ولماذا اخترت كلية أصول الدين على الرغم من ميولكم الأدبية؟

د هاشم: كان الوالد ـ رحمه الله ـ يريدنى أن أكون فى أصول الدين وكنت مع حبى للأدب والشعر قد آثرت أن ألبى رغبة والدى للدخول إلى كلية أصول الدين وكنت منشرح الصدر عندما دخلتها وكنت معروفًا منذ دخلتها بأننى شاعر وأذكر عند دخولى طلب منى الطلبة القدامى أن أكتب شعرًا بمناسبة التحاقى بكلية أصول الدين فكتبت وقتها:

لما دخلتك يا أصول الدين ... قد زاد حبى واطمأن يقينى
ورأيت فيك مشاهدًا دفاقة ... بالخير من حين هناك لحين
فعميدنا الورع التقى صاحب ... القلب النقى رعى أصول الدين
لم يأل جهدًا إنه حفظ النهى ... وبنوره وصلاحه يهدينى
يارب قد يممت وجهى شطركم ... وكفى بهذا يا أجل معين

إن التصوف مذهبى ورياضتى وإذا مرضت فخالقى يشفينى
كلية الإســـلام أنـــت منارة سيما الهدى يبدو بكل جبين
ضمى إليك الوافدين فإنهم قـد شاقهم لـدنـاك ألـف حنين
قرآننا يـرعـاك خير رعاية يا خير حصن للصلاة حصين

وكان عميد الكلية الذى أقصده فى القصيدة الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله.

وهذه كانت أول قصيدة نشرت لى فى مجلة أصول الدين وكان هناك مركز ثقافى فى بداية منطقة الغورية فكنت أسهم ببعض القصائد فيه.

وكان لنا أستاذ من أعلام الأزهر الكبار وهو الشيخ محمد بن فتح الله بدران وكان داعية لا يشق له غبار سمعنى وهو يحاضر فى المركز الثقافى وأنا ألقى قصيدة فأعجب بها فرأيته يبحث عنى وقال لى:

لقد وقع الاختيار عليك لكى تلقى قصيدة الإسراء والمعراج وكان رئيس الجامعة وقتها أ. د محمد أحمد سليمان وابنه الآن من أكبر الجراحين أ. د أسامة سليمان وطلب منى أن ألقى القصيدة مرة أخرى أمامه وعندما ألقيتها أخذ يبكى أمامى لأنه كان رجلًا صالحًا ولا أزكى على الله أحدًا ومن أبيات هذه القصيدة:

صـبـح تـنـفـس بـالـهـدى يـسـبـى الـعـيـون إذا بـدى
وتـمـايـلـت نسماته طـربًـا فـعـانـقـهـا الـنـدى
والـلـيـل مكتحل لـه تخذ الـهـدايـة إثـمـدًا
والـسـهـد نـاغـمـه الـهـيـام فـبـات فـيـه مـسـهـدًا
وخـضـمـه الـهـدار أرغـى لـلـجـلال وأزبـدًا
والـرمـض طـارحـه نشيد الـورق يـصـدح مـسـهـدًا
فتراوحت أدواحـه والكون هـام وزغـردا
وازيـن الـبـيـت الـحـرام وظـل يـرتـقـب الـنـدا
فـتـطـاولـت أعـواده والـمـسـجـد الأقـصـى شـدا

فتساءل الحدثان والثقلان ... مـــا هـــذا الـــنـــدا
فـأجـابـت الـسـبـع الطباق ... سـنـا بـعـالـمـكـم بـدا
فـالـيـوم إسـراء ومـعـراج ... أقـــيـــم لأحـــمـــد
جبريل نـادى فـى السماء ... وراح فـيـهـا واغـتـدى
نـادى الـمـلائـك فـى العلا ... حـيـوا الـنـبـى مـحـمـد

رضا: وأنا أجمع معلومات لهذا اللقاء وقعت على معلومة تقول أنك رأيت النبى ﷺ فى رؤيا.. ما حكاية هذه الرؤيا؟

هاشم: كنت أسكن فى حى الزيتون بالقاهرة ورأيت أثناء نومى النبى ﷺ فى رؤيا يطوف حول الكعبة ومازالت فى مخيلتى هذه اللحظة وصورته وهو بين الحجر الأسود وباب الكعبة فى الملتزم وأنا أمشى خلفه.

(فى هذه اللحظة بكى الدكتور أحمد عمر هاشم واهتز جسمه أثناء وصفه للرؤيا حتى ابتل وجهه).

فحملت هذه الرؤيا إلى والدى رحمه الله فقال لى: إنك ستحج بيت الله وسيكون تخصصك فى حديث رسول الله مادمت رأيت أنك تسير خلفه وقال لى مازحًا: كيف تحج أنت وأبوك لم يحج بعد.

فإذا بى بعد أسبوع من هذه الواقعة يستدعينى رئيس الجامعة وقال لى:

كل جامعة انتدبت طالبًا مثاليًا عنها يؤدى فريضة الحج ووقع الاختيار عليك لتمثيل جامعة الأزهر وكانت الفرحة لم تسعنى فلم أكن أظن وأنا مازلت طالبًا أن أحج وأنا فى هذه السن الصغيرة، ولذلك كنت مع زملائى أبحث عن الأماكن والآثار التى كان النبى ﷺ يرتادها كغار حراء وأن ندخل الأماكن التى كان ينزل فيها الوحى على النبى ﷺ وبعد هذه المرة حججت مرات عديدة لكن تبقى هذه المرة لا أنساها أبدًا.

رضا: كنت قريبًا من فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق حيث كنت معيدًا فى كلية أصول الدين وهو عميد لها ثم اقتربت منه بعد ذلك.. كيف تصف هذا العالم الكبير؟

د هاشم: كان رجلًا ربانيًا صوفيًا بمعنى الكلمة لدرجة أن سيدنا الشيخ أبو العيون كان له مكاشفات مع الإمام عبد الحليم محمود فمرة وأنا جالس فى مكتبه قال له الذين لا يعتقدون فى خوارق العادات قالوا: يا مولانا فى هذا الزمان يوجد أولياء؟

قال: نعم

قالوا من؟

قال: الشيخ محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية أعتقد أنه من أولياء الله.

قالوا له: ما رأيك فى الخوارق والكرامات هل يمكن أن تتحقق؟

قال: سأذكر لكم شيئًا لم يقصه علىَّ أحد ولم أقرؤه فى كتاب...

كنت فى كرب شديد فجاءنى أحد العلماء الصالحين وقال لى هذه صيغة للصلاة والسلام على النبى تفرج الكرب اقرأها فى خلوة وأكثر قراءتها وسيأتى الفرج.

قال: فقرأتها مرات كثيرة فرأيت الحروف تحولت أمام عينى إلى نور فقلت لعل عينى بها تعب فأخذت أدلك عينى وأمسحهما فرأيت الحروف تتلألأ فى الغرفة نورًا فأيقنت أن فرج الله قد جاء وفعلًا جاء فى الحال.

هذه الصيغة: اللهم صلى صلاة جلال وسلم سلام جمال على حضرة حبيبك سيدنا محمد وأغشه اللهم بنورك كما غشيته سحابة التجليات فنظر إلى وجهك الكريم وبحقيقة الحقائق كلم مولاه العظيم الذى أعاذه من كل سوء... اللهم فرج كربى كما وعدت «أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء» وعلى آله وصحبه أجمعين... اللهم آمين.

رضا: رسالة الماجستير كان موضوعها خاصًا بالإمام أحمد بن حنبل وعنوانها «الإمام أحمد وأثره فى السنة» ورسالة الدكتوراه كانت بعنوان «السنة النبوية فى القرن الثالث الهجرى».

د هاشم: أحمد بن حنبل الفقيه والمحدث فهو إمام مذهب من المذاهب الأربعة، المذهب الحنبلى وهو إمام أئمة الحديث وإلى جانب إمامته للمذهب الحنبلى كان صاحب المُسند الذى شمل أربعين ألف حديث بالمكرر لدرجة أنه لما ذكر فى مسنده بعض الأحاديث الضعيفة.

فسئل: كيف تثبت الضعيف فأنت تعلم أنه ضعيف.

قال: مخافة أن تثبت صحته من طرق أخرى فأكون رددت حديثًا من أحاديث المصطفى.

أما رسالة الدكتوراه فكانت بعنوان «السنة النبوية فى القرآن الثالث الهجرى» والتى كانت عن الأعلام فى السنة النبوية كالشهابى، وأحمد بن حنبل، وغيرهم.

وكان المشرف على الرسالة العلامة محمد أبو زهو وهو علامة الحديث المشهور ومن أهم كتبه «الحديث والمحدثون» فسافر إلى السعودية فحل محله الشيخ عبدالعظيم الهاشمى ـ رحمه الله ـ وكانت المناقشة فى قاعة الإمام محمد عبده فى يوم عاشوراء وهو اليوم الذى ولدت فيه لذلك أعتز بهذا اليوم لأنى ولدت فيه يوم حصولى على رسالة الدكتوراه.

حصلت على الدكتوراه سنة ١٩٧٣م، ما لبثت بعدها عدة سنوات حتى قدمت مجموعة من الكتب حصلت على أستاذ مساعد، ثم أستاذ وسافرت إلى المملكة العربية السعودية معارًا إلى كلية الشريعة بمكة المكرمة أستاذًا للحديث سنة ١٩٧٦م، فكان معى أولادى وكنا نسكن فى منطقة الحجون بمكة المكرمة بجوار قبر السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ تسمى المعلى وكانت هذه المنطقة آهله بالمصريين وكنا نجتمع من بعد صلاة العصر كان عندى طفلتان صغيرتان وبعد ذلك رزقنى الله بولدى محمد، وعملت فى الحرم المكى فكانت متعة أن نلبث فى المسجد الحرام نصلى العصر والمغرب والعشاء ثم نعود وأذكر أن الأطفال كانوا يسعدون عندما يذهبون إلى الحجر الأسود ويقبلونه، وقضيت أربع سنوات فى مكة المكرمة من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٠م.

رضا: خلال الأربع سنوات التى قضيتها أستاذًا فى كلية الشريعة بمكة المكرمة، ما هو الفرق بين التعليم هناك والتعليم الأزهرى هنا؟

هاشم: فى الواقع فرق كبير لأن المملكة العربية السعودية كانوا يعنون عناية فائقة بالعلوم الإسلامية وكانوا يفدون الأطفال بها منذ نعومة أظفارهم وكانت الجرعة التى تُقدم فى السن المبكرة هذه أكثر من التى كانت تُقدم فى بداية التعليم الأزهرى هنا،

فى الواقع أن هذه الفترة التى قضيتها فى مكة المكرمة اعتبرها من أعز فترات شبابى، وكانت جهودى العلمية كبيرة جدًّا وكنت أقدم فى هذه الفترة برنامجًا فى إذاعة نداء الإسلام أسبوعيًا وكانت لى مقالة أسبوعية فى جريدة الندوة السعودية، إلا أن أهم الأعمال التى كنت أقوم بها هى الحصول على المراجع والتى ساعدتنى بعد ذلك فى كتابة مجموعة من الكتب ذلك لأن محاضراتى كانت ثلاثة أيام فى الأسبوع، فكان هناك وقت للكتابة والتأليف ووقت للعبادة فى المسجد الحرام الذى كنا مجاورين له فى مكة المكرمة.

بداية اللقاء بالشيخ الشعراوى

هاشم: فى الوقت الذى كنت فيه بمكة المكرمة، أرسلت الحكومة المصرية إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى ليتقلد وزارة الأوقاف، فصحبنى إلى فضيلته ابن عمى وأستاذى الحسينى أبوهاشم ـ رحمه الله ـ فذهبنا لزيارته وقلت له: إن أسندت إلى أن أقوم بتدريس المادة التى تدرسها مادمت مسافرًا للقاهرة، وكان هذا أول لقاء بينى وبين فضيلة الشيخ الشعراوى، وأعددت نفسى لتدريس مادته. وكانت الجامعة فى هذا الوقت تسمى جامعة الملك عبدالعزيز، ثم أصبح اسمها بعد ذلك جامعة أم القرى إلى الآن.

رضا: قسم الحديث فى كلية أصول الدين. وهو من الأقسام المهمة فى مسيرة الأزهر، كيف كان العمل فى هذا القسم خصوصًا أنك قد توليت رئاسته؟

هاشم: توليت بعد أن انتهت إعارتى فى السعودية رئاسة قسم الحديث وكان قبلى على القسم أستاذنا المغفور له الدكتور موسى شاهين لاشين. له شرح صحيح مسلم وكان قد قدم مشروعًا وصانى ـ رحمه الله ـ أن أكمله مع طلاب الماجستير والدكتوراه إن نأتى على كتب التراث كل كتب السنة فوزعها على طلبة الدراسات العليا حتى تخدم التراث خدمة علمية مثبتة وقبلًا قمنا بهذا ووزعنا عليهم هذه الكتب التراثية وقاموا بتحقيقها. وبعد ذلك عينت كأول عميد لكلية أصول الدين عام ١٩٨٧م فى الزقازيق وشكلت الجهاز الإدارى وأعضاء هيئة التدريس ثم أنشأنا كلية للبنات أيضًا فى الشرقية.

رضا: توليتم رئاسة جامعة الأزهر عام ١٩٩٥م وظللتم على رئاستها ثمانى سنوات، كيف كان العمل طوال هذه الفترة الطويلة لأكبر جامعة إسلامية فى العالم وهى جامعة الأزهر؟.

هاشم: قبل أن أتولى رئاسة جامعة الأزهر توليت نائب رئيس الجامعة لمدة ست سنوات لشئون الطلاب فكانت إدارتى تُعرف بإدارة أو سياسية الباب المفتوح.

فكنت أفتح الباب لكل من أراد مقابلتى سواء من الطلاب أو أولياء أمورهم فى جميع المشكلات التى كانت تواجههم وأنصح كل مسئول باتباع هذه الطريقة المثلى على أن يكون هناك شىء من التنظيم لهذه العملية حتى لا تتحول إلى فوضى، وكانت هذه الفترة مهمة جدًّا حيث تعرفت على مشكلات الطلاب وإدارة الجامعة ومشكلات الأساتذة وبداية من سنة ١٩٩٥م توليت رئاسة جامعة الأزهر، وأخبرنى من قبلى أن ثلاثة آلاف طالبًا قد فصلوا من الجامعة وكانوا يمثلون قنبلة موقوتة فى الشارع، ومنهم من وصل إلى السنة النهائية ثم فصلوا لأنهم فى رأى المسئولين من قبلى قضوا المدة القانونية فلا يحق لهم أن يدخلوا الامتحان مرة أخرى، فاتصلت بالمسئولين الكبار وقلت لهم إن لى اقتراحًا قبل تولى مسئولية رئاسة الجامعة، هذا الاقتراح أنه يوجد أكثر من ثلاثة آلاف مفصولين أريد أن أعيدهم ثانية بضوابط سنضعها لحل هذا الأمر بدلًا أن يكونوا فى الشارع فتجاوب المسئولون معى، وكانت هذه خطوة أعتز بها فى بداية رئاستى لجامعة الأزهر.

ولذلك فإنى أنصح كل مسئول أن يدرس الموقع الذى سيتولاه وأن يتابع بنفسه، لأن الخطوة التى قمت بها مع هؤلاء الطلاب أنقذت عددًا كبيرًا منهم كان يمكن أن يتحولوا إلى عناصر فساد تنخر فى المجتمع.

كنت أنام معهم فى المدينة الجامعية

رضا: فى عهدكم قامت مظاهرات لبعض الطلاب وأحدثت ضجة وقتها وكان لكم موقف حكاه لى بعض الطلاب الذين كانوا محتجزين.. تذكر هذا الموقف؟

هاشم: نعم أذكره جيدًا كانت بعض المظاهرات تقوم فى المدينة الجامعية

وشكاوى تأتى إليَّ، فكنت أرسل لهم أحد الموظفين أو النواب أو العمداء، كنت أذهب بنفسى ومعى الذين يشكون منهم، فإذا كانت المظاهرات فى المدينة الجامعية اصطحب معى من يتظاهرون ضده ونفاتحهم ونناقشهم بالحوار فكانت الاستجابة فورية، لدرجة أنه لما حدثت حادثة رواية وليمة لأعشاب البحر للكاتب السورى حيدر حيدر وقامت مظاهرات فى كل مصر ومنها جامعة الأزهر فقلت لرئيس مجلس الشعب حينئذ سأقدم تقريرًا عن هذه الرواية فى مجلس النواب وأعددنا بيانًا بعد قراءة الرواية ونقدها. وقدمت هذا البيان لمجلس الشعب وجمعت جميع وسائل الإعلام وجميع وكالات الأنباء فى مصر وقدمته فى مؤتمر صحفى، فبمجرد تقديم هذا البيان هدأ الموقف وخاصةً لدى طلبة جامعة الأزهر، وهذا معناه أنه يعتنى هؤلاء الطلاب بثقافتنا، وبعضهم كان قد اعتقل فى هذه الفترة، فمكثت معهم فى المدينة الجامعية لا أذهب إلى بيتى، وكنت أنام معهم فى المدينة الجامعية حتى صليت معهم صلاة الفجر وقلت لن أذهب إلى بيتى إلا بعد أن يعود الطلاب المتحفظ عليهم كلهم واتصلت وقتها برئيس الجمهورية ووزير الداخلية وقلت لهم لن أخرج حتى يعود الطلاب وعاد الطلاب والحمد لله.

رضا: فى خلال ثمانى سنوات فى جامعة الأزهر، كيف ترى التعليم فى وقت رئاستك؟ وكيف تراه الآن؟

هاشم: رأيت أن هناك حوادث حدثت على الساحة، وقضايا يجب علينا اقتحامها، وأن نفتح باب الحوار، وقررنا مادة جديدة تسمى «قضايا إسلامية معاصرة».

مثل قضايا البنوك وقضايا الإجهاض وغيرها، وفى كلية الدعوة أضفنا بعض التيارات والمذاهب الحديثة التى يجب أن يعلمها طالب الأزهر الداعية، استحدثت هذه المادة أيضًا فى بعض المحافظات كمحافظات الصعيد، وبورسعيد قلنا لابد من إنشاء كليات للبنات فى هذه المناطق النائية، وفعلًا بُنيت كليات للبنات فى هذه المناطق. وزادت الكليات حتى وصلت فى عهدى إلى حوالى سبعين كلية.

وبالنسبة للكليات العلمية فى جامعة الأزهر كنا نهتم بالمقرر الشرعى حتى يتميز الطالب الأزهرى فى الكليات العملية بالجانب الشرعى ممثلًا فى القرآن الكريم

والمقررات الشرعية فى الفقه وغيره من المواد، إضافة إلى ذلك فمصر كانت مهتمة جدًّا بالاتفاقيات الدولية مع الجامعات العالمية، على سبيل المثال أرسلنا إلى جامعة فى الولايات المتحدة الأمريكية أنشأها بعض المسلمين من الأمريكان ومن غيرهم من الجاليات العربية والإسلامية «الجامعة الإسلامية المفتوحة» فاعترضت الإدارة الأمريكية وقتها فقالوا لى إن الذى يشرف عليها ويدعمها الأساتذة والمقررات من جامعة الأزهر فوافقت الإدارة الأمريكية بعد علمها بأن المشرف على هذه الجامعة جامعة الأزهر. وهذا كان مهمًا لنا نحن فى جامعة الأزهر لأنه يطلعنا على قضايا تُهم العالم الإسلامى، فأذكر أنى ذهبت وقتها لأمريكا ومكثت فيها شهرًا كاملًا زرت فيها بعض الولايات الأمريكية وألقيت فى مقر الأمم المتحدة بنيويورك أول محاضرة لرئيس جامعة إسلامية عربى مسلم بترجمة فورية عن عالمية الإسلام، أذكر أننى أثناء زيارتى أحد المراكز الإسلامية بنيويورك ألقيت محاضرة مترجمة فرأيت مجموعة من الناس بمستويات عمرية مختلفة جاءوا ليعلنوا إسلامهم ووالله وأنا ألقنهم الشهادة كنت أبكى.

وأقول: كم نحن مقصرون فى مصر وفى الأزهر، وجب علينا أن نأتى إلى هذه البلاد لنشر الإسلام بوسطيته واعتداله.

رضا: ما بين كل فترة وأخرى يكون هناك دعاوى للاقتصار على القرآن الكريم. وهذه الدعاوى تتذرع بأن القرآن فيه كل شىء. وأن السنة قد كتبت بعد النبى بقرنين من الزمان. هكذا يقولون فما ردكم؟

هاشم: هناك هجمات شرسة من بعض أعداء الإسلام وأعداء السنة وواجب علينا نحن علماء الحديث أن نرد وأن ندافع عن السنة النبوية، فهناك غارة شرسة شنها بعض المغرضين على السنة النبوية ونرى أنهم ينحازون للقرآن الكريم، لدرجة أنهم أسموا أنفسهم «القرآنيون».

نحن نكتفى بالقرآن فالقرآن فيه كل شىء ولا يفرط فى شىء ونكتفى بالقرآن عن السنة فرب العزة يقول:

«ما فرطنا فى الكتاب من شىء».

وهم فى الحقيقة فرطوا فى القرآن نفسه الذى يدعون أنهم يتنسبون إليه، ومن أجل ذلك ألفت كتابًا جديدًا صدر عن مجمع البحوث الإسلامية، منذ سنوات عديدة عنوانه «السنة النبوية فى مواجهة التحدى».

وأخذت أفند الشبه التى أثارها هؤلاء وبينت أنهم وهم يسمون أنفسهم القرآنيين خالفوا القرآن الكريم نفسه، لأن القرآن نفسه قال: «وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا».

فالله قد فوض رسوله وأمرنا أن نأخذ منه ما أمرنا به وننتهى عما نهانا عنه.

رضا: من دعاواهم أن السنة قد كُتبت بعد الرسول ﷺ بمائتى سنة؟

هاشم:

سبق أن كتبت أن فى عهد الرسول ﷺ كان الحفظ فى الصدور قائمًا مقام التدوين فى الصحف، ومع هذا فقد ثبت أن النبى ﷺ أذن لمن لا يخاف عليه أن يخلطوا بين الكتاب والسنة بالكتابة، وأنس بن مالك كان يكتب بين الرسول ﷺ وجابر كانت له صحيفة وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص كان يكتب كل ما يسمعه من النبى ﷺ تسمى الصحيحة، لدرجة أن قريشًا نهته وقالت تكتب كل شىء تسمعه من الرسول والرسول بشر فى الرضا والغضب، فقال له الرسول ﷺ: اكتب فو الذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق وأشار إلى فمه الشريف ﷺ:

أى أنه كانت توجد صحف ومجاميع كتبت فى العهد النبوى وبين يدى النبى ﷺ لدرجة أن الباحثين والمدققين.

قالوا: التى كتبت فى العهد النبوى فى حياة النبى ﷺ وبين ما هو صحيح وكتب فى القرن الثالث ما وجدنا فرقًا كبيرًا بينهما.

رضا: من دعاواهم أن هناك بعض الأحاديث التى لا يقبلها العقل؟

هاشم: الرد على ذلك أن يرجعوا إلى كتب الأحاديث الصحيحة فإذا صح الحديث فارجعوا إلى شروحه لأن الشروح تتناول المراد مما لا يرقى إليه فهم بعض الناس، ولذلك فى شرحى الأخير لصحيح البخارى نوهت لهذا الموضوع وكنت أوضح

الأحاديث التى يثار حولها بعض غبار الشبهات ويدعى البعض أنها تنافى العقل فبينت أن العلم الحديث أثبت صحة بعضها، فمثلًا حديث «إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه فإن أحد جناحيه داء والآخر دواء».

ولما اكتشف العلم الحديث عن طريق عالمين من ألمانيا غير مسلمين أنه فى أحد جناحى الذبابة داء وفى الآخر شفاء مما يدل على الإعجاز فى السنة النبوية الشريفة ثم إن الحديث يتحدث عن إنسان اضطر أن يأكل من طعام غُمس فيه ذبابة وليس عليه شىء إذا لم يأكل.

عالم الدين والسياسة

رضا: عُينتم فى مجلس الشعب دورة رئيس اللجنة الدينية. وهنا سؤال ما علاقة عالم الدين بالسياسة بمعنى كيف يمكن أن يلتقى الدين الذى يتحدث عن الأخلاق والمطلقات مع السياسة التى تتصادم مع الأخلاق ولا تعمل إلا فى مجال الخداع إذا صح القول؟.

هاشم: يجب على عالم الدين أن يكون موجهًا وناصحًا وموضحًا الحقيقة، لأن العلماء ورثة الأنبياء وهم الصف الأول بعد الرسل وواجب على المسئولين أن يهتدوا بهم وأن يسمعوا لهم ومن هنا لما طُلب منى رئاسة اللجنة الدينية فى مجلس الشعب كان علىَّ أولًا أن أقدم الاقتراح بأنه لا تقدم القوانين إلا بعد المرور على اللجنة الدينية حتى تضمن أنها تسير على هدى الكتاب والسنة ولهذا وافقت على هذه المهمة.

قضية الحجاب فى مجلس الشعب

رضا: من المعارك الكبيرة فى مجلس الشعب ردك القوى على فاروق حسنى وزير الثقافة عندما ذكر الحجاب بما لا يليق.

هاشم: حاول البعض أن يقول إن الحجاب حرية شخصية وما إلى ذلك فوضحت أنه فرض وأن الفرض إذا جاء به الكتاب والسنة الصحيحة فلا مناص من الأخذ به.

قلت: إن المرأة التى تكون محجبة ساعدت نفسها وغيرها على طاعة الله وأن

المرأة التى لا تكون محجبة تكون سافرة ومتبرجة وتغرى الأنظار المتلصصة كلما رآها أحد يأخذ ذنبًا وهى تعد على نفسها ذنوبًا. فمجرد أن أعلنت هذا فى المجلس جاءتنى رسائل كثيرة من نساء كن سافرات وقد قررن أن يرتدين الحجاب. كانت هذه إحدى القضايا والمعارك داخل مجلس الشعب.

أزمة الخليج وخطبة الدكتور هاشم المشهورة فى مجلس الشعب

رضا: فى أزمة الخليج وبداية التسعينيات من القرن الماضى إبان احتلال العراق للكويت كان لكم موقفكم وخطبتكم الشهيرة التى كانت محل مدح من البعض وانتقاد البعض الآخر فكان موقفًا مشهورًا؟

هاشم: هذه القضية لما أثيرت فى مجلس الشعب كان هناك بعض الأعضاء يميلون مع النظام العراقى آنذاك ـ نظام صدام حسين ـ ويشجعون على غزو الكويت، وكنت ليلتها أسمع ضربًا بالصواريخ فى أحد أماكن فى المملكة العربية السعودية فقلت واحسرتاه تصاب بلاد الحرمين الشريفين بهذه الصواريخ فوقفت فى مجلس الشعب أؤيد الوقوف فى وجه الطغيان العراقى وفى وجه الغزو العراقى للكويت وبينت أن الكويت لها مآثرها وأيادى فى إنشاء كثير من الجمعيات الخيرية والمساجد ولا يصح أن يعتدى عليها وسقت كثيرًا من الأدلة ومن الأحاديث التى تدين العدوان العراقى على الكويت.

الرسوم المسيئة والرد فى مجلس الشعب

رضا: من مواقفكم المشهورة غضبتكم الكبيرة على الرسوم المسيئة للنبى ﷺ ولكم فيها قصيدة مشهورة.

هاشم: من المؤسف أن هذه الرسوم قد رسمت فى أطهر من مشى على الأرض سيدنا محمد ﷺ وكنا نتساءل ذلك فى مجالسنا ومؤتمراتنا، لكننى أصدرت كتابًا عن دار أطلس للنشر بعنوان «نصرة الرسول ﷺ والرد على افتراءات الظالمين». وفندت شبههم وزيفهم ومحاولاتهم النيل من الرسول ﷺ وألفت ديوانًا بهذا الخصوص بعنوان:

«إنه المصطفى»

خاطبت فيه هؤلاء الذين أساؤوا إلى مقام النبى الكريم ـ ﷺ ـ وقلت:

يا سيدى يا رسول الله آلمنا ... أن قام غر بدار الكفر عاداك
وغيره قام فى حقد وفى حسد ... بالزور والظلم والعدوان آذاك
هذا وذاك يريدان الدمار ... لنا لا تبق يا رب لا هذا ولاذاك
لولا تراجعنا لولا تشرذمنا ... ماكان للكفر يغزو عقر دنياك
كنا أعز عباد الله قاطبة ... كنا أجل الورى لما أطعناك
لكن عالمنا يا ويح عالمنا قد ... ضيعوا فى زمان الضعف مسراك
إن فرطت أمتى فى دينها ... حقبًا فكيف بالله يوم الدين نلقاك
يامن أسأت برسم فى مشفعنا ... شلت مدى الدهر والتاريخ كفاك
كيف اجترأت على خير الورى ... سفهًا قد بؤت بالخزى ظلاًّما وأفاكًا
إن الرسول لنور الكون أجمعه ... لكن تعامت عن الأنوار عيناكا

وفى مناسبة أخرى تكررت هذه الإساءة فلم أستطع أن أكتم آلة الشعر فى الرد على هؤلاء الذين أساؤوا إلى حبيب الحق فقلت:

سلوا(الدنمارك)عن رسامهم وسلوا ... هل كان حقًا له فن تبناه؟!
قال الألى أنصفوا: لافن فى يده ... وإنما هو شيطان نبذناه
حبيبنا المصطفى من ذا ينازعه ... حبيبنا المصطفى من ذا تحداه؟!
نحب أحمد أغلى من محبتنا ... لنفسنا بدمائنا قد فديناه
هو الحبيب المرجى يوم لا أحد ... فى موقف الحشر يدرى أين مثواه
هو الحبيب المرجى يوم لا أحد ... يستطيع دفع عذاب قد تغشاه
له الشفاعة دون الرسل قاطبة ... فبالشفاعة رب العرش أرضاه
يا أمتى اتجهوا لله فى ثقة ... إن تنصروا ربكم ينصركم الله
قبل مولده لاحت بشائره ... فى عالم الغيب قد سماه مولاه

وبشرت رسل المولى ببعثته كل تمنى على الرحمن يلقاه
وعاهدوا الله فى حب لنصرته عهد أكيد ورب العرش أمضاه
أثنى عليه إله الخلق فى خلق لاشىء فى الكون أسمى من سجاياه
وأقسم الله فى القرآن فى وضح بـعـمـره... ليمين الـلـه مغزاه
أبعد هذا يروم الآثمون أذى والـلـه أكمل معناه ومبناه؟!
من ذا الذى جرأ المغرور فانطلقت بالزور والإفك والبهتان كفاه؟!
أتلك نزعة عـدوان بأنفسهم أم ذاك حقد دفين فى حناياه؟!
ما اهتز إسلامنا يومًا بخالقنا ولا بخير رسـول قـد أجبناه
ليست محبتنا قـولًا نـرددده بل حبه فى نياط القلب مـأواه
هو الوحيد دعـاه الله خالقه فى يوم مسراه كى يحظى بلقياه
وفاز بالقرب فى المعراج مرتقبًا يا سعد من خصه بالقرب مولاه

وفى الحقيقة ما جعلهم يفعلون ذلك عدم نشر وبث محاسن هذا الدين وهذا الرسول العظيم ﷺ وهذا سلمان رشدى عندما أصدر كتابه الظالم الآثم «آيات شيطانية» مما جعل الغرب ينظرون فى تاريخ سيدنا محمد ﷺ ويتهمون الكتب التى تتحدث عن سيرته، ودخل كثير من الغربيين الإسلام عندما قرأوا عن سيرة الرسول ﷺ فرب ضارة نافعة، وبالرجوع إلى نسب من دخلوا الإسلام نجد أن أعدادًا كبيرة قد دخلت الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠١١م فى الولايات المتحدة الأمريكية لأنهم قرأوا عن الإسلام وعن رسول الإسلام ﷺ ونحن يجب أن نبلغ الإسلام عن الرسول ﷺ.

معركة الشفاعة

رضا: أثيرت معركة الشفاعة بين الدكتور/ مصطفى محمود الذى تكلم فى موضوع الشفاعة ورد عليه كثير من العلماء والدكتور/ مصطفى محمود كان مضمون

كلامه كيف تكون الشفاعة لمن أصر على المعصية وأنها تدعو إلى التواكل وعدم الأخذ بالأسباب؟

هاشم: هو استدل بالآيات التى تتحدث عن الكفار فى نفى الشفاعة فى القرآن، بيد أن القرآن الكريم واضح فى أنها مقررة «من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه». والحديث الذى قال فيه النبى ﷺ صراحةً «وأنا أول شافع مشفع».

وقال: «إن لكل نبى دعوة مستجابة وقد اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة».

فأثبت بالآيات والأحاديث أنها ثابتة.

والمسألة من نقطتين الأولى: الذى مات على التوحيد حتى وإن عصى فالتوحيد ينجيه ويخرجه من النار بعد أن ينال جزاءه.

الثانية: بعض الذين لو غيروا بعد الرسول ﷺ وارتدوا ونكصوا على أعقابهم فهؤلاء لا شفاعة لهم لذلك فى حديث آخر هو حديث الحوض الذى يقول فيه الرسول ﷺ: «أنا فَرطُكُم ـ أى أتقدمكم ـ على الحوض فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا. ليردنَّ على أقوامٌ أعرفهم ويعرفونى، ثم يحال بينى وبينهم، فأقول: إنهم منى، فيقال: إنك لا تدرى ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا لمن بدل بعدى فهؤلاء ليس لهم نصيب فى الشفاعة.

هاشم والشعراوى

رضا: كنت قريبًا من فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فكيف كان مدى هذه العلاقة بينكما؟

هاشم: لما توفى الشيخ الشعراوى طلبت منى أخبار اليوم كتابة كتاب عن الشيخ الشعراوى فقلت لهم آتونى بجهاز تسجيل وأحكى لكم مواقفى معه فالإمام الشعراوى صفحاته تقرأ صباح مساء كلها وحياته لها مكانة فى نفسى عظيمة جدًّا، وذكرياتى معه كثيرة جدًّا وسأختصرها فى موقفين الأول عندما دعانى لحضور عقد قران حفيدته ابنة ابن فضيلته الشيخ سامى الشعراوى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية سابقًا وكان فضيلة الشيخ سامى قال: العروس تريدك أن تكون وكيلًا لها فقال الشيخ الشعراوى:

مادام أبوها موجود فهو وكيلها فنزل الشيخ سامى يقبل رجله لكى يقبل أن يكون وكيلًا لها فقلت له يا مولانا اقبل حتى ترضيه، وذكرنى هذا الموقف بموقف الإمام مسلم عندما قبل الإمام البخارى من رأسه وبين عينيه وقال للبخارى دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين ويا سيد المحدثين ويا طبيب الحديث فقال لى الشيخ الشعراوى لقد وصانى والدى ـ والكلام للشيخ الشعراوى ـ بوصيتين.

الأولى: كن متواضعًا سترى أسرار العلم بين يديك

الثانية: قال لى «اشعبط فى ربنا» باللغة الدارجة هكذا ولا يهمك من شىء.

والموقف الثانى فى عقد قران ابنتى وكنت قد دعوته لعقد القرآن فى مسجد الإمام الحسين فجاء وكانت صرته مليئة بقطع النقود من فئة مائة جنيه وخمسين جنيهًا والعشرين جنيهًا ويوزع على الفقراء وعمال المسجد، وعندما جاء دوره لعقد القران قلت له يا مولانا العقد إيجاب وقبول ونحن نريدك أن تعقد العقد لتحصل للعروسة البركة قال: ذكرتنى بموقف واحد كان محتاج لمائة جنيه فكان يدعو الله كثيرًا أن يرزقه بمائة جنيه حتى رأى الرسول ﷺ.

وقال اذهب إلى فلان الفلانى فى مكان كذا ستجد شخصًا يعطيك ما تريد فذهب الرجل إلى المكان الذى رأى فيه الرؤيا.

وقال للرجل: كما قال له الرسول ﷺ: رسول الله يأمرك أن تعطينى مائة جنيه.

فقال له الرجل: مستفهمًا ماذا تقول؟

فأعاد عليه ما قاله وكرر ذلك مرات عدة والرجل يستفهم.

فقال له الرجل: لا تهزء بى.

فقال الرجل: أنا طلبت منك تكرارها لأننى أحب وأشتاق إلى طلب رسول الله ﷺ وأحب أن أسمع منك مرات كثيرة ما طلبه منى رسول الله ﷺ.

ومن مكاشفاته معى أنه لما أرادوا طبع كتاب له اتفق الأستاذ/ أحمد زين الصحفى الكبير والأستاذ/ عبدالمنعم قنديل على أن يراجع أحاديث الكتاب الدكتور/ أحمد عمر هاشم وذهبوا إلى الشيخ الشعراوى فعرض عليه أن يختار أحد من علماء

الحديث يراجع أحاديث الكتاب فقال لهما: أنا وافقت على ما اتفقتم عليه يقصدنى وهو لم يبلغ بهذا.

الشعراوى وعلم التفسير

رضا: ماذا أضاف الشيخ الشعراوى من وجهة نظرك للدعوة ولعلم التفسير الذى كان من العلوم الصعبة؟

هاشم: أولًا أُرجع ظاهرة انتشار القيم الإسلامية بعد انتشار دروس الشيخ الشعراوى وانتشار الحجاب بعد انتشار أحاديث الشيخ الشعراوى وله إسهامه فى إصلاح المجتمع من خلال التفسير وإسقاطاته على الواقع المعاصر لذلك ترى من الإعلاميين مَنْ يستخرج من أحاديثه فى دراسات مختلفة رؤى كأنه نفسه بيننا كقوله مثلًا:

«الثائر الحق يثور ويسقط الفساد ثم يهدأ فيبنى الأمجاد ثم يجلس الجميع على حجره». معناها قرب الجميع إليك لأنك حاكم الجميع، وله مأثورات خاصة به مثل قوله فى النقاب: «ليس مرفوضًا ولا مفروضًا». له نصائح فى علاج السحر والحسد والشر وهذا الدعاء جرب ووجد له فائدة.

«اللهم إنك قدرت بعض خلقك على السحر والشر واحتفظت لنفسك بإذن الضر أعوذ بما احتفظت به مما أقدرت عليه بحق قولك «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله» فهذا الدعاء جُرب ووجدت له منفعة مع إخلاص القلب وكان له نماذج من الحكم ـ رحمه الله ـ عندما يكون طعامنا من فأسنا يكون قرارنا من رأسنا».

تبصير البارى بشرح صحيح البخارى

رضا: قدمت شرحًا لصحيح البخارى اسميته «فيض البارى بشرح صحيح البخارى» وماذا فيه من جديد مختلف عما سبقه من شروح لصحيح البخارى؟

هاشم: عرض علىَّ رئيس مجلس إدارة دار الشعب ـ رحمه الله ـ الأستاذ/ عادل أبو المعاطى وقال لى إن السُنة قد شرحت بأئمة عظم قدرهم كالإمام ابن حجر والإمام العينى والعسقلانى ولكن هذه الكتب مع أهميتها وعظمتها تخاطب المتخصصين فقط وقال لى: الآن نريد شرحًا يستفيد منه المتخصص وغير المتخصص يقرأه عامة

المثقفين الذين ليس لهم فى التخصص فيمكن أن يستفيدوا وكذلك لمن يريد أن يفهم فحوى الأحاديث النبوية فتوكلت على الله فقمت بمنهاج فى شرحه فكنت أشرح اللغويات فى الهامش حتى لا أشغل القارئ ثم المعنى الذى يتعلق به الحديث ثم ثالثًا الأحكام والآداب والأخلاق وفى النهاية ما يُستنبط من الحديث فلا أغرق فى البلاغة ومسائل النحو المتخصصة.

ومن جهة أخرى أنه قد حدث فى المجتمع مشكلات تحتاج إلى بيان السُنة لها فكتابى فيض البارى مثال لما أقول بالإمام ابن حجر والإمام العينى وغيرهما مشكلات جدت الآن لم تكن فى عهدهم فلم يكن فى عهدهم ظاهرة البنوك وظاهرة الإجهاض وهذا التقدم المذهل فى شتى مناحى الحياة وغير هذه المسائل فلابد أن يكون هناك شرح جديد لأن السُنة فيها كل شىء، فأحمد بن حنبل قبل أن يموت قال لولده:

«احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إمامًا إذا اختلفوا فى شىء رجعوا إليه فوجدوه».

وكنت حريصًا على أن أعرض حلولًا لمشاكل المجتمع من خلال شرح بعض الأحاديث كمشكلة الثأر فى المجتمع المصرى أو ظاهرة الإرهاب وننفى كل ما يتعلق بهذه الظاهرة من صلة بهذا الدين العظيم والكتاب فى خمسة عشر جزءًا يشمل أحاديث الإمام البخارى كاملة.

موسوعة الأحاديث الصحيحة مع الشرح

رضا: أمامى موسوعة الأحاديث الصحيحة فى أربعة أجزاء ما تشتمل عليه هذه الموسوعة وما المنهج المتبع فى كتابتها؟

د هاشم: المعروف أن الموسوعات ليس فيها شرح، حيث إنهم جمعوا مادة الموسوعة، لكن الثابت أنى أضفت إليها شروحًا حتى يستفيد منها القارئ والمتخصص وغير المتخصص، ويعرف معنى الحديث، وهذا يهم قطاعًا عريضًا من المجتمع الذى نعيش فيه.

كتب الدعوة

رضا: لكم كتاب بعنوان «الدعوة منهجها ومعالمها».

هاشم: هذا الكتاب كتبته لأننى وجدت أن بعض الدعاة لا يلتزمون بمنهج الدعوة الذى نزل به القرآن الكريم:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾.

فرأيت أن أوضح منهاج الدعوة ومعالم هذه الدعوة وكيف تتجه بها فى الميادين التى تحيا الناس فيها، فإذا كان علماء البلاغة قد عرّفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال فلا يصح للداعية أن يذهب لمكان يتكلم فيه عن أمور لا تمت لهم بصلة، فهم فى حاجة وينتظرون الرأى مثلًا فى قضية الربا فى قضية البنوك فى مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية فرأيت أن أقدم هذا الكتاب ليكون سندًا للداعية وسندًا أيضًا للمدعوين الذين نتوجه إليهم بالخطاب لأن الداعية يجب عليه أن يعرف مشكلات المكان الذى يدعو فيه وأذكر أننا قررنا ـ وأنا رئيس جامعة الأزهر ـ كتابًا يتحدث عن حصر المجتمع السكانى فى العالم حتى إذا ذهب أى داعية إلى أى مكان تعرف عليه حتى يستطيع أن يدعو عن علم.

«زاد الداعية» والأستاذ خالد محمد خالد

هاشم: والكتاب الثانى بعنوان «زاد الداعية» والحقيقة هذا الكتاب له قصة فقد دعانى أستاذ الأساتذة خالد محمد خالد لإلقاء خطبة جمعة بجوار منزله فلما انتهيت من خطبة الجمعة أبدى لى تقديره وقال: يا أخى حرام عليك الخطب دى تروح فى الهواء ونصحنى بأن أسجل خطبى جميعًا، وأن أفرغها ثم أكتبها وأصححها ثم أنشرها فى كتاب وهذا ما حدث فى هذا الكتاب الذى اسميته «زاد الداعية». وكثير من هذه الخطب ألقيتها فى مسجد الرفاعى الذى كنت خطيبًا له فترة كبيرة من الوقت.

ـ الإمام شلتوت وقوته فى الحق.

الإمام الخضر حسين ودفاعه عن الإسلام.

الإمام المراغى وجهوده فى الدعوة.

رضا: لكم كتاب عن هؤلاء الأئمة لماذا هؤلاء بالذات؟

هاشم: هؤلاء من أئمة الإسلام ومن شيوخ الأزهر وكان لكل واحد منهم مجال يمثل بطولة القلم فى مجاله، ويمثل شجاعة الرأى، فعندما توجه الإمام محمد شلتوت إلى رئيس الجمهورية.

وقال له: أوصيك بالأزهر خيرًا وبالإسلام ولن يستطيع أحد أن يفعل ذلك إلا أنت وهذا الكلام قيل للرئيس جمال عبدالناصر من الشيخ شلتوت فكانت كلمة شجاعة لها قوتها ومصداقيتها. ودخلت فى عهده العلوم الحديثة إلى **الأزهر**، وأنشئت عدة كليات فيه وارتفعت مكانة شيخ الأزهر حتى لاقى من الجميع كل الإجلال. وكان يحترمه قادة العالم ويرسلون إليه الرسائل ومنهم الرئيس الفلبينى والذى وضع طائرته الخاصة تحت تصرفه طوال رحلة الشيخ إلى **الفلبين** ومنهم الرئيس الجزائرى **أحمد بن بيلا** الذى أرسل إليه ليطمئن على صحته عندما مرض وزاره فى منزله وكذلك زاره الرئيس العراقى **عبد السلام عارف** وغيرهم. ومنحته أربع دول الدكتوراه الفخرية كما منحته أكاديمية **شيلى** درجة الزمالة الفخرية وأهدى له رئيس **الكاميرون** قلادة تقديرًا لأبحاثه العلمية.

كان الشيخ من أعضاء **دار التقريب بين المذاهب الإسلامية**، وألقى حديثًا دينيًا فى صبيحة افتتاح إذاعة القاهرة وعمل الشيخ محمود شلتوت على توحيد كلمة المسلمين ولم شملهم والقضاء على الخلافات بين المذاهب بإدخال دراسة المذاهب فى الأزهر.

وكذلك الإمام المراغى وجهوده الجبارة فى مجال الدعوة وفى مجال الحفاظ على استقلالية الأزهر وموقفه مع الملك فاروق سنة ١٩٤٥م وقد طَلَّق الملك فاروق زوجته الأولى الملكة فريدة، وأراد أن يُحرِّم عليها الزواج بعده، فأرسل إلى الشيخ يطلب منه فتوى تؤيد رغبته فرفض، فأرسل إليه الرسل يُلحون عليه ـ وكان الشيخ يُعالَج بمستشفى المواساة بالإسكندرية ـ فرفض الاستجابة، وضاق الملك ذرعًا بإصراره على الرفض، فذهب الملك فاروق إليه فى المستشفى مُحتدًّا، فقال له الشيخ

عبارته الخالدة: أما الطلاق فلا أرضاه، وأما التَّحريم فلا أملكه، وطال الجدال وصاح المراغى بأعلى صوته قائلًا: إنَّ المراغى لا يستطيع أن يُحرِّم ما أحل الله.

وعلى أثر هذه المقابلة الصاخبة وما حدث فيها انتكست صحة الشيخ، ولم يلبث إلا قليلًا حتى لقى ربه راضيًا مَرْضِيًّا.

والإمام الخضر حسين وانتصاره للأزهر الشريف رغم أن أصوله ليست مصرية وإنما كانت تونسية.

نال الشيخ عضوية جماعة كبار العلماء برسالته القيمة «القياس فى اللغة العربية» سنة (١٣٧٠ هـ= ١٩٥٠م)، ثم لم يلبث أن وقع عليه الاختيار شيخًا للجامع الأزهر فى (٢٦ ذى الحجة ١٣٧١هـ= ١٦ سبتمبر ١٩٥٢م)، وكان الاختيار مفاجئًا له فلم يكن يتوقعه أو ينتظره بعدما كبر فى السن وضعفت صحته، لكن مشيئة الله أبت إلا أن تكرم أحد المناضلين فى ميادين الإصلاح، حيث اعتلى أكبر منصب دينى فى العالم الإسلامى.

وكان فى ذهن الشيخ حين ولى المنصب الكبير وسائل لبعث النهضة فى مؤسسة الأزهر، وبرامج للإصلاح، لكنه لم يتمكن من ذلك، ولم تساعده صحته على مغالبة العقبات، ثم لم يلبث أن قدم استقالته احتجاجًا على اندماج القضاء الشرعى فى القضاء الأهلى، وكان من رأيه أن العكس هو الصحيح، فيجب اندماج القضاء الأهلى فى القضاء الشرعى؛ لأن الشريعة الإسلامية ينبغى أن تكون المصدر الأساسى للتشريع، وكانت استقالته فى (٢ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ= ٧ يناير ١٩٥٤م)، ويذكر له فى أثناء توليه مشيخة الأزهر مقولته: «إن الأزهر أمانة فى عنقى أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدى، فلا أقل من أن لا يحصل له نقص» وكان كثيرًا ما يردد: «يكفينى كوب لبن وكسرة خبز وعلى الدنيا بعدها العفاء». هؤلاء من الأئمة الأعلام فى سماء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث.

كتب التربية الدينية والمدارس

رضا: كتبتم كتب التربية الإسلامية لمراحل التعليم المختلفة فترة كبيرة من الوقت

هاشم: دعانى الأستاذ الدكتور/ حسين كامل بهاء الدين وكان وزيرًا للتربية والتعليم ودعا الشيخ محمد الغزالى والشيخ طنطاوى والدكتور/ شوقى ضيف عالم اللغة والأدب المشهور لنضع منهج التربية الدينية الإسلامية فى المدارس وكُلفت معهم أن أكتب الجانب الخاص بتخصصى وهو شرح الأحاديث النبوية إلى جانب المراجعة لهذه الأحاديث ونراعى أن الحرية الدينية والتربية الإسلامية مهمة جدًّا لأن الفترة العمرية فيها المراهقة وفيها الشباب وفيها صياغة العقل للشباب ليكون على هدى من الإسلام الصحيح.

أحمد عمر هاشم شاعرًا

رضا: متى بدأ سريان نهر الشعر عندكم؟

هاشم: بدأت وأنا فى السنة الأولى الابتدائية وكنت قد كتبت فى فترة مبكرة من حياتى فى أستاذى وشيخى العارف بالله الشيخ محمود أبو هاشم ـ رحمه الله ـ وقلت فيه:

فطن حياه الله بالخيـرات هو شيخنا من أكـرم السادات

حاز المحاسن والفضائل كلها مـن أقـدم الأيـام والسـنـوات

ولما عرضت عليه هذه الأبيات أُعجب بها وكنت فى السنة الأولى الابتدائية وشجعنى على كتابة الشعر وكنت أحفظ كثيرًا من الشعر، وكنت أحب أن أقرأ لأحمد شوقى وحافظ إبراهيم ولأبى العلاء والمتنبى والبُحترى والشاهد أننى بدأت فى المرحلة الابتدائية وكتبت قصة فى شكل مسرحية شعرية عنوانها: «نهاية أمل» كان ذلك فى الابتدائية، والابتدائية فى هذا الوقت كانت بمثابة الإعدادية الآن، ثم ألفت مسرحية شعرية فى الثانوية الأزهرية عنوانها «أصحاب الجنة» هذه المسرحية كتبتها وأنا طالب وكنت قد قرأت المسرحيات الشعرية لشوقى وعزيز أباظة وغيرهم وكتبت أنا هذه القصة من وحى قصة أصحاب الجنة فى سورة القلم وفيها كتبت على لسان بعض الأبناء:

أحدهم: يا إخوتى حدثوا.... ما ذلك الخبر.

أين الحديقة.. أين الزرع والثمر.

بالأمس كانت عقود السعد تنظمها.

واليوم أبصرت عقد السعد مبتسر.

يا إخوتى حدثوا ما ذلك الخبر.. أين الحديقة؟ أين ال.....

هذا جزاء الألى ضنوا بما لهم عن المساكين.

يا إخوان فاعتبروا.

وأذكر وأنا طالب أننى دون علمى وجدت قصيدة من قصائدى تدرس فى المدارس بعنوان «شعار الوحدة» وكتب فى الهامش أحمد عمر هاشم شاعر معاصر ينشر له فى مجلة منبر الإسلام وكنت طالبًا وقتها فى كلية أصول الدين وقلت فيها:

على ثغر الوجود هناك ... فى خفقاته العارم

نداء راعد الأصداء ... وفى كل الربى قائم

عروبتنا ووحدتنا ... هتاف دائم دائم

وهناك ديوان «أمة المصطفى» كنت أرد فيه شعرًا على الذين حاولوا النيل من الرسول ﷺ.

رباه أدرك بنى الإسلام رباه ... فالغرب ينفث حقدًا من ثناياه

آذوا رسول الهدى واستمرأوا صلفًا ... رسمًا بذيئًا شعوب الأرض تأباه

عاثوا فسادًا وزادوا فى تمردهم ... أواه من ظلمهم يا رب أواه

لم يعرفوا قدر هادينا ومنقذنا ... هل كان يرحم هذا الكون لولاه؟!

ما بالهم كرروا الإيذاء ثانية؟ ... أما دروا أن رب العرش يرعاه؟!

أما دوا أن رب العرش عاصمه؟! ... وإن رموه بسوء فى الدنا تاهوا؟!

هو الحبيب المرجى يوم لا أحد ... فى موقف الحشر يدرى أين مثواه

هو الحبيب المرجى يوم لا أحد ... يستطيع دفع عذاب قد تغشاه

له الشفاعة دون الرسل قاطبة ... فبالشفاعة رب العرش أرضاه

يا أمتى اتجهوا لله فى ثقة إن تنصروا ربكم ينصركم الله

وكتبت قصيدة بعنوان «فطرة الإنسان» قلت فيها:

سلوا النور المشع العبقرى تهادى فى الدنا فجرًا نقيًا
يطارح لحنه المنغوم لحنا رقيق الخطو ميادا حييا
ويهمس للدرارى فى سماها فترتقب المجرة والثريا
هنالك فطرة الإنسان مدت على الأبعاد منطقها الزكيا
أأعبدها؟ لقد أفلت جميعًا سأعبد ربها الملك القويا
هو الرحمن سواها بعلم وسوانى لها بشرًا سويًا
حبيبى يا رسول الله هذا ضياؤك مشرق فى مقلتيا

وفى نهايتها أقول:

لقد فطر الإله الخلق طرا عليها باعثًا هديًا نبيًا
وأرسل رسله ركبا فركبا ليبتعثوه دينًا عالميًا
وكان ختامهم خير البرايا محمدًا النبيا الهاشميًا

رضا: لكم قصيدة مشهورة على نهج بردة البوصيرى كما فعل أمير الشعراء أحمد شوقى.

د هاشم: نعم لى قصيدة طويلة من أهم قصائدى كتبتها على نهج بردة البوصيرى حبًا فى المصطفى ﷺ أقول فى بدايتها:

لاحت لعينى أنوار بذى سلم يا حادى الركب أسرع بى إلى الحرم
يهفوا الفؤاد لخير الخلق قاطبة ومنبع النور والتوحيد والكرم

وفيها أقول:

قد كان ميلاده ميلاد أمتنا فقد غدت بهواه أعظم الأمم
فالخلق فى فرح والكون فى مرح والصبح فى وضح يجلو دجى الغسم
نحن الشهود على كل الألى سبقوا وهو الشهيد بعهد غير منفصم

خيرية الأمــة الـغـراء مبعثها قيامنا بعظيم الـذكـر والقيم
فالله أرسله للعالمين هدى ورحـمـة لجميع الخلق كلهم
قضى طفولته فى طهر نشأتها فما ألــم بهلو الـنـاس واللمم
رعاه رب الورى لم يمش فى سمر من لهو قـوم بشر الفعل متسم
بل كان ينكر أن يسعى العباد إلى عبادة الباطل المنبوذ والصنم
وفـى شبيبته إرهــاص دعوته يسمو بحكمته فى أبلغ الكلم
فعندما اختلفوا فى الرأى عن حجر يكون فى الركن فى وضع لمستلم
وكادت الفتنة العمياء تسحقهم فالعقل فى غيبة والأذن فى صمم
أتى الرسول فقال القوم فى ثقة نرضى بحكم الأمين الصادق الحكم
لقد تداركهم بالحق أرشدهم أن يحملوه فوفى الكل بالذمم
وفى حـراء قضى أيـام خلوته تحنثا فـى تـقـاه دون مـا سأم
حتى أتـاه أمين الوحى يعلنه بخير منزلة تعطى لمستنم
قد قال المصطفى اقرأ فأخبره ما كـان يقرأ بل ما خط بالقلم

وفى نهايتها أقول:

يا رب حقق بجاه المصطفى أملى فما لنا غير رب العرش من أرم
واغفر لنا وأقل يا رب عثرتنا ونقنا من هموم القلب والسدم
يا ربنا ارض عن الصديق عن عمر عن ابن عفان ذى النورين والكرم
وعن على إمام المتقين وعن جميع إلــى رســول الله كلهم
واكتب لنا يا إلهى حسن خاتمة وفرج الكرب يا رب الورى بهم
جئنا رحابك يا ربى على خجل نرجو القبول فلم ننكث ولم نرم
يا واسع الفضل والإحسان معذرة عما قصدنا وعما كان من رغم
يا رب فاقبل رجائى واستجب كرمًا منى دعائى فى حل وفـى حرم
إن ضل يومًا فؤادى أو غوت قدمى فارحم فـؤادى واغفر زلة القدم

ربى بجاه الشفيع المصطفى هتفت مشاعرى برجاء غير منفصم
ختمت بردته أرجو شفاعته حمدًا لربى على التوفيق فى الختم

عالم الدين والسياسة

رضا: اقتراب عالم الدين من السياسة بأساليبها التى لا تناسبه فى كثير من المواقف فالسياسة لها حسابات مختلفة ولابد لها من مواقف لا تتفق غالبًا مع ما يدعو إليه الدين وكان لكم اشتراك فى وقت ما بالسياسة.. ما تقييمكم لهذه الفترة؟

هاشم: لو كان يصيخ لرأى السلطة وليس لرأى الإسلام، لكن إن كان شامخًا فى رأيه حرًا فى فكره لا يرضخ لرأى أحد ويوجه الحاكم لما فيه الخير والصلاح، وأنا أذكر فى موضوع كادر الدعاة موقفًا قويًا وعندما أثير الموضوع فى مجلس الشعب حاول البعض أن يرد فاتصلت برئاسة الجمهورية وأبديت رأيى بصراحة فهذه أهمية وجود رجل العلم والدعوة فى هذه المجالات ليصحح الأوضاع الخاطئة.

كلمة الختام

هاشم: أدعو الله تعالى أن يمن علينا بالأمن والاستقرار والأمان والازدهار وأوجه إلى كل أبناء مصر وإلى كل المختلفين توبوا إلى ربكم، تعالوا إلى كلمة سواء.. وحدوا صفكم عسى الله أن يجمعنا على الحق.

يا أمة المصطفى توبوا لبارئكم حتى يرد عدوًا فاغرًا فاه...

فالابتلاءات لم تنزل بأمتنا إلا بذنب كبير قد فعلناه

بروفايل

على مدى ساعتين دار هذا الحوار مع أحد أهم الشخصيات التى تمثل الدعوة فى مصر فى فترة من فترات تاريخها الحديث، فى عهد السادات وفترة مبارك كاملة، كان فيها وجها مألوفًا محبوبًا عند كثير من الناس، كان نجمًا فى مجال الإعلام حيث احتل مساحات واسعة فى كل الوسائل الإعلامية، ولهذا اختاره نظام مبارك كوجه مقبول

عند الناس وكعالم كبير فى علم الحديث فى فترة كان فيها مقبول الكلمة، وكانت له مواقف يشهد له فيها بالانتصار للإسلام وللدعوة الإسلامية، ومحاولاته المشكورة فى الارتقاء بالأئمة والخطباء ماليًا بأن يكون لهم كادر خاص الذى لم يتم لكن كان له فيها شرف المحاولة، لكن كانت له مواقف أخرى كخطبته المشهورة فى مجلس الشعب أثناء حرب الخليج التى اختلف فيها الناس بين مؤيد لها ومعارض، فالمؤيد رأى أنها صيحة من عالم مصرى على ما فعله صدام حسين فى الكويت وأن هذا عدوان على بلد مسلم من بلد مسلم آخر، والمعارض رأى أن الكلمة كانت فيها إشارة لموقف مصر وقتها والقيادة السياسية التى لم تستطع أن تفعل شيئًا ورأى البعض أنه ما كان يجب عليه أن يذكر السياسة فى هذا الأمر وكان يجب أن تكون القضية حال المسلمين والعرب وليس ذكر مواقف الرئيس وأمور السياسة.

والموقف الثانى الذى غضب منه محبوه الموقف الذى حدث بينه وبين كمال الشاذلى السياسى المعروف والذى كان زعيم الأغلبية فى مجلس الشعب وقتها عندما قال له: اجلس يا عمر، اجلس يا عمر.

عندما كان يرد على أحد المنتقدين له وغضب محبوه وقتها لأن هذا ـ من وجهة نظرهم ـ لا يليق بعالم دين كبير وله فى نفوس كثير منهم تقدير خاص خاصة وأنه كان وقتها رئيسًا لجامعة الأزهر فكيف لسياسى مهما كانت مكانته أن يتحدث بهذه اللهجة مع عالم أزهرى ورئيس أكبر جامعة إسلامية فى العالم.

أما حوارى معه فقد كان فيه سلس الحديث سهل التناول سريع البديهة يستدعى كلماته كأنما ينتقيها من بستان عنده لا ينضب، استشهاده بالآيات والأحاديث سهل دون تفكير وكأنما هو متوحد معها يعرفها وتعرفه يحبها وتحبه.

وكان فى بيانه وعرضه جزل اللفظ، يختار عباراته بعناية وتحس عندما تسمعه أنه يقف على ناصية اللغة العربية شامخًا لغة ونحوًا وصرفًا وبلاغة وأدبًا فهو شاعر كبير، دار فى خلدى وأنا أجرى معه حوارى هذا فعل السياسة التى خطفته حينًا وأغرته ببريقها الأخاذ، فقلت بينى وبين نفسى لو أن عقلًا بهذا الرشد، وإنسانًا بهذا العزم، وطموحًا بهذا الوثوب، خلص كل وقته للحديث وللسنة وللدعوة وللشعر لكان ما

قدمه أضعاف ما قدم فى مجال علم الحديث والسنة النبوية بل وفى كل مناحى العلم لأن من يستمع إليه وهو يعرض ما عنده يجد أنه أمام عالم كبير صاحب عقل وقاد وكلمة بليغة وبديهة حاضرة ونظرة صائبة وشاعرية تحتاج إلى دراسة متكاملة متدبرة لأن الصورة عنده جديدة والبناء الشعرى محكم والألفاظ شديدة الجرس جذابة عندما تقرأ أو تسمع شعره تحس أنك أمام شاعر لا يقل عن أهم الشعراء فى العصر الحديث.

الأستاذ الدكتور/ محمود محمد مزروعة

تاريخ فى الدعوة وتاريخ فى المواقف وحدة فى الآراء

«أميل إلى النصية أكثر مما أميل إلى إعمال العقل فى النص»

قصة اللقاء

الدكتور محمود محمد مزروعة من الشخصيات التى تحظى باحترام فى الوسط الذى يعمل فى مجال الدعوة والإعلام عامة والإعلام الإسلامى خاصة، وكنت أراه دائمًا عندنا فى استديو التسجيلات فى برنامج للتفسير بعنوان «كلمات الرحمن» وتعرفت على فضيلته، وقتها كان ذلك فى منتصف التسعينيات، وكان لنا لقاءات متعددة فى إحدى الشركات الإعلامية الخاصة حاورته على مدى ساعات طويلة فى مسائل العقيدة والتفسير، ووقتها تعرفت على ملامح من شخصيته، فهو ذو شخصية تفيض قوة وعزة فى تواضع جم، وجمع بين الاثنين فى توافق ظاهر لمن يتعامل معه أو يحدثه، وهو مملوء علمًا وفقهًا وله آراؤه التى يستند فيها إلى أدلة تكاد لا تدفع ثم هو شديد على من يراه يخرج عن أصول الإسلام التى يعتنقها ويدعو إليها، ثم جاءت شهادته المشهورة والمشهودة فى قضية مقتل فرج فودة والتى تعرض فيها لأشد أنواع النقد من اليساريين وحتى من بعض الإسلاميين وانتهى به الأمر للخروج خارج مصر، وظل بالسفر سنوات طوال، وعندما بدأت هذا البرنامج راجعت ذاكرتى فتذكرت هذا العالم الكبير، فاتصلت به على الهاتف، وذكرته بما كان بيننا من حلقات وفاتحته فى سيرته ومسيرته التى نريد أن نضعها على مسامع الناس على موجات تنقلها إليهم،

فوافق، فذهبت إلى بيته فى مدينة نصر وكان هذا الحوار الذى لم أستطع أن أحمله للموجات لأنها لا تحتمل كثيرًا مما جاء فى الحوار من صراحة لرجل متسق مع ذاته، صريح فى أقواله، قوى فى اتهامه لبعض من تتفق معهم أنت أو تختلف فآثرت أن أضع سطورًا تجرى عليها عيون القارئ فذلك أسلم من أن تحمله الموجات ويحدث بعدها ما لا يحمد عقباه ذلك أن الرجل قال كلامًا غير معهود أظنه لا يروق لبعض الناس يختلف معه فيه ليس العوام فقط وإنما المفكرون والعلماء لكنه يعرضه ويقدمه وهو مسئول عنه لديه حججه وأسانيده.

أقوال فى الحوار

- نحن عشنا طفولة شديدة وصعبة ليس للفقر ولكن للتربية الشديدة ومات والدى وعندى تسع سنوات سنة ١٩٤٤.
- كان المدرس إذا صادفته أقف مكانى وأحييه وأرفع يديه لتحيته وأظل متجمدًا فى مكانى.
- كنا نخرج من المعهد نذهب إلى السينما فى حفلة الساعة العاشرة ثم نذهب إلى المنشية ونتمشى على الشاطئ، وكنت يوميًا أدخل السينما.
- وعندما خرج بهم إلى الباب التفت إلى وقال: أنت إيه؟ قلت له: لا علاقة لى بهم أنا ألعب معهم الطاولة فقط. فقال: طب تعالى العب معهم طاولة فى السجن.
- عبدالناصر فى الظاهر قال سوف أغنى الفقراء والذى حدث من وجهة نظرى أنه زاد الفقير فقرًا وأفقر الغنى.
- هؤلاء الزملاء الذين ينتمون لجماعة الإخوان يدعوننى للدخول فى جماعتهم فكنت أرفض فكانوا يقولون لى: «أنت كافر».
- وكان الدكتور عبد الحليم محمود شيخًا للأزهر وقتها وطلب منى أن أخلع البذلة والكرفت وأن ألبس الزى الأزهرى فرفضت فقال لى: عمومًا أنت ما تستهلهاش.

ـ دين الله واحد ودين الله الحق لا يجمع ولا يقال الأديان وإنما يقال دين الله.

ـ أنا أميل إلى السلامة وأميل إلى النصية أكثر مما أميل إلى إعمال العقل فى النص.

ـ ليس لنا أن نقول أخطأ معاوية وأصاب عليًا ولا أخطأ على وأصاب معاوية إطلاقًا.

ـ لا يكون الاجتماع إسلاميًا والاتفاق إسلاميًا إذا اجتمع المسلمون مع غير المسلمين أو مع المبتدعات من الدين من المسلمين أو من الذين فسقوا عن الملة جملة وتفصيلًا.

فها هو الحوار

نحن عشنا طفولة شديدة وصعبة.

رضا: النشأة والتأثيرات التى تأثرت بها فى بداية حياتك خصوصًا أنك نشأت فى محافظة البحيرة وفى فترة ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م.

د/ مزروعة: هذه سيرة شخص عادى جدًّا من الناس الذين عاشوا حياتهم فى سنوات قرر الله طولها وعرضها ثم تنتهى حيث شاء الله تبارك وتعالى. ولدت فى ١/ ٧/ ١٩٣٥م فى قرية أسمانية مركز شبراخيت بمحافظة البحيرة، فى هذا الزمان لم يكن هناك شىء يشبه ما نحن فيه الآن كانت الأمور مختلفة، وكان أبى يعاملنا بشدة وقسوة فى طلب العلم فى المدرسة الإلزامية، فى الكُتاب فى حفظ القرآن الكريم فكنت أذهب إلى هذا الكُتاب فى الصباح ثم يأتى أبى بمن يُحفظنى أو يُراجع لى فى المساء، بمعنى ما يقال أن فلانًا لم يعش طفولته، نحن عشنا طفولة شديدة وصعبة ومات والدى وعندى تسع سنوات سنة ١٩٤٤م، وعندما مات لم أشعر تجاه وفاة والدى بشىء من الأسى والحزن لشدته معى فى بداية طفولتى وهذه عبرة وعظة أنصح بها الذين يربون أولادهم أن يكونوا على غير ذلك، القضية ليست قضية أن يتعلم الأولاد وأن يحفظوا القرآن الكريم وأن يكونوا على مستوى معين وفى مقابل هذا نحملهم من المسئولية ما لا يتناسب مع سنهم. فكل سن له مستوياته ومسئولياته، فيجب أن يعيش حياته فى هذه السن، مات والدى ليلة عيد الفطر عام ١٩٤٤م ثم

خرج وكنت ألعب وهم يمرون بالنعش فيه والدى ولم أشعر بأسى كبير. فهذا الحدث له أثر كبير فى حياتى ولا أنساه.

بعد ذلك أتممت حفظ القرآن الكريم فى سن الثانية عشرة ثم قرأت القرآن الكريم تجويدًا بالقراءات السبعة ولم يلتفت أحد إلى أننى يجب أن أذهب بعد حفظ القرآن الكريم إلى المعهد الأزهرى بالإسكندرية، وفى هذا الوقت لم يكن هناك طفل أو طفله إلا ويدخل المدرسة، فعندما يصل سن الولد إلى سن المدرسة يأتيه خطاب يعلمه أن ابنه لابد أن يلتحق بالمدرسة وإلا سيعاقب الأب ويحاكم من الدولة.

خطوات التعليم الأولى

فى الابتدائى الدراسة تبدأ من الثامنة صباحًا حتى الواحدة ظهرًا ثم بعد ذلك نتناول الغذاء على نفقة الأمم المتحدة (اليونسكو) فى ذلك الوقت، فول وطعمية ورغيف عيش أو عدس أو غيره، ثم بعد ذلك نخرج لمكتب تحفيظ القرآن الكريم نبدأ بتسميع الماضى ثم نكتب فى اللوح وما نحفظه من جديد، وكان كل طالب منا يحمل شنطة عبارة عن قطعة من القماش ولها حبل طويل نلبسه فى أعناقنا وأهم شىء عندنا حفظ اللوح من القرآن الكريم فلم يكن وقتها ما يسمى بالدروس الخصوصية ولا السنتر أو ما نراه الآن.

صورة القرية المصرية فى الأربعينيات

كنا نسكن فى حارة تسمى حارة «مزروعة» وكان باب الحارة يغلق، فكان والدى يذهب إلى صلاة العشاء فى المسجد ثم يجلس قليلًا مع أهل الحارة أو معنا ثم يغلق باب الحارة بالقفل فلا أحد يدخل ولا أحد يخرج وكان والدى فى ذلك الوقت ثريًا ثراءً فاحشًا وكان كبير القرية فى ذلك الوقت، كنت إذا غبت عن البيت ينطلق عدد من الفلاحين والعمال الذين يعملون عند أبى للبحث عنى أو عن أخى الأكبر «غرس الدين» ـ رحمه الله.

وكان المدرس إذا صادفته أقف مكانى وأحييه وأرفع يدى لتحيته وأظل متجمدًا

فى مكانى، والقضية ليست قضية التذلل للمدرس ولكن القضية ما الذى يجعلنى أنا أفعل ذلك مع المدرس ليس إلا الاحترام والتقدير والتوقير لهذا المدرس فليس خوفًا وإنما احترامًا وتقديرًا والدليل على ذلك أننا لا نفعل ذلك مع مدرس بعينه كان قاسيًا معنا لأننا إذا رأيناه أخذنا طريقًا غير طريقه بحيث لا نراه ولا يرانا ولا نضطر أن نفعل معه ولاء الاحترام والتوقير التى نفعلها مع من يستحقون ذلك.

رضا: صورة الأزهر فى ذلك الوقت والخطوات الأولى لكم فى ساحة الأزهر التى ستكون أحد أهم أساتذته؟

د/ مزروعة: لم يكن هناك معاهد أزهرية كثيرة، كنا نحن فى شبراخيت ونركب قطار إيتاى البارود وكان المعهد الابتدائى والثانوى الوحيد فى الإسكندرية فى ذلك الوقت ومعهد آخر فى طنطا، ومعهد ثالث فى القاهرة ومعهد رابع فى أسيوط فقط، ولم يكن أمامى إلا أن التحق بأحد المعهدين فى طنطا أو الإسكندرية، فقدم لى أخى الأكبر بعد وفاة والدى فى معهد الإسكندرية وكان وكيل هذا المعهد لوالدى أفضال عليه كان يعرفها له. ومعهد الإسكندرية وقتها كان مكتوب عليه «مشيخة علماء الإسكندرية» وكان السكن داخلى فى المعهد.

طالب ثرى وصداقات جديدة

رضا: خرجت من البحيرة ومن شبراخيت ومن حارة مزروعة إلى الإسكندرية فى هذا المعهد وفى هذه السنة.. كيف رأيت الحياة فى هذا الوقت فى بداية الأربعينيات من القرن الماضى وما هى أهم المواقف؟

د/ مزروعة: كنا نعيش فى داخل المعهد حياتنا، وتعرفت على اثنين من الزملاء وكان أخى يعطينى فى الأسبوع خمسين قرشًا وكان هذا مبلغًا كبيرًا جدًّا فى هذا الوقت، فكنا نخرج من المعهد نذهب إلى السينما فى حفلة الساعة العاشرة ثم نذهب إلى المنشية ونتمشى على الشاطئ، وكنت يوميًا أدخل السينما والذى دلنى على هذا وجعله شيئًا لازمًا اثنان من الزملاء، وكنت أظل هكذا طوال العام حتى إذا قرب موعد الامتحان فآتى بشهادة من طبيب على غياب كل هذه الشهور كان يأخذ على

كل شهادة خمسة وعشرين قرشًا ويكتب شهادة بأنه قد مرض بمرض كذا وكذا حتى أدخل الامتحان. وكنت أنجح وهما يرسبان. لأن كل معهد كان يعطى أجازة إلزامية قبل الامتحان وكانت شهرًا كاملًا فكنت أسافر إلى قريتى وأشترى الكتب فى هذا الشهر وأذاكر فى هذا الشهر مذاكرة جيدة جدًّا فكنت أبدأ قراءة الكتاب قراءة جرائد حتى انتهى منه وأكتب فى آخره القراءة الأولى. ثم أتناول موضوعًا موضوعًا بحيث يتم الانتهاء من موضوع أغلق الكتاب وأرى ماذا أفدت من هذا الموضوع ثم أبدأ قراءته مرة أخرى حتى أكاد أحفظه هذا كل ما كنت أفعله خلال هذا الشهر.

وكنت أحصل على تقديرات عالية، والمناهج الأزهرية فى الابتدائى كانت هى الأساس المتين، فكان كتاب «نور الإيضاح» فى الفقه الحنفى، وفيه جميع موضوعات الفقه والنحو فى كتاب «قطر الندى وبل الصدى» لابن هشام، كان أكثر ما يقرأ هذا الكتاب ويجيده كان لا يفوته شىء من النحو على الإطلاق، ثم كان «شذور الذهب» وكان أيضًا لابن هشام، ثم كان فى الثانوى «ألفية ابن مالك» أوضح المسالك «شرح ألفية بن مالك» حتى إنه لا يمكن بعد دراسة كل هذه الكتب أن تخطئ فى النحو بعد ذلك أبدًا، لذلك لا يمكن أن أتكلم فى محاضراتى إلا باللغة العربية الفصحى والسليمة، حتى إننى على مدى سبعة وأربعين عامًا منذ حاضرت للطلاب وأمران تثبتا عندى منذ بداية هذا الوقت الأول هو أننى لا أتكلم داخل قاعة الدرس إلا باللغة العربية الفصحى الصحيحة. والأمر الثانى أننى لا أسمح لطالب أن ينظر للآخر وأنا جالس لإلقاء المحاضرة إطلاقًا. فإذا دخلت أترك لهم خمس دقائق بحيث من يريد أن يخرج يخرج لكن لا أسمح بدخول ولا بخروج إلا بإذن. وتعهدت ذلك حتى اليوم وأتمنى أن يفعل الجميع ذلك.

السجن الحربى

رضا: كانت لكم تجربة فى بداية حياتك فى السجن الحربى وصفتها بأنها كانت صدفة فما حقيقة هذا الموضوع؟

د/ مزروعة: كنت أريد أن أدخل كلية اللغة العربية لأننى كان لى زميلان دخلا كلية اللغة العربية فأردت أن أكون معهما، لكن كان لى عين ضربت عليها سنة

١٩٥٦م وأنا طالب فى رابعة ثانوى فى السجن الحربى، والسجن الحربى لمن لا يعرفه يضعون فى طرف السوط أو الكرباج مثلثًا من الصلب مسنونًا من أضلاعه الثلاثة ويربطونه فى طرف الكرباج ويضرب هكذا ثم يسحب سريعًا بطريقة معينة دربوا عليها فيشق اللحم. وأنا دخلت هذا السجن عن طريق المصادفة وأنا فى رابعة ثانوى ظلمًا، فأنا كنت أسكن خارج السكن الداخلى للمعهد وأذهب لسكن المعهد كى ألعب الطاولة مع بعض زملائى فى السكن الداخلى للمعهد فلما دخل الضابط نادى على زملائى وكانوا يلعبون معى الطاولة وعندما خرج بهم إلى الباب التفت إلى كأنما نغزه الشيطان.

وقال: أنت إيه؟

قلت له: لا علاقة لى بهم أنا ألعب معهم الطاولة فقط.

فقال: طب تعالى العب معهم طاولة فى السجن.

فقلت له: حرمت ألعب طاولة، وكان هؤلاء الزملاء أسماؤهم ضمن جماعة الإخوان المسلمين ولم تكن لى صلة بهم ولا بأفكارهم ولكن كنت ألعب معهم الطاولة فقط.

وصدر الأمر من الضابط: هاتوه.

وخرجت من شقتى التى كنت أسكن فيها فى منطقة غيط العنب بالإسكندرية وكان معى مفتاح الشقة وكان معى خادم يخدمنى تركت كل هذا وذهبت إلى السجن، وليس لى أية علاقة ولا شأن بهؤلاء الزملاء ولا بأفكارهم، ووصلنا بعد خمس ساعات تقريبًا إلى السجن الحربى بعد أن وضعوا على رؤوسنا أغطية طوال هذه الساعات، وفى الصباح رأيت شابًا مربوطًا برجلية فى السقف وكان كلب يحاول أن ينهشه، فصرخت وقلت: «حرام حرام» فوجدت العسكرى الذى كان بيده الكرباج يضربنى به فجاءت الضربة على عينى فسالت وضاعت العين، وبعد حوالى عشرين يومًا فى المستشفى سألت الطبيب (طبيب مستشفى السجن) هل أستطيع أن أرى بعينى؟ فقال: يا بنى نحن نجتهد حتى لا تتأثر العين الثانية وتذهب كما ذهبت الأولى، وكان هذا أول لقاء بينى وبين هؤلاء الناس، ضاعت فيه عين من عينى، على الرغم من أن هؤلاء الزملاء الذين ينتمون لجماعة الإخوان يدعوننى للدخول فى جماعتهم فكنت أرفض فكانوا يقولون

لى: «أنت كافر» ما دمت لم تسجل نفسك فى الإخوان فأنت كافر. فكنت مغضوبًا علىَّ من السلطة وكافرًا عند الإخوان المسلمين. فكان إلى هذا الحد الرعب من عبدالناصر ومن النظام فى هذا الوقت لا يستطيع أحد أن ينطق بكلمة.

الإصلاح الزراعى ونكبة الأسرة

د/ مزروعة: هذا يذكرنى أيضًا بقانون الإصلاح الزراعى وماكان من أخى الكبير على أفندى وهكذا كان يسمونه حيث كان شديدًا عنيفًا يطلق عليه أنه فيه «عرق تركى» يعنى أنه شديد وعنيف جدًّا وأنفه فى السماء ثراء وشباب وأرض زراعية كبيرة جدًّا وعزب كثيرة، فلما جاء الإصلاح الزراعى عن طريق عبدالناصر غضب غضبًا شديدًا وأذكر أنه قال له أحد الأجراء شوف بقى يا على أفندى كل واحد يعرف حقه الأرض دى ما تبقاش تجيها تانى الحكومة قالت الأرض بتاعتنا.

فأخى بدون وعى سحب البندقية من الجراب ومن فضل الله أن عيدان الذرة كانت عالية ولم يصب الرجل والرجل يصرخ ويستنجد بالناس وهو يجرى وراءه، ورجع أخى على إلى البيت. فجاءت سيارات البوليس الكثيرة وأحاطت بالبيت، خلاصة اشتد أخى «على» على الضابط الذى جاء ليقبض عليه وصعد من خارج البيت على سلم وضرب الباب برجله ودخل علينا فشتمه أخى فقبضوا عليه وأخذوه فذهب ولم نعرف عنه شيئًا، وفى هذا الوقت وزعوا أرضنا حسب قانون الإصلاح الزراعى، وأخذوا على أفندى مزروعة من البحيرة إلى معتقل فى قنا ونحن لا ندرى عنه شيئًا لمدة شهرين، وكان لنا صديق كان أخًا لسامى شرف سكرتير عبدالناصر اسمه محمد عزالدين شرف أمهم كانت قريبتنا فقال: «سكيتى كدة» أنا سأسأل عنه لكن لا أحد يسألنى بعد ذلك «لحسن أروح فى داهية». فبلغنا أنه موجود فى قنا وأنا سأستعمل صلاحياتى ومعارفى لكى أحضره إلى البحيرة وفعلًا وصل على مزروعة من قنا إلى معتقل البحيرة، وزرنا على أفندى فى المعتقل لأول مرة بعد أكثر من شهرين فرفض أن يقابلنا وأمرهم بأن يبلغونا بأنه كويس وعليهم أن يذهبوا، ورفض فعلًا أن يقابلنا، فقد كان شخصية قوية وكان يخافه الناس فكان إذا قابله أحد وهو راكب ينزل من الركوبة ويمشى وكأنه قد أراد ألا نراه فى ضعفه.

رضا: ما رأيك فيما فعله عبدالناصر فى الإصلاح الزراعى؟

د/ مزروعة: عبدالناصر فى الظاهر قال سوف أغنى الفقراء والذى حدث من وجهة نظرى أنه زاد الفقير فقرًا وأفقر الغنى، بمعنى كان أكثر الناس يعملون فى العزب والأرض التى كنا نملكها وكان أخى يشترى لكل من يعمل عنده ما يحتاجه بعد أن يعطيه أجره ثم يكون ما اشتراه له دينًا عليه يسدده ما دامت النفوس طيبة وراضية، ولكن ما فعله عبدالناصر أنه أوقع العداء المستحكم بين الفريقين، وكان لعبدالناصر أن يرفع قيمة ما يأخذ الفقير من الأرض بحيث يتحسن حاله وليس بأن يسلب الأرض من مالكها ويعطيها لغيره فالأرض التى تركها لى والدى يأخذها ويعطيها لغيرى فذلك أوجد كل هذه الأحقاد بين الفريقين والعلاقات قبل هذا كانت قائمة على الود والمحبة وكان الغنى يكفل الفقير من كل الوجوه وكنت أرى ذلك بعينى.

رضا: كلية أصول الدين لماذا؟

د/ مزروعة: دخلت كلية أصول الدين بسبب أننى لم أستطع أن أدخل كلية اللغة العربية وكانت عندما دخلتها قسمًا واحدًا، وفى السنة الثانية بدأ التقسيم فى السنة الثالثة فأصبح قسم العقيدة والفلسفة وأصبح التفسير وأصبح قسم الثقافة والدعوة الإسلامية. فتخصصت فى قسم العقيدة والفلسفة، وأساتذتى الذين أشهد لهم سيدنا أ.د/ أحمد الكومى رئيس قسم التفسير ومع أنى كنت عقيدة وفلسفة إلا أنى كنت أذهب إليه كما تذهب إليه جميع الأقسام وأحد زملائى من قسم التفسير وجدنى عنده ذات مرة فقال له ضاحكًا: يا مولانا الشيخ محمود مزروعة بيضرب على إيديه كأننا بتوع مياتم وبنقرأ على القبور. فضحك الرجل فقال له أ.د/ أحمد الكومى هذا حق أن يفاخر الشيخ محمود مزروعة بأنه فى قسم العقيدة لكن لى سؤال عند الشيخ محمود من أين تأخذ عقيدتك؟ فقلت: من الكتاب والسُنة، قال: حكمت يا مولانا يعنى من عندنا. وضحكنا جميعًا وتخرجت فى عام ١٩٦٣م. بدأ نظام المعيدين والماجستير والدكتوراه قبل ذلك كان الواحد لابد أن يدرس أولًا فى المعاهد الأزهرية ثم يتخصص فى مادة معينة يدرسها لمدة ست سنوات فأعلنوا أنهم سيأخذون تسعة معيدين وكنت وقتها الرابع على الكلية. وأريد أن أقول بعد حياة السينما والطاولة وغيرها عملت بجد وفتحت مع نفسى حياة أخرى حتى حصلت على المركز الرابع

على الكلية وكنت أستعد للتعيين وكان عبدالناصر وقتها يضع مكتبا للأمن فى كل جامعة فأخذنا أوراقنا لمكتب الأمن وأصبح عندى يقين بأننى سأعين معيدًا وذهبت لأستلم فوجدت نفسى خارج المعينين فذهبت إلى مكتب الأمن فقال لى أوراقك بالأوقاف وعينت إمامًا وخطيبًا فأبديت اعتراضى فقالوا بصراحة كانت لك ملفات فى السجن الحربى فليس لك الحق ونهرونى بطريقة غير لائقة وقالوا لى: «روح.. امشى ليس لك ملف عندنا» وعملت بالأوقاف إمامًا وخطيبًا. وكان وزير الأوقاف وقتها محمد البهى وكان بيته ملاصقًا لبيتنا فى القرية وكان يعرفنى جيدًا ووالدى تزوج شقيقته فأراد أن ينتقم منى لأن والدى قام على والده وكان يعطف عليه فأرسلنى إلى مجاهل كفر الشيخ، وكان شره ينتقل إلى الناس على حسب قرابتهم منه، ومع أن لى أخًا من أخته التى تزوجها أبى كان هو خاله ومع ذلك أراد أن ينتقم منى ولا أدرى إلى الآن لماذا فعل بى ذلك؟ وذهبت إلى أحد مساجد كفر الشيخ ـ ومرتبى وقتها كان ١٣,٤٢ ثلاثة عشر جنيهًا واثنان وأربعون قرشًا فى ٢٤ يناير ١٩٦٤م ـ وكان مسجدًا صغيرًا جدًّا وظللت به عدة سنوات وفى هذا الوقت لا تستطيع أن تستفهم عن شىء أو تطالب بشىء أو تسأل عن شىء. ثم حصلت على الماجستير عام ١٩٦٧م. وجاءت رسالة الدكتوراه وكان ضمن المناقشين الدكتور عبدالحليم محمود وظلت الرسالة عنده ستة أشهر كاملة ومع ذلك رفض أن يكون ضمن لجنة المناقشة لأننى فى بداية الرسالة كتبت أن العوام لا يهضمون المجردات لذلك فهم يميلون إلى التجسيم والتجسيد ولذلك يقبلون الأعتاب ويتمسحون فى التراب فلم يعجبه ذلك فاعتذر ويحسب له ـ رحمه الله ـ أنه لم يرد الرسالة وأرسل لى خطابًا هكذا: أرجو أن يكون قلمك هذا وأسلوبك هذا وطريقتك فى الكتابة هذه أن يجعلها الله تبارك وتعالى فى سبيل الحق وليس فى سبيل الاعتداء على الأولياء والأتقياء وظل يذكرنى ذلك حتى إنى لما ذهبت عميدًا لكلية أصول الدين فى المنوفية وذهبت إليه وكان شيخًا للأزهر وقتها وطلب منى أن أخلع البذلة والكرفت وأن ألبس الزى الأزهرى فرفضت فقال لى: عمومًا أنت ما تستهالهاش (مداعبًا) وقبل أن أخرج قلت له: يا مولانا من أجل أنى ما استهلهاش مش هالبسها فقال لى: طيب اخرج يلا اخرج.

دين الله واحد

رضا: رسالة الماجستير والدكتوراه العنوان الذى يجمعهما دين الله الواحد وإذا كان الإسلام هو دين الله الواحد فماذا يقال للأديان الأخرى وما هو المفهوم الذى بحثته فى هاتين الرسالتين الماجستير والدكتوراه؟

د/ مزروعة: دين الله واحد ودين الله الحق ولا يجمع أن يقال الأديان وإنما يقال دين الله فى إطار هذا الدين الواحد بعث الله رسلًا كثيرين وكل هؤلاء مسلمون ويدعون إلى الإسلام. فالعقيدة واحدة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ يعنى الدين واحد والمراد بالوحدة هنا العقيدة، فالعقيدة هى القاسم المشترك بين رسالات الله كافةً، أما الشريعة فتختلف حسب الزمان والمكان وحسب ظروف الناس.

ورسالة الماجستير كانت بعنوان «إكمال رسالة محمد ﷺ للرسالات السابقة» والكمال فى الدين، كمال نسبى وكمال مطلق؛ النسبى أن رسالات الأنبياء جميعًا كاملة كمالًا نسبيًا بالنسبة إلى الأقوام التى أرسلت إليهم والله لم يرسل رسالته كاملة إلا فى رسالة محمد ـ ﷺ ـ فهذا هو الكمال المطلق وضربت مثالًا لذلك للطفل الذى يدخل KG1 ثم ابتدائى بسنواته المتقدمة، وأنا أعطيه ما يتناسب مع سنه فلو أننى أعطيته فى الابتدائى مناهج الإعدادى والثانوى سيفشل، فرعاية الله بعباده جعله ينزل عليهم من العقيدة الواحدة التى لا تتغير أما الشرائع فتختلف حسب ظروف الزمان والمكان والناس الذين أرسلت إليهم هذه الرسالة حتى وصلت إليهم أكمل الكمال التشريعى فأنزل الله على رسوله

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ..﴾.

ولكن يجب أن يُفهم من كلامى أن الرسالة التى أنزلت على موسى عليه السلام كانت كاملة لزمانها وللزمان التى نزلت فيه وللقوم الذين أنزل إليهم موسى عليه السلام، ورسالة الدكتوراه كانت بعنوان «الدين وحاجة الإنسانية إليه من خلال الرسالات الإلهية» لذلك قلت فى نهايتها اتفاق فى أمور واختلاف فى أمور قلت خصائص فى رسالة موسى عليه السلام فى عهده إلى بنى إسرائيل ثم جاءت رسالة

عيسى نسخت أشياء وأضافت أشياء لذلك عيسى يقول لقومه «ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم» والشهرستانى يقول فى كتابه الملل والنحل أن رسالة عيسى عليه السلام ليس فيها تحريم ولا تحليل والآية القرآنية تنقض كلام الشهرستانى أما الكمال المطلق فكان لرسالة محمد ـ ﷺ ـ إلى أن تقوم الساعة، والملامح الأساسية لكمال رسالة محمد ـ ﷺ ـ ما من شىء فى رسالة محمد ـ ﷺ ـ إلا وهو فى صلاح الأمة كلها حتى تقوم الساعة.

ولذلك جاءت القاعدة التى يقولون فيها: «حيث تكون المصلحة فثم شرع الله».

إذا فشرع الله هو والمصلحة سواء، ولن نجد أبدًا فارقًا بين المصلحة وبين شرع الله إلا إذا كانت المصلحة فى ظنك أنت هى مفسدة وهنا تتحكم الأهواء عندما يفسد الحكم على المصلحة وتوصف بأنها مفسدة ولهذا قال رسول الله ـ ﷺ ـ حديث جميل جدًّا: «**إِنَّ مَثَلِى وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِى كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**» والآية الكريمة ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**..﴾.

لولا القانون لم أعين فى الجامعة

رضا: قلت أكثر من مرة لولا القانون ما عُينت فى الجامعة، كيف؟

د/ مزروعة: ربما هناك جزئية لا يعلمها أحد وربما يعرفها القليلون أن الذين يعينون معيدين أو مدرسين مساعدين هم يعينون متعاقدين مع الجامعة ليس تعيينًا وإنما متعاقدين بمعنى إنك فى ظرف فترة معينة تحددها إذا لم تنته من الرسالة ويحكم على ذلك المشرف ينتهى عقدك وتصبح لست على قوة الجامعة ثم إذا حصلت على الماجستير ينتقل عقدك بمدة محدودة حتى تحصل على الدكتوراه وإذا لم تحصل على الدكتوراه يمكن أن تعطف عليك الجامعة وتعينك فى وظيفة كتابية، فعندما حصلت على الدكتوراه عينت مدرسًا فى الكلية رغمًا عنهم وبقوة القانون وليس سرًا أن بعض الإخوة الذين كانوا يسخرون منى عندما أبعدنى الأمن عن الجامعة وعملت بالأوقاف فكانوا يمطرونني بوابل من السخرية.

ويقولون: «روح يا عم فى الأوقاف وسيبك من الجامعة»، هؤلاء عندما عُينت بقوة القانون مدرس وجدت بعضهم ما زال يجهز رسالة الماجستير وعينت رئيس الكنترول فى السنة الأولى سألنى المسئولين بمن تستعين معك من الزملاء فضحكت وقلت فلان وفلان من هؤلاء الزملاء الذين كانوا يسخرون منى ولكن أصبحت زمالة بعد ذلك أعتز بها، وكانت الكلية فى ذلك الوقت زاخرة بالأعلام مثل الشيخ محمد عبدالرحمن بيصار الذى أصبح بعد ذلك شيخًا للأزهر وكذلك أ.د/ أحمد الكومى ـ رحمه الله ـ والشيخ سيد أحمد المسير ـ رحمه الله ـ وكان يدرس مادة العقيدة والفلسفة التى تخصصت فيها بعد ذلك والد الدكتور محمد سيد أحمد المسير الذى أصبح أحد أساتذة الكلية بعد ذلك وكان والده يسألنى دائمًا عنه وعن مستواه وكان متميزًا فى فكره وفى عقله، والشيخ سليمان دنيا والدكتور عبدالحليم محمود وكان دائمًا وهو يشرح ينظر إلى السماء ولا ينظر إلينا ولذلك كانت الاستفادة منه قليلة وأما الشيخ دنيا فكان على عكس ذلك كان ينظر إلينا وكنا نتعلم منه وتعلمنا منه كيف يلتزم المحاضر باللغة العربية الفصحى والالتزام والأدب الشديد وكان لا يترك إنسانًا كان ينظر يمينًا أو شمالًا ولكن كانت المحاضرة عنده منضبطة بالنسبة للطلاب وكان شديد الاعتزاز بنفسه وبعلمه.

تأصيل القرآن للفرق الضالة

رضا: يوصف أ.د. مزروعة أحد أهم المتخصصين فى الفرق والمذاهب وأنت قبل ذلك أستاذ للعقيدة والفلسفة كيف تناول القرآن هذه القضية؟

د/ مزروعة: الإسلام هو دين الله الحق وهذا نعرفه ولا دين سواه والذين يقولون عن دين الله الحق المسيحية هم مخطئون لأنه لا يوجد دين اسمه المسيحية وإنما سماها الله النصرانية، واليهودية يهودية هؤلاء عيسى عليه السلام جاء مسلمًا يدعو إلى الإسلام وموسى قبله جاء مسلمًا يدعو إلى الإسلام وإبراهيم كان مسلمًا يدعو إلى الإسلام وهو أبو الأنبياء والله سبحانه وتعالى قال عن يعقوب ـ عليه السلام.

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

فالإسلام هو دين الله الحق ويخطئ الكثيرون عندما ينطقون ويقولون «الأديان الحق» الدين الحق لا يثنى ولا يجمع لأن الله لم يُنزل إلى الناس أديانًا وإنما أنزل إلى الناس دينًا واحدًا بهذا الدين الواحد بعث الله جميع الأنبياء والرسل وأنزل جميع الكتب وقال الله ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

هذا الدين الواحد الذى جاء به جميع الأنبياء إلى محمد ـ ﷺ ـ والله أخبرنا فيه فى القرآن حيث قال لمحمد ـ ﷺ ـ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

وقال تعالى فى الميثاق الذى لمحمد: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، فالله تعالى أخذ العهد على الأنبياء جميعًا أن يؤمنوا بمحمد ولذلك قال النبى ـ ﷺ ـ «لو كان موسى ابن عمران حيًا ما وسعة إلا اتباعى».

هؤلاء الأنبياء والرسل جميعًا جاء كل واحد منهم قومه فالدين واحد ولكن الأقوام الذين أنزلت عليهم الرسالات والكتب كانت على مستوى من التحضر أقل من أن ينزل الله عليهم الإسلام كاملًا، العقيدة واحدة لا تتغير حسب الكتب والرسالات لكن الله جعل من الأعمال تحليلًا وتحريمًا وتكليفًا ما يتناسب مع المستوى الذى وصل إليه هؤلاء الناس، وهذا من رحمة الله عز وجل ثم عندما تتقدم بهم الحضارة ينزل نبى جديد ينسخ بعض ما جاء فى الشريعة السابقة ثم يضيف من الأحكام الشرعية ما يتناسب مع الأمم فى هذا الزمان.

فالعقيدة واحدة والشرائع مختلفة فالله يقول بالنسبة للعقيدة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾.

وهذا يدل أن العقيدة واحدة لهذا نحن نقول عن العقيدة أنها القاسم المشترك بين رسالات الرسل أجمعين، منذ آدم إلى محمد ـ ﷺ ـ حتى بلغت البشرية كمالها جاءها أكمل الرسل محمد ﷺ وجاء بالمنهج الختامى، يقول الله فى ذلك ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

وهذا فى الأعمال والشرائع وليس فى العقيدة فهى واحدة ولذلك خاطبنا الله مع النبى ـ ﷺ ـ قائلًا (اليوم) وليس قبل ذلك:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ..﴾.

رأيان مختلفان فى حديث واحد:

حديث الفرقة الناجية والاختلاف الواسع

يقول الدكتور/ مزروعة إنما بدأه قال النبى ـ ﷺ ـ «افترقت اليهود على إحدى وسعبين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقه» وكلمة فرقة فيها خلاف فهناك رواية «على إحدى وسبعين ملة. افترقت النصارى على اثتنين وسبعين ملة «وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة».

هنا دخلت بهذا السؤال

رضا: بعض المشتغلين بعلم الحديث شككوا فى الحديث ودليل بعضهم أنه لم يأخذ به البخارى ومسلم فى صحيحيهما وقال ابن حزم فى شأن **حديث افتراق الأم** فى كتابه «الفصل فى الملل والنحل هذا حديث لا يصح أصلًا من طريق الإسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف من لا يقول به؟

د/ مزروعة: علماء الحديث المعتبرون اعتبروه الصحيح لذاته والصحيح نوعان صحيح لذاته وصحيح لغيره أى أنه حسن وكثرة رواياته رفعته كما أن يصبح صحيحًا لغيره والصحيح لذاته هو صحيح فى ذاته لأن السلسلة التى جاءت به سلسلة متكاملة «السلسلة الذهبية».

جميع روايات هذه السلسلة صحيحة لذاتها وبعضها وصل إلى حد التواتر. ويرجع إلى الحديث.

«فقال أصحابه ـ ﷺ ـ من الملة التى تتغلب يعنى ترجع قال: كلهم فى النار إلا واحدة، قالوا: وما هى؟ قال: ما أنا عليه أنا وأصحابى» وكلام ابن حزم لا معنى له.

رضا: معلوم بأن ابن حزم ضعّف هذا الحديث وهناك من رد الحديث لضعفه ولأنه يتعارض مع معلم من أهم معالم الأمة وهو وحدتها.

د/ مزروعة: الحديث الذى جاء من النبى ـ ﷺ ـ لم يأت على هيئة إنشاء وإنما جاء على هيئة إخبار بما سيأتى والخبر لا يحتمل إلا أمرًا واحدًا إما الصدق وإما الكذب، وحديث وصل إلى مرتبة الصحيح ولا يمكن أن يكذب النبى ـ ﷺ.

رضا: هم لا يكذبون النبى ـ ﷺ ـ هم يقولون إن نسبة الحديث إلى النبى ـ ﷺ ـ غير صحيحة؟

د/ مزروعة: الحديث صحيح أصحاب الفن قالوا إن الحديث صحيح. أنا سمعت شيخًا من الشيوخ أنا احترمه جدًّا سمعته يذكر هذا الحديث فى الأحاديث الموضوعة وقال (وهذا الحديث يؤدى إلى تفتيت الأمة).

رضا: فى الحقيقة هناك مجموعة ليست قليلة تقول هذا الكلام.

د/ مزروعة: هى مجموعة لم تعرف الحق بعد لو قرأوا قول الله تعالى فى أواخر سورة هو ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ..﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

كالملائكة ثم أخبر فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

رضا: إذا الاختلاف سنة الله؟

د/ مزروعة: ليس سنة وإنما هو إخبار من الله عز وجل، هو إخبار عن البشر أنهم لن يكونوا أمة واحدة أبدًا لأن الله لم يشأ أن يجعلهم أمة واحد، قوله ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، ثم قال ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ من هذا الاختلاف ثم قال ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أنا أقول وللاختلاف والتباين خلقهم.

أربعة أصناف

د/ مزروعة: وهذا بحال خلق من الموجودات العاقلة المسئولة أربعة أصناف خلق صنفًا لا يطيع أبدًا إبليس وذريته يعصون الله ولا يطيعونه أبدًا، وخلق صنفًا يطيع ولا يعصى أبدًا وهم الملائكة.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، وخلق صنفين فيهما الطاعة والعصيان، الجن والإنس ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾.

انظر إلى الآية الكريمة يا أخى الكريم فى سورة الحج وتعجب من عظمة القرآن الكريم ومنه قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

ولم يقل كثيرًا من الشموس أو الأقمار وإنما قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

كلهم طاعة ثم طبق هذه على قول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

من الذى حمل الأمانة حملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا. وفى ختام آية الحج يقول الله ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

الطائعون أقل وختام الآية هى التى تقرر ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ إذ الكثرة هم الذين لا يطيعون.

ما ورد بالقرآن عن الاختلاف

د/ مزروعة: لو أنهم قرأوا ما ورد فى القرآن عن الاختلاف وما ورد فى السفنة أيضًا لعرفوا أن كلمة رسول الله ـ ﷺ ـ (كلهم فى النار إلا واحدة) فيها تكريم لناس كثير. الرسول يقول فى الحديث الصحيح:

(يأتى النبى ومعه الجماعة ويأتى النبى ومعه فرد ويأتى النبى وليس معه أحد..).

بعض العلماء وجدوا أنه طبقًا لهذا الحديث أن أعداد الداخلين إلى جهنم كبيرة فقالوا المراد بالأمة فى الحديث أمة الدعوة وليست أمة الإجابة ومعلوم أن أمة الدعوة هى التى أرسل إليها محمد ـ ﷺ ـ أى كل العالمين هى أمة الدعوة وأما أمة الإجابة فهم الذين استجابوا لرسول الله ـ ﷺ.

العدد فى القرآن حقيقى أم مجاز

د/ مزروعة: اتصالًا بهذا الحديث «العدد فى القرآن الكريم بل فى الشرع الشريف» لا يراد به مفهوم العدد أبدًا عندما يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾.

ليس المراد سبعون ذراعًا وإنما سلسلة ضخمة جدًّا ومخيفة فاستعمال سبعين للتكبير المطلق فى قول الله لرسوله ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾.

ويبين النبى ـ ﷺ ـ المعنى الذى تقصده فيقول: «لو علمت أنى لو استغفرت لهم فوق السبعين غفر لهم لفعلت».

أما أذا أراد العدد تحديدًا حدده كما فعل مع تحديد الأسماء الحسنى بالعدد «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة».

هنا تحديد العدد تحديدًا لكن الرسول ـ ﷺ ـ أراد أن يؤكد العدد فقال: «تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة» ومائة إلا واحدة تجعلنا فى أسماء الله الحسنى لا يصح أن تزيد على مائة أو تنقص فنجعلها ثمانية وتسعين ولا تغير من مبناها اللغوى فلا تقول مثلًا: (عبدالعاطى) وإنما (عبدالمعطى). فلله أسماء لا تحصى ولكن رحمة بنا أنزل تسعة وتسعين اسمًا ما علم أننا نطيق العمل به والله لا يكلف نفسًا إلا ما آتاها لأن كل اسم هو علم على كمال من كمالات الله وكمالات الله لا تتناهى لذلك جاء الحديث النبوى.

«أسألك بكل اسم هو لك أنزلته فى كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك» وفى حديث الشفاعة عندما يذهب الناس إلى الأنبياء وفى النهاية يذهبون إلى النبى ﷺ فيقول النبى «أنا لها أنا لها فأذهب فأخر عند عرش الله

فيفيض الله على من الأسماء ما لم أكن أعلم قبل ذلك فأذكره بها فيقول: ارفع رأسك واسأل تجب واشفع تشفع».

فالعدد فى الشرع الشريف لا يقصد به مفهوم العدد وإنما يقصد به الكثرة الكثيرة ونعود إلى الحديث وهو افتراق اليهود والنصارى وقد أكون مخطئًا وهو أن اليهود كانوا أقل من النصارى فرقًا والثانى أن المسلمين سوف يكونون أكثر فرقًا من اليهود والنصارى أما العدد تحديدًا فليس مرادًا العدد المحدد فى الحديث وإنما الكثرة فقط وليس العدد المحدد فى الحديث.

رضا: بعد أن تحدثنا عن تناول القرآن الكريم لسُنة الاختلاف بين البشر وأن الدين الحق هو الإسلام ثم كانت فترة النبوة وفترة خلافة سيدنا أبى بكر وفترة الفاروق عمر بن الخطاب ثم فترة سيدنا عثمان وما حدث فى نهايتها من الفتنة الكبرى ومقتله رضى الله عنه ثم فترة الإمام على بن أبى طالب والتى كانت بداية نشأة الفرق.. فماهى الأسباب وماهى النتائج لهذه الفرق؟

د/ مزروعة: الاختلاف بين أتباع محمد ـ ﷺ ـ فرق كثيرة هذا أمر فى حقيقته قد يظن الظان أنه مناقض لما جاء به محمد ـ ﷺ ـ كان على طريقة ومنهج يدعو إلى الوحدة وقال: «من شذ شذ فى النار»، وقال: «إنما يأكل من الذئب القاصية».

فكان يحذر من التفرق، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾.

وقال فى سورة المؤمنون: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾.

فليس رسالة تحذر من التفرق والتشرذم مثل ما جاءت رسالة محمد ـ ﷺ ـ لكن رسالة محمد ـ ﷺ ـ كانت أكثر الأمم تفرقًا لأمرين:

الأول: أمر زمانى كما قلنا سابقًا بمعنى أن رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ ختمت رسالة موسى ونسختها وكان بين موسى وعيسى مدة قليلة الزمن، فى حيز الزمن قليل وفى حيز الأمم قليل لأن موسى بُعث إلى بنى إسرائيل ولم يُبعث إلى العرب أو لأمم أخرى ثم إن رسالة محمد ـ ﷺ ـ من نهاية رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ

حتى قيام الساعة لماذا رسالة محمد ـ ﷺ ـ فى كلمة واحدة عامة زمان عامة المكان، أما عمومها الزمانى فهى من رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ إلى أن تقوم الساعة، أما عمومها المكانى فهى دعوة عالمية لكل من تطأ قدماه هذه الأرض حتى قيام الساعة وهى كما تسمى أمة الدعوة وهم جميع من على هذه الأرض فحتى الذين يعيشون فى غابات الأمازون أو سومطرة من وصلته الدعوة من هؤلاء جميعًا هو مُحاسب أمام الله سبحانه وتعالى.

الثانى: أن العدد فى الشرع الشريف ليس مرادًا به مفهومًا فى ذاته وإنما أريد به الكثرة وهذا رأيى وبالتالى أن الحديث الذى أوردناه سابقًا عن تفرق اليهود والنصارى أن اليهود كانوا أقل عددًا من النصارى فى التفرق وكان النصارى أكثر من اليهود فرقًا وكان المسلمين طبقًا للحديث أكثر فرقًا من اليهود والنصارى، العدد المحدد ليس مقصودًا وإنما المقصود كما بيّنا الكثرة.

وعوامل تفرق الأمة بدأت والنبى ـ ﷺ ـ على فراش المرض، فالنبى ـ ﷺ ـ وهو على فراش المرض قبل أن يلقى ربه بأيام قليلة كان بين أصحابه فقال ائتونى بورقة أكتب لكم كتابًا لا تختلفوا بعدى فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ لقد اشتد الوجع برسول الله ـ ﷺ ـ فاتركوه حتى يبرأ قليلًا ثم نأتيه بما طلب، وقال جماعة بل نأتيه الآن فاختلفوا فيما بينهم، فقال لهم النبى ـ ﷺ ـ «أخرجوا عنى ما ينبغى الاختلاف عندى».

فخرجوا ولم يكتب هذا الكتاب، وكتابة هذا الكتاب من وجهة نظرى كانت اجتهادًا من محمد ـ ﷺ ـ ولم يكن وحيًا إليه، ولو كان وحيًا كان سينفذه النبى ـ ﷺ ـ حتمًا أما وقد قال لهم اخرجوا فليس ذلك بوحى وإنما كان اجتهادًا من النبى ـ ﷺ ـ لأنه تركه ولم يفعله إذًا فهذا اجتهاد وليس وحيًا وكان هذا أول تفرق.

ثم جاء التفرق الثانى عندما أمسك عمر ـ رضى الله عنه ـ سيفه بعد موت النبى ـ ﷺ ـ وقال: من قال إن محمدًا قد مات ضربت عنقه بسيفى هذا وإنما صعد إلى ربه كما صعد عيسى ـ عليه السلام ـ وسيعود، حتى جاء أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وكان فى (السنح) تبعد عن المدينة قليلًا ودخل على النبى ـ ﷺ ـ وكشف وجهه وقبل جبهته وقال «بأبى أنت وأمى يا رسول الله طبت حيًا وطبت ميتًا».

ثم خرج إلى الناس وقال لعمر: «اجلس فجلس ثم قال: الحمد لله وقال: من كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ومن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، وقد قال الله تعالى لمحمد (إنك ميت وإنهم ميتون) فانهار عمر ـ رضى الله عنه ـ وقال: كأنى لم أسمع هذه الآية حتى قرأها أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ وهذه الخلافات لم تؤد إلى افتراق ولا تشرذم. وهذه أسميها الخلافات الأولى ومنها المكان الذى سيدفن فيه رسول الله ـ ﷺ ـ قيل يدفن فى القدس حيث قبور الأنبياء وبعضهم قالوا يدفن بمكة المكرمة لكن استقر الرأى على رأى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ أزال الخلاف فى موت الرسول ـ ﷺ ـ كذلك أزال الخلاف بالنسبة لمكان دفنه حيث قال: «سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: (الأنبياء يدفنون حيث يقبضون). وهكذا دفن فى مكانه ولما جاء عهد عبدالملك بن مروان أو الوليد بن عبدالملك بن مروان ضم قبر الرسول ـ ﷺ ـ إلى المسجد النبوى.

ومن الخلافات فى بداية الدعوة اختلاف السقيفة الذى انتهى بتولية أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ خليفة للمسلمين بعد أن اختار الأنصار سعد بن عبادة ثم لما جاء أبو بكر ومعه عمر وأبو عبيدة انتهى الاجتماع ببيعة أبى بكر خليفة بعد أن دارت مناقشات وحوارات بينهم.

أما بالنسبة للفرق بعد ذلك وتفرق الأمة فالله عز وجل أمرنا بأن تعمل عقولنا فقال الله عز وجل فى سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

فالعقول خلقها الله للتفكر والتدبر لكن فى مكانها الصحيح بأن نجعل العقول فى خدمة الوحى وليس العكس فالعقول تعمل فى إطار الوحى فالوحى يرشد العقول ويبين لهم طريقهم، فالوحى من عند الله والعقل من عند الله ولأن العقل يكتسب من بيئته وثقافته ما يمكن به أن يضل فيأتى الوحى ليصحح مسار هذا العقل، لكن الذين فى قلوبهم مرض يمقتون الإسلام جعلوا عقولهم فوق الوحى لذلك قالوا (ما وافق العقل من الوحى اخترناه وما لم يوافق الوحى العقل أولناه حتى يوافق الوحى العقل).

وقال أحدهم: ما دام الإسلام أمرنى بإعمال العقل يجب على الإسلام أن يقبل ما يهدينى إليه العقل سواء كان كفرًا أو إيمانًا.

فقلنا: العقل محدود وهو نتاج جسمى المحدود!! لدى عين ولا أستطيع أن أتعداها إلى ما لا أبصره، وكذلك سمعى وطاقتى لها نهاية، كذلك العقل نتاج هذا الجسم الذى أمامى فلماذا كل شىء فى جسمى محدود والعقل ليس محدودًا، فالقاعدة عند المخالفة محال أن يشتمل المتناهى اللا متناهى ولذلك المتناهى الذى هو عقلى له قدرة معينة لا تعمل إلا فى مجال معين، والعقل لا يعمل فى مجال الغيب ونوافذ العقل إلى العالم الخارجى هى الحواس، وأضرب مثالًا أن المرء حين يكف بصرة يغلق عليه جانبًا من جوانب الحياة وهى المشاهدة والصور وعن الألوان فلا تستطيع أن تحدثه عن اللون الأخضر أو الأحمر أو غير ذلك أو عن السماء الزرقاء وكذلك من حرم نعمة السمع لا تستطيع أن تحدثه عن صوت كصوت عبدالوهاب وأم كلثوم إذا فالعقل محدود بحدود الإنسان والوحى هو المطلق والله عندما يأمرنا بإعمال العقل فإنما يأمرنا بإعمال العقل فى خدمة الوحى الحى حينما يأتى بشىء يفهمه العقل فأهلًا وسهلًا وهناك فى الإسلام أمور لا يقبلها العقل أبدًا ونحن نقبلها لأن الله أمر بها مثل لماذا العصر أربع ركعات والصبح ركعتان وهذه يسميها العلماء أمورًا تعبدية لا مجال للعقل فيها أبدًا. ومن ثم فكل من تفرق وتشرذم أعمل عقله بعيدًا عن الوحى.

رضا: هناك من يقول من المفكرين أنه عندما يتعارض النص مع العقل نقوم بتأويل النص حتى يتفق مع العقل؟

د/ مزروعة: هذا الكلام قال به ابن رشد الحفيد كتاب له باسم فصل المقال فيما بين الشريعة والحكم من اتصال.

رضا: وهذا شرحه وأيده الدكتور محمد عمارة فى تعليق على الكتاب وشرحه له.

مزروعة: طبعًا والبيان الذى خرج من الأزهر أيد ذلك أيضًا وقال: إذا اتفق العقل مع النقل قبلنا النقل فإذا خالف النقل العقل أولنا النقل حتى يتفق مع العقل وهذا ما لم أقل به.

الخلاصة أن إعمال العقل فوق الوحى ومحاولة تأويل النص ليتفق مع العقل وجعلوا العقل هو الميزان الصحيح ثم بعد ذلك يؤولون الوحى ليتفق مع العقل هذا

هو أساس ظهور الفرق الفاسدة. العقل يجب أن يعمل فى مجال الوحى وليس فوق الوحى وإذا جاءنى شىء من الوحى لا يقبله العقل علينا أن نفوض.

والله سبحانه وتعالى يقول فى سورة آل عمران قسم القرآن قسمين ومع القرآن السنة النبوية وقسم الناس إلى قسمين فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

فهنا الآية قسمت القرآن إلى آيات محكمات وإلى آيات متشابهات ثم قسمت الناس إلى قسمين الذين فى قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه والقسم الثانى من الناس الراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وآمنا به أى بالمتشابه ليس لأنهم فهموا معناه ولكن لأنه من عند الله ثم يقول الله بعد ذلك وفى الآية التى تليها ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾.

فالمحكم هو الذى ليس له إلا معنى واحد والمتشابه هو الذى يصدق على عدة معان ولذلك يختلف الناس حوله وليس هناك حكم شرعى أبدًا تجده فى آية متشابهة وإنما الأحكام الشرعية تكون بآيات محكمات

التأويل مرفوض عندى، والتفويض نوعان:

الأول تفويض فى المعنى وهذا كلام الأشعرى، فإذا قال الله (يد الله فوق أيديهم) فوضوا فى المعنى وليس فى كيفية اليد، ويقولون لا نعرف معنى اليد، الثانى فهذا رأى السلف الصالح فيسلمون بالمعنى ويقرون به ويفوضون فى كيفيته فتفويض المعنى بدعة عندهم أما تفويض الكيف فهذا هو المطلوب.

اختلاف الصحابة

رضا: اختلاف الصحابة معلوم فى بعض الأمور التى لم تؤثر فى وحدة المجتمع والدولة الإسلامية. لكن حدث بعد ذلك الاختلافات التى أدت إلى نشأة الفرق.

د/ مزروعة: الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم وبين أتباع محمد ـ ﷺ ـ

بعد ذلك مختلف، فالخلاف بين الصحابة لم يحل حلالًا ولم يحرم حرامًا لأن الصحابة شربوا من معين محمد ـ ﷺ ـ وكانوا على قدم النبى ـ ﷺ ـ فى كل صغيرة وكبيرة لذا كان الخلاف يقع بينهم فى أمور تتصل بقضايا فرعية لا تتصل بأمور الدين والثوابت فى الدين فالدين فيه ثوابت وفيه متغيرات، أما الثوابت التى تثبت بالكتاب والسنة والإجماع أو تبين بواحد أو باثنين من هذه كالصلاة، بينت بالكتاب والسُنة والإجماع وكذلك الصيام لذلك لا يحل الاختلاف فيها أبدًا إلى قيام الساعة أما المتغيرات فأمور لابد من وجودها لصلاحية الدين لكل زمان ومكان وهناك أمور تتجدد وبيئات تتغير وعلى سبيل المثال قال لى بعض الإخوة لماذا لا تلبس العمامة والكاكولا فأنت رجل معدود الآن من علماء الأمة الذين لا يوجد فيهم اثنين أو ثلاثة مثلك.

قلت: الإسلام جاء للذين يعيشون فى الحواضر وفى القرى وفى الغابات والأدغال، كل هؤلاء محمد ـ ﷺ ـ بُعث إليهم وهؤلاء لا يفرض عليهم ملبس معين والرسول ـ ﷺ ـ لبس الملابس التى كانت متاحة فى عصره على جميع أشكالها، لبس القميص ولبس الجبة وتعمم، والرسول كان عنده أمور لو أتيتها الآن لاستغربها الناس فقد كان شعر محمد ـ ﷺ ـ يتركه حتى يضرب منكبيه حتى يميل على كتفيه وكان يقسمه أربعة أقسام هكذا بالطول وبالعرض وكان يدهنه ويعطره ويمشطه وينعم عليه لو فعل أحدنا ذلك أو قريب من ذلك لقيل عليه الخنفس.

إذًا فالخلاف بين الصحابة فى المتغيرات كثيرة:

فمثلًا لما عُرج بالنبى ـ ﷺ ـ قال أبو هريرة وابن عباس وجماعة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ رأى محمد ربه ليلة المعراج، ثم جاءت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقالت: من قال إن محمدًا قد رأى ربه ليلة المعراج فقد أعظم على الله الفرية، وسئل النبى ـ ﷺ ـ كيف رأيت ربك؟ قال: نور أنى أراه، هذه فسروها تفسيرين على أنها أداة استفهام والمعنى كيف أراه وأنا لا أرى إلا نورًا فهذا استفهام استنكارى يعنى أنه لم ير ربه، والآخر قال: هذا لمبتدأ نور فى أى جهة أراه، فلم يجعلها أداة استفهام واختلف عبدالله بن عباس مع عمر ـ رضى الله عنهما ـ فى نكاح المتعة، ولما ظهر

الحق لعبدالله بن عباس رجع إلى رأى عمر ليس خوفًا من عمر ولا خشية منه، ولكن لما بدى له الحق رجع فالرجوع إلى الحق فضيلة.

رضا: لكن الخلاف الذى بدأ فى أواخر عهد سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ وعهد سيدنا على أنتج لنا وجود الفرق بل الحروب بين المسلمين ما أسباب هذا التفرق وهذا الخلاف؟ من المسئول؟ خصوصًا أن الأمة تصطلى ناره حتى الآن؟

مزروعة: الخلاف الذى حدث فى آخر عهد عثمان ـ رضى الله عنه ـ بدأ فى أواخر عهده ذى النورين الشهيد وفى عهد على ـ رضى الله عنه ـ واستمر حتى بداية عهد الحسن بن على أمير المؤمنين آنذاك ولم ينته إلا بالصلح الذى عُقد بين الحسن ومعاوية ـ رضى الله عنهما ـ سنة ٤٠ هجرية عام الجماعة ولم يرض عنه الحسين ـ رضى الله عنه ـ فقال: لو جدع أنفى كان أفضل عندى مما فعل الحسن مع أن هذا إمام وهذا إمام وهذا أمير وهذا أمير لكنهم اختلفوا اختلافًا كبيرًا حول هذه القضية.

عثمان ـ رضى الله عنه ـ كان فيه رحمة ورأفة وضعف بالنسبة لقرابته ونحن ممنوعون أصلًا أن نتكلم فى أمر خاص بالصحابة، فالرسول ـ ﷺ ـ قال: «لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفة».

رضا: فى هذه النقطة بالذات كان للأستاذ الدكتور عبدالشافى عبداللطيف أحد أهم أساتذة التاريخ الإسلامى المعدودين قال عدم التعرض للصحابة هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، نعم لكن مناقشة ما فعله الصحابة بمعنى أننا يمكن أن نختلف مع ما فعله أحد الصحابة من فعل ما دون التعرض لمكانته وبالتالى نحفظ له مكانته اللائقة ونناقش ما فعله الصحابى؟

مزروعة: أنا أميل إلى السلامة وأميل إلى النصية أكثر مما أميل إلى إعمال العقل فى النص، فالرسول ـ ﷺ ـ نهانا عن الوقوع فى الصحابة رضوان الله عليهم فليس لنا أن نتكلم فيما شجر بين الصحابة من خلاف، فقيل إن معاوية ـ رضى الله عنه ـ ضرب أبا ذر ـ رضى الله عنه ـ وهى قد وردت عن ابن كثير ولكن لا داعى لضرب هذه وإن كانت قد وردت فليس لنا أن نقول أخطأ معاوية وأصاب عليًا ولا أخطأ على وأصاب معاوية إطلاقًا.

وبعض المؤرخين الذين قالوا إن بعض الصحابة من يأكل مع على وسيفه مع معاوية ومن يأكل على مائدة معاوية وسيفه مع على وهذا لا يعجبنى فليس لنا بأن نقول هذا ونستغفر الله العظيم من هذا كله إذا نتوقف تمامًا عند الكلام على الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ونكل أمرهم لله سبحانه وتعالى بل من علماء العقيدة من يخطئ المعتزلة لأن واصل بن عطاء يقول أخطأ معاوية وأصاب عليًا هذا الوصف وإن لم يكن فى التفاصيل جعل الناس ينبذون المعتزلة نبذ النواة وواصل بن عطاء.

نحن نقول: ما شجر بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من خلاف حتى ما بين أمنا أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وعلى ـ رضى الله عنه ـ ما وقع بينهما فى واقعة الجمل ليس لنا أن نقول أصابت أم المؤمنين وأخطأ على أو أخطأ على وأصابت أم المؤمنين، نحن نقول: ظلت أم المؤمنين تستغفر الله عز وجل مما ارتكبت مع على حتى لقيت ربها رضى الله عنها.

رضا: نحن الآن نعيش حربًا بين السُنة والشيعة، فالعالم الإسلامى ينقسم الآن على الانقسام الذى حدث فى هذه الفترة وبعدها، كيف قامت هذه الفرق بهذا الشكل حتى وصلت إلى ما نحن فيه الآن؟

مزروعة: الحقيقة أن التفرق شىء والفرق التى قامت على أساس هذا التفرق شىء آخر، فعلى ليس له شأن فى هذا التفرق والتشيع من قريب أو بعيد، فالشيعة بالذات بدأت فى فارس وأنا أريد أن أمسك الثور من قرنيه كما يقول الأسبان أصحاب الثيران ولا أمسكه من ذيله بمعنى أن أصل إلى ما أريد قوله مباشرة وهو أن الشيعة فى نظرى خرجوا جملةً وتفصيلًا ولا التقاء بيننا نحن أهل السنة والجماعة وبين الشيعة إطلاقًا.

فالشيعة يُخطئون كتاب الله ـ عز وجل ـ ويزعمون أن الصحابة ارتدوا بعد النبى ـ ﷺ ـ جميعًا قولًا واحدًا عدا خمسة: أبو ذر الغفارى، وما يسمونه بأبو الدر وعثمان بن مطعون وعبدالله بن رواحه وقنبر ابن كازان والمقداد بن الأسود، ويقعون فى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ أبو بكر الذى قال فى النبى ﷺ ـ «أولستم بتاركى لى صاحبى».

ويقولون إن الصحابة ارتدوا جميعًا فكيف والله سبحانه وتعالى يقول:

(لقد رضى الله عن المؤمنين الذين يبايعونك تحت الشجرة).

وكانوا أربعة عشرة مائة فكيف يخبر الله بأنه قد رضى عنهم ويرتدوا هؤلاء جميعًا!!

الله يقول فى الآية المائة من سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

هل يخبر الله عز وكل عن الأولين من المهاجرين والأنصار ويخبر عن الذين يتبعونهم، الناس أخذوا أن هذه الآية الكريمة أن الصحابة لن يرتد منهم أحد إطلاقًا لأن الله عز وجل أخبر عن السابقين منهم واللاحقين التابعين لهم وقال لن يرتد منهم أحد حتى يلقى محمد ربه.

رضا: قرأت لمحمد خاتمى المفكر الشيعى ورئيس إيران الأسبق كتابًا يقول كلامًا غير هذا تمامًا ورفض الرجل كل هذا وعالم الدين الشيعى آيه الله فضل الله قال من يطعن فى أمنا عائشة فهو كافر قال هذا قبل وفاته فهذا الخطاب نلتمس فيه الرشد من بعضهم وهل نضع جميع الشيعة بجميع طوائفهم فى سلة واحدة؟.

د/ مزروعة: هؤلاء عاد منهم جماعة كبيرة وكان هناك فى سنة ١٩٧٣م كنت أستاذًا فى ليبيا فى جامعة طرابلس وجدت هناك الدكتور موسى الموسوى جده هو أبوالحسن الموسوى كان من زعماء الشيعة فى ذلك الوقت وهذا كون جماعة التصحيح لجماعة الشيعة وله كتاب اسمه كتاب «التصحيح» مكتوب على الغلاف أربع عشرة قضية من القضايا التى نختلف معهم فيها وهو قد رجع عنها لكن هذا لا يعنى أن كلهم قد رجع بل إن أكثرهم على معتقداتهم القديمة وقد ختموا بهذا الشيخ الخمينى الذى رجع من فرنسا والشيعة قبل الخومينى يكفرون الدروز ويكفرون النصيرين لأن الدروز خرجوا من بطن الشيعة لكنهم جعلوا الحاكم بأمر الله إلههم، والنصيريون خرجوا أيضًا من بطن الشيعة لكنهم جعلوا على بن أبى طالب إلههم وقالوا إن عليًا بن أبى طالب خلق محمد ومحمد خلق سلمان الفارسى وسلمان الفارسى خلق الأيتام الخمسة والأيتام الخمسة على زعمهم هم كما قلنا سابقًا أبو ذر الغفارى، وما يسمونه وعثمان

بن مظعون وعبدالله بن رواحه وقنبر ابن كازان والمقداد بن الأسود تعالى الله عما يقولون

رضا: هذا الكلام كلام فارغ لا يمكن أن يستسيغه مسلم بل عاقل؟ وأنتم فى كتابكم التيارات الوافدة قلتم أن هذا الكلام ليس له علاقة بالإسلام كدين ولا يمكن أن يقبل هذا الكلام.

د/ مزروعة: من قال إن هؤلاء مسلمين هؤلاء لا علاقة لهم بالإسلام إطلاقًا لكنها عقيدتهم هم يقولون إن عليًا هو الله ثم محمد هو الباب للإمام على خلقه على ليكون بابًا له ومحمد خلق سلمان الفارسى وسلمان خلق المقداد ابن الأسود وعبدالله بن رواحة وعثمان بن مظغون وأبو الدر وقمير بن كازان وهم الأيتام الخمسة وهؤلاء الأيتام الخمسة هم الذين خلقوا العالم العلوى والسفلى، وعبدالله بن رواحة نافخ الأرواح وخالقها وعثمان بن مظعون المسئول عن الرياح والمياه، وهذا كلام لو رأيته فى حلم ما صدقته وكما يقول الإمام الغزالى لو رأيناه فى حلم لقلنا على صاحب الحلم سيئ المزاج فالتخريف لا يصل إلى هذا المستوى.

وعندى كتاب من جزءين فى النصيرية والدروز والباطنية والإسماعيلية والقاديانية.

الشيعة قبل الخومينى كانوا يكفرون الدروز لأن الدروز يقولون رب العالمين هو الحاكم بأمر الله ويعبدون الحاكم بأمر الله، ولما قُتل قالوا إنه ذهب فاختفى وراء سور الصين العظيم وتقوم القيامة حينما يأتى بيأجوج ومأجوج من وراء سور الصين العظيم، وأول شىء يفعله يبعث عائشة وأبا بكر ويقيم عليهم الحد.

هذا كلام الدروز وكلام النصيريين كذلك كان الشيعة قبل الخومينى يكفرون هؤلاء لكن لما جاء الخومينى قال لا نكفرهم بل نحن نمد أذرعتنا إليهم دون أن ندين بدينهم لأننا يجب أن نوحد صفوفنا ضد الكفار النواصب أهل السنة والجماعة هذا مقته حقده وكرهه لأهل السنة والجماعة وبالذات السلفيون فى السعودية والأشاعرة فى مصر وبقية العالم الإسلامى، والعالم الإسلامى سبعين بالمائة منه أشاعره ويقول الخومينى فى كتاب له فى الفقه الإسلامى «ولا تقام صلاة الجنازة على يهودى ولا نصرانى ولا أهل سنة عليهم لعائن الله ولا الصابئة ولاالمشركين».

يعنى جعل أهل السنة منهم واليهود والنصارى وبعدهم الصابئون والمشركون ثم قال عليهم جميعًا عليهم لعائن الله

شهادة جديدة عن التقريب بين المذاهب والشيخ شلتوت

رضا: لكن الشيخ محمود شلتوت له رأى مخالف لهذا الرأى وأفتى بجواز التعبد لله على طريقة الشيعة وكان معروفًا بسعيه للتقريب بين السنة والشيعة؟

د/ مزروعة: أنا حضرت هذه وكنت واحدًا منهم سنة ١٩٧٠، ١٩٧١م، وكان يرأس جماعة التقريب عندنا الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية الشريعة فى ذلك الوقت وكان عضوًا فى اللجنة التى وضعها محمد المدنى الشيخ محمد على السايس وكان فيه لجنة من الشيعة جاءت إلى هنا واشترى الأزهر شقة فى جاردن سيتى لا تزال حتى اليوم هى مقر لتشييع المسلمين أهل سنة عند الشيعة هذه استولى عليه الشيعة من الأزهر الشريف وحاولوا نشر التشيع فى مصر من خلالها.

لم أكن ضمن اللجنة ولكن كنت قريبًا منها وقد كتبوا اتفاقية ثقافية بين الأزهر وبين الشيعة وعلى أساس منها يكون التقريب وعلى رأس هذه الاتفاقية أن الأزهر يقبل من يأتى من الشيعة للدراسة فى الأزهر وأنهم فى جامعة النجف فى العراق أو فى قم فى إيران هؤلاء يقبلون أهل السنة فى جامعاتهم، وأيضًا يُدرس عندنا فى الأزهر أصلًا كمذهب خامس المذهب الجعفرى الذى يدين به هؤلاء الناس وحتى اليوم يُدرس حسب الاتفاقية المذهب الجعفرى فى كلية الشريعة وهم لما أرسلنا إليهم طلبة لكى يدرسوا عندهم رفضوا تمامًا تنفيذ الاتفاقية وأعادوا إلينا الطلاب الذين أرسلناهم. وليس سرًا أن نقول إن الشيخ محمود شلتوت أرسلهم لجس النبض فقط وليرى إن كانوا صادقين فقط أم لا فلما عادوا من هناك فصل الشيخ شلتوت طلابهم من كلية الشريعة وألغى الاتفاقية تمامًا.

رضا: هذه معلومة جديدة تمامًا. إذ أن المعروف بأن هذه الاتفاقية قد أتت أكلها وأن الشيخ شلتوت له رأى بالتقريب وله سعى فى ذلك؟

د/ مزروعة: أنا عملت بالجامعة حتى فبراير ١٩٧١م وهذه الاتفاقية كانت فى هذه

السنة وكنت قريبًا منها وممن كانوا مسئولين عنها مثل الدكتور محمد المدنى والشيخ محمود شلتوت

رضا: هناك دائمًا من يقول يجب أن يحترم هؤلاء ما نذهب إليه فى العقيدة ونحن نحترم ما يذهبون إليه فى فهمهم للعقيدة لكن يجمعنا أننا نحن جميعًا مسلمون؟

د/ مزروعة: هذه دعوى باطلة هم يحترمون عقائدنا أصبحوا إذا على الدين الصحيح ونحن نحترم عقائدهم إذا نكون قد خرجنا من الملة كيف نحترم من يقول أن أبا بكر كافر فى قعر الجحيم، وعمر كافر فى قعر الجحيم.

رضا: لكن أتحدث عن بعضهم أو الذين لا يقولون هذا الكلام وهم ليسوا قلة

د/ مزروعة: بعضهم رجعوا لكن خذ عندك الشيخ كاشف الغطاء والشيخ موسى الموسوى هؤلاء الذين سموا رافضة، الإمام زيد ـ رضى الله عنه ـ دخل على هشام بن عبدالملك.

فقال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين ثم جلس.

وقال له أنت الذى تحدثك نفسك بالإمارة وأنت ابن أمة هكذا قال هشام بن عبدالملك لزيد ـ رضى الله عنه.

قال زيد له: إن لكلامك هذا ردًا فإن سمحت رددت به عليك أو سكت فقال له هشام: رد على كلامى لا أم لك.

فقال زيد: لقد كانت أم إسماعيل أمة فلم يمنع ذلك أن يخرج من بطنها إسماعيل أب العرب ومن إسماعيل صاحب هذا الدين الذى ندين به حتى اليوم ثم كون زيد جيشًا قوامه مائتا ألف وكون عبدالملك جيشًا والتقى الجيشان لكن الشيعة قبل لقاء الجيش قالوا نتأكد من عقيدته نحونا يقصدون عقيدة زيد إن كان معنا قاتلنا معه وإن كان غير ذلك تركناه، فسألوه عن الشيخين أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ فأثنى عليهما خيرًا.

فقالوا: اذهب أنت وهما فقاتلوا وانصرفوا.

فقال لهم زيد وقتها: رفضتمونى وسموا لذلك بالرافضة. وهذا أساس تسميتهم

بالرافضة وعادوا جميعًا ولم يبق مع زيد إلا أربعين رجلًا فقط من المائتى ألف الذين كانوا معه وقتل زيد فى بداية المعركة وصلب ووقف الفرزدق الشاعر وألقى فيه قصيدة:

علوُ فى الحياة وفى الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات
مددت يديك نحوهم احتفاءً ... كمدهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الوفاة
عليك تحية الرحمن تترى ... برحمات غواد رائحات

فقال هشام بن عبدالملك: وددت أن أكون أنا المصلوب وقيلت فيّ هذه القصيدة. وأنا أفضل أن أترك الكلام فى هذه القضية وأعتبر هذا رأيًا لى.

رضا: نعم سأتركه ولكن قبل أن أتركه اسمح لى فى ظل تحرش العالم كله بالمسلمين فى ظل هذا الوضع المتردى للمسلمين فى العالم إلا يمكن أن نصطلح على صيغة يجتمع المسلمون بجميع طوائفهم على رأى يراعى المصلحة لهم جميعًا فى هذا العالم الذى يتحرش بهم؟

د/ مزروعة: هنا لا يكون الاجتماع إسلاميًا والاتفاق إسلاميًا إذا اجتمع المسلمون مع غير المسلمين أو مع المبتدعات من الدين من المسلمين أو من الذين فسقوا عن الملة جملة وتفصيلًا لغرض سياسى أو لغرض اقتصادى أو اجتماعى صفه بما تريد إلا أن تقول إنه وحدة إسلامية، فمثل هذا الاجتماع لا يرضى عنه الله سبحانه وتعالى أبدًا لأنك ستدفع بدينك ثمنًا لهذا الاجتماع تتنازل عن دينك ثمنًا لهذا الاجتماع مع غير المسلمين أو مع المبتدعة على الأقل الفسقة عن الملة لكى تحقق نصرًا سياسًا، أو اجتماعيًا أو اقتصاديًا، أنا لا أرضى هذا أبدًا أنا أرجو أن ألقى الله تعالى بدينى وعقيدتى وسنة محمد ـ ﷺ ـ وسلف الأمة على أن ألقى الله عز وجل هكذا. وقال النبى ـ ﷺ.

«ستكون فتن كقطع الليل المظلم، القائم فيها خير من الساعى، والقائم خير من القاعد، قالوا: يا رسول الله: وما العمل قال: من كان له غنم فليلحق بغنمه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه، ومن كان له إبل فليلحق بإبله. قالوا: يارسول الله ومن لم يكن

له غنم ولا زرع ولا إبل قال: يأتى بحجر فيدق به على حد سيفه ثم ليعض على جذع شجره حتى يلقى ربه».

رضا: هذا رأى واحد من علماء المسلمين الكبار ويبقى رأيًا يقول هو نفسه أعتبره رأيًا لى. وها نحن عرضنا له كما قال باعتباره أحد علماء الأزهر وإن اختلف معه آخرون وهذا تدعيمًا للنقاش والحوار.

مذاهب فكرية معاصرة

رضا: من ناحية أخرى قرأت كتابكم: «مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد» وهو عرض لمعظم المذاهب الفكرية المعاصرة الحديثة والقارئ لهذا الكتاب يجد ميلك دائمًا فى الكتاب لبيان أنها كافرة دون التعرض للمناقشة والتحليل لهذه المذاهب وأحسست أنكم تفترضون ممن يقرأ هذه الفلسفات سيقع فيها حتمًا وكأنه لاحصانة لديه.

د/ مزروعة: كتبت هذا الكتاب وأنا أدرسه وأدرس المذاهب الفكرية لطلاب التمهيدى وتمهيدى الدكتوراه فى جامعة أم القرى، وأريد أن أبين هذه الأمور الأمر الأول أنها مذاهب كافرة بالأديان كلها لا أعنى أنها كافرة بالإسلام بل بالنصرانية التى نشأ فيها أصحابها، ثانيًا هذه المذاهب إن لم ندرسها ونجد الأستاذ الواعى الذى يدرسها ويبين نواقصها ونضع أيدينا على ما فيها من عيوب سيقع فيها الكثير منا فإذا أغلقنا عليها الباب دخلت إلينا من الشباك ودخلت إلينا من الدش، ولا نستطيع أن نصرف النظر عنها لأننا نقرأها فى الكتب ونراها فى التلفزيون ونسمعها فى الراديو، فلابد من مواجهتها ولا يجب أن نترك الدارسين لها دون أن نبين لهم ما تحتويه هذه المذاهب بل يجب أن يدرسها من لديه الحصانة والدراية بهذه الفلسفات والثقافات بحيث يبين لهم خطايا هذه المذاهب.

وساعد فى نشر هذه المذاهب لدينا اليهود وساعد على ذلك أيضًا الغزو الفكرى فى كل بلد من بلادنا سواءً فى مصر أو فى سوريا أو المغرب كل هذه البلاد دخل إليها المستعمر والمستعمر يعد نفسه دائمًا إذ كان يعد نفسه للخروج، ويعد ذيوله

الذين يتكلمون بلسانه بعد أن يخرج منها وهؤلاء أخطر منهم لأن الغربى عدو أعرفه لكن عندما يحدثونه وبلسانه واحد من أبناء جلدته من المسلمين أو المشايخ. هذا ممكن أن يؤثر فيه على أكثر من تأثيره هو. هذا رد عليكم فيما يتعلق بفكرة عدم وجود الحصانة اللازمة. للرد على هذه المذاهب الفكرية التى غزت العالم الإسلامى والحقيقة التى يجب أن نذكرها دائمًا أبدًا أن الإسلام حصن حصين يُحصن صاحبه ضد هذه المذاهب وضد غيرها والشعور الذى شعرت به أنت عند قراءتك للكتاب ربما لأننى كتبتها بأسلوب مؤثر فنحن ننقدها نقدًا موضوعيًا يأتى بها حتى القاع. والمذاهب الفكرية جاءت والغرب تاريخيًا كان بين فكى رحى بين الإقطاع من ناحية وبين الكنيسة من ناحية أخرى.

رضا: لكن ليس عندنا سلطة كنيسة ولا مجمعات كنسية ولا تحكم رجال دين، السؤال لماذا نخاف من قراءتها ورد ما فيها مما لا يوافق عقيدتنا واستثمار ما نستفيد به فى حياتنا؟

د/ مزروعة: احترام الوحى عندنا أساسى وتشكيل عقولنا فيما يأتى به الوحى أساسى، فالله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

يخرون عليها تفكيرًا وتدبرًا لاعتبارات موضعها ومعرفة لأحكامها والإسلام يريد أتباعًا فاهمين لدين الله ذاكرين متعظين يعرفون تمامًا لماذا يذكرون الله، ولذلك قسم العلماء الدين إلى قسمين: قسم تعمل فيه عقلك وقسم سموه قسمًا تعبديًا، كأن تقول لماذا الظهر أربعة والمغرب ثلاث ركعات والصبح ركعتان، فهذه أمور تعبدية ليست محلًا للتفكير والسؤال ما الحكمة فى هذا، فالله عز وجل قد وضع أمورًا تعبديه، ولكن الأمور الحقيقة المبنية على قول لا إله إلا الله محمد رسول الله أمور لا يصح فيها إعمال العقل لأنها أمور تعبدية.

أما الأمور الستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر لا يمكن أن يقال فيها تعبدية أبدًا بل لابد أن تكون فيها متفكرًا متعبدًا متعظًا.

رضا: فى الكتاب فصل باسم العقلانية تحدثت فيه عن الوحى والغيب والفطرة

وأن هذه العقلانية يجب أن تضبط بالوحى هذا أصل من أصول الفهم الإسلامى لكن هناك أمور لابد أن يعمل العقل فيها فيما يتعلق بالدنيا والدين إلى أى حد؟

د/ مزروعة: عندنا أمران، أمر إدراكى وأمر متعلق بالوحى، الإدراك نوعان: إدراك ظاهر وهو إدراك العقل والإسلام أثبت أن الإنسان يعقل بقلبه ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، «أم لهم قلوب لا يفقهون بها» فهناك إدراك عقلى واع وإدراك غير واع وإدراك آخر أكثر صدقًا من الإدراك العقلى، وهو إدراك المشاعر والوجدانات مثلًا قالوا لى فى سنة إنت طالع ليبيا بعقلى الواعى تعطينى السعودية كذا ثم وظللت أحسب لها بعقلى الواعى أقول السعودية أفضل بوجدانى ومشاعرى أميل إلى ليبيا أكثر فأقول اللهم قدر لى ليبيا وتعلمت من وقتها لأنى عشت سنة فى ليبيا لم أشهد أسوأ منها فى حياتى كلها، لأنى رأيت القذافى يفعل أشياء لا يمكن أن أقبلها حتى وصلت إلى السعودية وكنت دائمًا أقول سبب ذهابى لليبيا أنى قطعت على الله بقول اللهم قدر لى ليبيا ولم أقل اللهم قدر لى الخير حيث كان فقدر الله لى الذى اخترته لنفسى ومنع عنى الذى قدره لى ليرينى الحق حقًا والباطل باطلًا والإدراك بنوعيه فى خدمة الوحى أو أن الوحى فى خدمة العقل.

الأمران يحتاج أحدهما الفلاسفة يعملون العقل الإدراكى بنوعيه فقد جعلوا العقل أعلى من الوحى وجعلوا الوحى فى خدمة العقل وقالوا الذى جاءنى من الوحى ولا أستطيع إدراكه وعقلى يرى غيره علىّ أن أؤوله حتى يستقيم مع العقل ويكون الوحى صحيحًا والوحى صحيح بعد تأويله ليس لأن الوحى صحيح بل لأنه وافق عقولهم بعد تأويله، لذلك نرى الشيخ ابن رشد صاحب العقل والوحى له كتيب صغير لا قيمة له من حيث الوزن حوالى ثمانى عشرة صفحة سماه (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال).

فيقول الذى أصل إليه بعقلى إما أن يكون الوحى أعطى فيه حكمًا أو لم يعط فإذا كان الوحى لم يعط فيه حكمًا فحكم العقل صحيح مائة فى المائة كالقضايا الرياضية والنظريات الهندسية، وإما أن يكون العقل أعطى فيها حكمًا والوحى أعطى فيها حكمًا واستقام الحكمان معًا فهنا لا مشكلة ولكن المشكلة إذا أعطى فيها الوحى

حكمًا وأعطى فيها العقل حكمًا آخر كقول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

وقول رسول الله ـ ﷺ ـ (كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء).

ويأتى عقل الفلاسفة فيقولون: العالم قديم مع الله عز وجل لأن الوحى قد أعطانى أن الله خالق للعالم والخلق يقتضى الوعى والعلم والإرادة والقدرة، أما هم يقولون لا إن الله عز وجل ليس خالقًا وليس فاعلًا وإنما الله له علة بوجود العالم ومتى وجدت العلة، مثل الحرارة والنار وهذا كلام ابن رشد مثل الشمس والضياء ممكن تطلع الشمس وتمنع الضياء هذا لا يمكن متى وجدت العلة وجد المعلول وما دام الله عز وجل عما يقولون علوًا كبيرًا فهم يقولون الله عله لوجود العالم فمعلوله وجد من حيث وجد هو وما دام العلة قديمة فالعالم قديم، هذا رأى ابن رشد ورأى الفلاسفة.

والرأى الشرعى أن العالم حادث وأن الذى أحدثه هو الله عز وجل وهم قالوا العالم قديم ولم يخلقه الله من عدم وعندهم أن العالم موجود منذ وجود الله عز وجل كالحرارة والنار.

وقالوا إذا اختلف الرأيان تؤول الوحى حتى يستقيم مع العقل وحين يستقيم الوحى مع العقل فالوحى صحيح فإن لم يؤول فالوحى غير صحيح.

رضا: هم لا يخطئون الوحى وإنما عملية التأويل لكى يستطيع العقل أن يصل إلى مرام الوحى؟

د/ مزروعة: لا يقولون بتخطئة الوحى وإنما يؤولون الوحى فيجعلونه صحيحًا لماذا أصبح صحيحًا لأنه وافق العقل، إذًا أيهما خادم للآخر؟ الوحى عند الفلاسفة هو خادم للعقل والعقل حكمه مقطوع به أما الوحى فحكمه إذا وافق العقل قُطع به وإذا لم يوافق العقل أولوه حتى يستقيم مع العقل.

رضا: هناك صيغة أقرب يمكن أن تكون مقبوله أنه لا يستطيع أن يفهم الوحى فيعمل العقل فى فهم ما يرمى إليه الوحى هل هذا مقبول؟

د/ مزروعة: إطلاقًا أنا قلت من وظيفة العقل خدمة الوحى، فالعقل يعمل فى

الوحى لكى يدرك ما أراد الله أن ينزله فإذا فهمه كان خيرًا وإذا لم يفهم التزم بما أمر الله عز وجل به.

رضا: هم يؤولون فى الأمور التى تحتاج إلى تأويل أما الواضحة الصريحة فلا تأويل فيها؟ واسمح لى أمثل الرأى الآخر الذى يقتنع برأى مخالف لحضرتك.

د/ مزروعة: كلامك جيد جدًّا من وجهة نظرهم والأجمل أنك تقول أنا أقول عن وجهة نظرهم، أما أن هناك أمورًا لا يفهمها العقل ولذلك تحتاج إلى تأويل أنا أقول ليس هناك فى دين الله شىء أبدا يحتاج إلى تأويل أبدًا الآية الكريمة فى سورة آل عمران: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ ومعنى آيات محكمات أن جميع ماورد الكتاب من أجله هو فى الآيات المحكمات ولا يوجد حكم جاء الكتاب من أجله وورد فى آية متشابهة أبدًا فكل الآيات المتشابهات لا يوجد فيها حكم واحد وهذه قاعدة لابد أن نعرفها وانظر ماذا قال الله عن المتشابهات هل قال عليهم أن يؤولوها لا انظر ماذا قال الله فى نفس الآية ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.

والكلام فى غاية الوضوح ثم يقول: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ آمنا به أى المتشابه لأنه قيل المحكم من عند الله ليس لأنهم أولوه ولكن آمنا به كله إيمانهم به ليس تأويلهم له ولا فهمه وإنما علة إيمانهم به لأنه من عند الله ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

ثم قال بعد ذلك: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾. أى لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين يتبعون المتشابه ويؤولونه.

وقسم الله القرآن الكريم إلى قسمين:

محكم ومتشابه، وقسم الناس إلى قسمين: فى قلوبهم زيع، وراسخون، وقال فى قلوبهم زيع يتبعون المتشابه والراسخون يتبعون المحكم ويتبعون المتشابه ويقولون آمنا به كل من عند ربنا ليس لأنهم أولوه ولكنه لأنه من عند ربنا.

رضا: لكم كتاب عن الردة والمرتدين باسم «أحكام الردة والمرتدين من خلال شهادتى الغزالى ومزروعة» وأنتم قد دللتم على رأيكم فيه بقتل المرتد بمجموعة من الآيات كالآيتين ٣٣ و٣٤ من سورة المائدة والآيتين ٧٣ و٧٤ من سورة التوبة وآيتان فى سورة الأحزاب ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ وقيل هذه الآيات عامة بمعنى أنها لم تنزل لعقوبة المرتد خاصة، خصوصًا أن هناك رأيًا يقول بعدم قتل المرتد ومنهم علماء كبار كالعلامة محمد أبو زهرة؟

د/ مزروعة: هذه الآية من سورة الأحزاب وردت فى المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر فى الدين حرفوا كلام الله أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر هؤلاء يقولون لا إله إلا الله وفى نفس الوقت يؤمنون بالجبت والطاغوت، هؤلاء منافقون نعم منافقون هؤلاء مرتدون عن دين الله نعم مرتدون. قال الله ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ... لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أى لندفعنك لقتلهم ثم لا يجاورونك فى المدينة إلا قليلًا وهى مدة إغرار الله تعالى رسوله بهم والآية نزلت فى اليهود الذين ينافقون ولهذا أجلى الرسول ـ ﷺ ـ بنى النضير هؤلاء لم يكونوا مسلمين وارتدوا عن دين الله، أما الذين كانوا يمالئون بنى النضير هؤلاء أغرى الله بهم رسوله ـ ﷺ ـ فعاقبهم العقاب الشديد.

أما الآية التى تقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾.

هذه الآية واضحة جدًّا أنه لا إكراه فى الدين وأريد أن أقول أنه لا ينبغى الأخذ أن تفسير كلام الله بعد أن يرجع إلى أسباب النزول، هذه الآية الكريمة كان سبب نزولها كانت المرأة من الأوس والخزرج إذا كانت مقلة أى لا تنجب ذكورًا أو تأتى بالذكور ولكنهم يموتون فكانت تنذر إذا رزقها الله ولدًا أن تهوده، وبنى النضير كانوا يرحبون بهذا لأن الولد سيتهود فلما جاء النبى ـ ﷺ ـ بالإسلام وأراد إجلاء بنى النضير وإذا بهم وقد دخل إليهم كثير من أبناء الأوس والخزرج الذين تهودوا فقال رجل من أصحاب النبى ـ ﷺ: يا رسول الله نخرجهم وأبناءونا معهم فأنا لى ولدان عندهما

هناك أفلا أجبرهما على دخول الإسلام، فسكت النبى ـ ﷺ ـ قال: يا رسول الله أفتجليهم أدخل أنا الجنة وبعضى يدخل النار وأنا انظر إليه (يعنى أولاده). سآتى بهم وأجبرهم على دخول الإسلام، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾.

فقرأ عليه الرسول ـ ﷺ ـ هذه الآية فقال الأمر لله عز وجل.

رضا: هذا اللفظ عام بغض النظر عن السبب والمعنى العام لا إكراه فى الدين؟

د/ مزروعة: لا أجبر غير المسلم على الدخول فى الإسلام لكن لو دخل الإسلام باع نفسه لله عز وجل والله آخذ نفس هذا الشخص مائة فى المائة، إما أن يأخذها وهو على دينه وإما إن خرج عن دينه أخذ نفسه ولم يتركها للشيطان أبدًا، أنت كالذى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله كلمة قالها هكذا إطلاقًا، قال الله تعالى فى أواخر سورة التوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾.

هذه الكلمات فيها أربعة أطراف، المشترى هو الله وفيها بائع وهو الإنسان وفيها سلعة وهى النفس والمال وفيها ثمن وهى الجنة، والله تبارك وتعالى اشترى سلعة ويأتى الشيطان ويأخذها إطلاقًا ولذلك سميت العقيدة عقيدة لماذا؟

على الرغم من أنها لم تأت فى الكتاب ولا السنة كلمة عقيدة لكن سميت عقيدة لأن المؤمن حين ينطق الشهادتين يقيم مع الله عقدًا وميثاقًا به يبيع نفسه وما يملك لله عز وجل ويشترى الجنة ولذلك أصبحت نفس المؤمن بمقتضى هذا العقد ملكًا لله عز وجل، إما أن يستقيم عليها حتى يلقى الله فهو ملك لله، وإما إذا ارتد فالله يأخذ نفسه مائة بالمائة ويقام عليه حد الردة، وحد الردة أقيم فى عهد رسول الله ـ ﷺ ـ عندما أرسل أبا ذر إلى اليمن وبعد قليل أرسل معاذًا وراءه إلى اليمن.

فسأل معاذًا بما تحكم.

قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد قال فسنة رسول الله ـ ﷺ ـ.

قال: فإن لم تجد قال: أجتهد رأيى ولا آلوا أى لا أقصر فضرب النبى ـ ﷺ ـ صدر معاذ.

قال: الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يحب الله ورسوله. ذهب معاذ إلى اليمن فلما دخل سأل عن دار أبا ذر، فوجد رجلًا مقيدًا فى جانب المكان فسأل عن هذا ولماذا هو مقيد فقيل: هذا كان يهوديًا فأسلم ثم ارتد عن دين الله، فقال معاذ: لا أنزل حتى يقتل شرع الله ورسوله. فأزاح له أبو ذر المكان فقال والله لا أنزل حتى يقتل فقتله سيدنا أبو ذر، فنزل سيدنا معاذ بعد قتله. والمرأة التى كانت تسب رسول الله ـ ﷺ ـ وكانت متزوجة من مسلم أعمى هذا قبل أن يتزوج المسلم مشركة فكانت تسب رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ينهاها، فلما يئس منها وسبت رسول الله ـ ﷺ ـ أمامه احتضنها ووضع السيف فى صدرها ثم اتكأ عليها حتى خرج السيف من ظهرها فقتلت ثم تركها وذهب إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله حدث كذا وكذا فصوبه رسول الله ـ ﷺ.

رضا: فى نفس الكتاب أوردت شهادة الشيخ الغزالى وشهادتكم فى قضية فرج فودة الشهيرة والتى كان رأى الشيخ الغزالى فيها أن القتلة قد افتئتوا على حق الدولة فى معاقبته بالقتل ورأى حضرتك أن الرجل مرتد وأنه كان يجب عليه القتل وما دام أنه لم تقتله السلطة فيمكن لآحاد الناس أن يقتله، واسمح لى فى دولة فيها قانون وبها نظام عام ثم يخرج أحد الناس ليقتل من يظن أنه مرتد معتديًا على حق الدولة فى عقابه حسب القانون؟

د/ مزروعة: حقيقة أنا قسمت المرتد إلى قسمين:

مرتد قصر مصيبته على نفسه وجلس فى قعر بيته فهذا لا نمسه بسوء ولكن يطالبون الحاكم دائمًا أن يقيم عليه الحد فإذ لم يقم عليه حد الرد فمصيبته على نفسه وهو المسئول أمام الله.

والمرتد الثانى أشعل النار فى المجتمع وهو فرج فودة فكان لا يمر أسبوع حتى يصدر مقالًا يسب فيه السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أم المؤمنين جميعًا.

وقلت للقاضى وقتها: لو واحد سب أمك ويتهمها بالزنا ماذا نقول فيه.

قال لى القاضى: ماليكش دعوة بأمى.

ثم نظر القاضى إلى الدكتور محمد مندور وكان رئيس فريق الدفاع.

وقال له: على الشاهد أن يعتذر.

فطلب الدكتور محمد مندور منى أن أعتذر فرفضت.

وقلت وقتها وهذا ثابت ماذا نقول فيمن سب السيدة عائشة واتهمها بالزنا أظن أنه يقتل فى اليوم مائة مرة، نقوم بتعليقة بحبل ويقتل كل يوم، وأما إن كان مرتدًا جالسًا فى قعر بيته فأمره إلى الحاكم كما أسلفنا وحسابهم إلى الله عز وجل، يقول العلماء عن المرتد فقالوا نعطى له فرصة العودة لمدة ثلاثة أيام وبعد ذلك يقام عليه الحد وأنا ذكرت ذلك فى المحكمة وبينت للمحكمة أن هذا يسب الله ويسب أمهات المسلمين ويسب الدين وقال فى كتاب له اسمه «الفتنة الطائفية» إننى أقول بأعلى صوتى أن القانون الوضعى أفضل مائة مرة من الكتاب والسنة، وعلى جثتى ما دام فى عرق ينبض أن يطبق ما يسمونه شرع الله فى بلدى كان يخترع ويفترى على علماء المسلمين بأنهم مشغولون بأشياء تافهة فى الدين هو اخترعها ونشرها بالجرائد والمجلات، وكان يقول إن الغرب طلع القمر والمسلمين مشغولين بفتاوى من فعل ومن لم يفعل، وهل عليه غسل أم لا، وقد قال رئيس النيابة وقتها بعد سماع تلك الأقوال بأنها مصيبة كبرى لأن هذا الشخص ـ وهو يشير إلى ـ يعمل فتنة كبيرة وانشقاق بالمجتمع فقلت إنه كان يقرأ له ملايين البشر وكان يخترع للناس ويقول لهم هذا من دين الله ويفترى على الله كذبًا ويقول للناس هذا من عند الله كهذه القصة التى قال الحكم فيمن أتى امرأة من قبلها ودبرها فى وقت واحد وبأن المسلمين مشغولون بهذا وأن هذا من شرع الله وأشياء من هذا القبيل لا يمكن أن تنسب إلى الشرع وما قال عنها أحد شيئًا إضافة إلى تطاوله على رموز الإسلام الكبار، والله لو وجدت هذا الشخص فى طريقى وقدرت عليه لقتلته ولكنت أنا هنا مكان أولادى هؤلاء الذين يحاكمون لقتلته.

الرأى المخالف

هنا توقف الحوار فى هذه النقطة المهمة والتى بين فيها الأستاذ الدكتور رأيه فى عقوبة المرتد وأنها القتل وتبع ذلك رأيه فى شهادته على الكاتب فرج فودة الذى قتله مجموعة من المتطرفين فى الشارع.. ورأيت إتمامًا للفائدة أن أعرض للرأى الآخر

فى هذه القضية المهمة التى تتعلق بأمر مختلف فيه خاصة وأن هذا الرأى قد قال به مجموعة من علماء ومفكرى الأمه الكبار وهذا بحث قدمه الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا وهو من أنصار الفريق الآخر الذى يرى أن عقوبة المرتد تعزيرية ورغم طول البحث إلا أننى وجدته وافيًا ليس بموضوع الردة فقط بل بكيفية الوصول للنتائج والأحكام من خلال العرض الوافى والمستفيض للعلامة الكبير وليكون رأى اثنين من الأعلام فى قضية واحدة اختلفًا فيها، وها نحن عرضنا لوجهة النظر التى تؤيد قتل المرتد ونعرض الآن لوجهة النظر الأخرى بهذا البحث وعنونه بهذا العنوان «قضية الردة.. هل تجاوزتها المتغيرات.. عقوبة الردة تعزيرًا لاحدًا».

«الردة» لغة تعنى: الرجوع، وشرعًا تعنى: كفر المسلم بقول أو فعل يُخرجه عن الإسلام (١). والرأى السائد فى الفقه الإسلامى يذهب إلى اعتبار الردة جريمة حد، يُعاقب عليها بالقتل؛ أى الإعدام (٢).

وجرائم الحدود تجُبُّ عقوباتها كحق لله تعالى (أى لتحقيق مصلحة عامة)، ويجب توقيع الحد كلما ثبت ارتكاب الجريمة الموجبة له، بحيث لا يجوز العفو عنها أو تخفيضها.

ودراسة الردة تقتضى أن نتبين مدى انطباق أحكام جرائم الحدود وعقوباتها عليها؛ لنرى بعد ذلك ما إذا كانت تُعتبر من جرائم الحدود أم لا؟ وما إذا كانت تُعتبر عقوبتها حدًا مقدرًا لا يقبل التغيير؟ أم أنها تدخل فى إطار نوع آخر من الجرائم، وتدخل عقوبتها كذلك فى إطار نوع آخر من العقوبات؟

ولذلك فسوف نقسِّم دراستنا لهذه الجريمة على نحو يحقق الوصول إلى إجابة عن هذا التساؤل؛ فنبدأ بدراسة النصوص القرآنية فى شأن الردة، ثم نستعرض الأحاديث النبوية المتعلقة بها، ونناقش بعد ذلك ما انتهى إليه الفقه الإسلامى، أو الرأى السائد فيه، من اعتبار الردة جريمة من جرائم الحدود، يُعاقَب عليها بعقوبة مقدرة ذات حدٍ واحد، وهى عقوبة الإعدام.

ومن الجدير بالبيان ـ بادئ ذى بدء ـ أننا فى دراستنا لجريمة الردة إنما نناقش فحسب وضع العقوبة بين عقوبات الحدود أو فى نطاق غيرها من العقوبات. أما

تجريم الردة، ووجوب فرض عقاب عليها، فهما أمران مسلَّمان، ولا يدخلان بالتالى فى نطاق بحثنا.

وبعبارة أخرى فإن السؤال الذى نحاول هنا أن نجيب عنه ـ مع التسليم بأن الردة جريمة فى النظام الجنائى الإسلامى ـ هو: هل تعتبر العقوبة المقررة لهذه الجريمة من عقوبات الحدود، بحيث ينطبق عليها تعريف هذه العقوبات وتثبت لها خصائصها؟ أو أنها عقوبة أخرى، ليست من عقوبات الحدود، ولها بالتالى خصائصها المستقلة؟ وفى إطار محاولة الإجابة عن هذا السؤال فقط تدور دراستنا لجريمة الردة وعقوبتها.

آيات القرآن الكريم فى شأن الردة

ورد ذكر الكفر بعد الإيمان ـ أى الردة ـ فى القرآن الكريم فى بضع عشر آيات. عبَّر القرآن الكريم فى بعضها بلفظ «الردة»، وفى بعضها بتعبير «الكفر بعد الإسلام».

أما تعبير الردة، فقد ورد فى قوله تعالى: ﴿... وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧). وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ (محمد: ٢٥ ـ ٢٧).

وأما تعبير الكفر بعد الإيمان، فقد ورد فى قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (النحل: ١٠٦ ـ ١٠٩). وفى قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ

فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (البقرة: ١٠٨). وفى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (آل عمران: ٨٦ ـ ٩٠). وفى السورة نفسها نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٧٧).

ويرد التعبير بالكفر بعد الإيمان أيضًا فى سورة النساء فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٣٧). وفى سورة التوبة: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ (التوبة: ٦٦).

ويرد التعبير بالكفر بعد الإسلام فى سورة التوبة أيضًا فى قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (التوبة: ٧٤).

ومن بين هذه الآيات الكريمة نلاحظ أن آية واحدة هى مما نزل فى مكة من القرآن الكريم، وهى الآية: ١٠٦ من سورة النحل، فى حين أن الآيات الأخرى هى آيات مدنية، نزل بها الوحى على رسول الله ـ ﷺ ـ فى المدينة بعد الهجرة، وبعد أن أقام الرسول الدولة الإسلامية، وكان هو حاكمها، وكان الإسلام قانونها الذى يخضع له رعاياها من مسلمين وغير مسلمين بحكم الاتفاق الذى أبرمه الرسول مع أهل المدينة ومواطنيها عند الهجرة، وهو وثيقة أو صحيفة المدينة (٣)، وبحكم السيادة الفعلية والقانونية للإسلام فى الدولة.

وعلى الرغم من ذلك فإن الآيات الكريمة التى قدمنا نصوصها لا تشير من قريب أو من بعيد إلى أن ثمة عقوبة دنيوية يأمر بها القرآن لتُوقَّع على المرتد عن الإسلام، وإنما يتواتر فى تلك الآيات التهديد المستمر بعذاب شديد فى الآخرة، ويُستثنى من ذلك ما أشارت إليه آية سورة التوبة رقم: ٧٤، التى يتضمن نصها الوعيد بعذاب أليم فى الدنيا والآخرة.

وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الآية لا تفيدنا فى تحديد عقوبة الردة؛ لأنها تتحدث عن كفر المنافقين بعد إسلامهم. ومن المعلوم أن المنافقين لا عقوبة دنيوية محددة لهم؛ لأنهم لا يُظهِرون الكفر، بل يخفونه ويظهرون الإسلام. والأحكام القضائية فى النظام الإسلامى إنما تُبنى على الظاهر من الأعمال أو الأقوال، لا على الباطن الذى انطوت عليه القلوب أو أسرَّته الضمائر. وفى ذلك يقول رسول الله ـ ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنه يأتينى الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق فأقضىَ له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار، فليأخذها أو يتركها»(٤).

وهكذا، فإننا لا نجد فى النصوص المتعلقة بالردة فى آيات القرآن الكريم تقديرًا لعقوبة دنيوية للمرتد، وإنما نجد فيها تهديدًا متكررًا، ووعيدًا شديدًا بالعذاب الأخروى. ولا شك فى أن مثل هذا الوعيد لا يرد إلا فى شأن معصية لا يُستهان بها. يكفى أن الله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين بمغفرة الذنوب جميعًا، فى الوقت الذى توعد فيه من كفروا بعد إيمانهم، ثم ازدادوا كفرًا بأنه لن يغفرَ لهم ولن يهديهم سبيلًا. فالردة فى حكم القرآن الكريم معصية خطيرة الشأن وإن لم تُفرض لها آياته عقوبة دنيوية.

هل نُسِخَ قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾؟

ومن ناحية أخرى فإن القرآن الكريم يقرر فى وضوح أنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٦ – ٢٥٧).

واستنباط عقوبة المرتد أو تأسيسها على فهم بعض الآيات المتقدم ذكرها، التى تبين عقاب المرتد فى الآخرة ينافى صريح قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦). وقد فطن ابن حزم ـ رحمه الله ـ إلى هذا التعارض بين تقرير عقوبة المرتد استنادًا على بعض الآيات التى فيها وعيد المرتدين، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، فذهب إلى أن هذه الآية الأخيرة من منسوخ القرآن، وأن حكمها بالتالى غير محكم. وأن الإكراه مباح فى الدين (٥).

ولكن دعوة النسخ فى هذه الآية غير مسلمة؛ فالنسخ لا يكون إلا بنقل صريح عن رسول الله ـ ﷺ ـ أو عن صحابى يقول: ﴿آية كذا نُسخت بآية كذا﴾(٦). و«لا يُعتمَد فى النسخ بأقوال عوام المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صريح ولا معارضة بيِّنة (أى تعارض آيتين)؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم، وإثبات حكم تقرر فى عهد النبى ﷺ؛ فالمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد (٧).

ولا يُحتج فى إثبات نسخ قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، بالأحاديث النبوية الصحيحة، التى فيها ذكر قتل المرتد، والتى سوف يأتى ذكرها؛ إذ إن المقرر فى أصول الفقه أن القرآن لا ينسخه إلا قرآن مثله، أو سُنة متواترة، وذلك ما يقول فيه الشافعى: «إنما نُسخ ما نُسخ من الكتاب بالكتاب، إن السنة ليست ناسخة، وإنما هى تبع للكتاب بمثل ما نزل نصًا، ومفسرة معنى ما أنزل الله منه مجملًا» (٨)، وغير الشافعى من الأصوليين يضيفون السنة المتواترة إلى القرآن (٩).

ويقول الإمام الشافعى فى الاحتجاج لرأيه: «وفى قوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ﴾ (يونس: ١٥) بيان ما وصفت، من أنه لا ينسخ كتاب الله إلا كتابه. فكما كان المبتدئ لفرضه فهو المزيل المثبت لما شاء منه ـ جل ثناؤه، ولا يكون ذلك لأحد من خلقه، وفى كتاب الله دلالة على ذلك؛ حيث قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٦)، فأخبر الله أن نسخ القرآن وتأخير إنزاله لا يكون إلا بقرآن مثله» (١٠)، ولمخالفيه ردود عليه ليس هنا محل بيانها (١١).

وقد جمع السيوطى ـ رحمه الله ـ الآيات التى صح فيها عند العلماء أنها منسوخة

وهى إحدى وعشرون آية، وقال: «لا تصح دعوى النسخ فى غيرها» (١٢)، وليس من بين هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾.

وعلى ذلك فإن قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ محكم غير منسوخ، وهذا هو المتفق مع ما تكرر تقريره فى القرآن الكريم من حرية الفكر والرأى والاختيار، على نحو يشعر بأن ذلك من أصول الإسلام التى لا يدخل مثلها النسخ ولا التبديل (١٣).

ومما يجدر بيانه هنا أن الفقهاء لا يستندون بصفة أساسية إلى آيات القرآن الكريم فى إثبات عقوبة للمرتد، وإنما مستندهم الأساسى فى ذلك هو أحاديث الرسول ﷺ. وإنما ترد آيات القرآن الكريم فى بحث الفقهاء لعقوبة الردة بيانًا لوعيد الله سبحانه وتعالى للمرتد بالعقاب الأخروى. ويقودنا ذلك لبحث حكم الردة، الذى قررته السنة النبوية، فى ضوء الأصل الذى سبق تقريره من أنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وفى ضوء الحقائق الأخرى المأخوذة من السنة أيضًا، والتى نناقشها فى الفقرات التالية.

الأحاديث النبوية فى شأن عقوبة الردة

لا يكاد يخلو كتاب من كتب الفقه الإسلامى من الإشارة إلى بعض آيات الكتاب العزيز تتحدث عن الردة، وما توعد الله عز وجل به المرتد فى الآخرة. غير أن الأساس الذى يستند إليه الفقهاء فى شأن عقوبة المرتد وكونها من عقوبات الحدود هو بعض أحاديث الرسول ﷺ.

وأكثر هذه الأحاديث تداولًا على أقلام الفقهاء وفى كتبهم ثلاثة أحاديث هى:

أ ـ حديث المحاربين من عكل وعرينة، وقد رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

ب ـ والحديث الذى رواه البخارى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما: «من بدل دينه فاقتلوه».

جـ ـ والحديث الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزانى، والمارق من الدين التارك للجماعة».

ونناقش فيما يلى هذه الأحاديث الثلاثة لنرى إلى أى مدى يمكن أن يصح استنباط عقوبة القتل حدًا للمرتد من هذه الأحاديث كلها أو بعضها.

أولًا: حديث المحاربين من عكل وعرينة

روى هذا الحديث الإمامان البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس رضى الله عنه: «أن نفرًا من عكل ثمانية (١٤) قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا، فسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ـ ﷺ، فقال: أفلا تخرجون مع راعينا فى إبله فتصيبون من ألبانها وأبوالها؟ قالوا: بلى. فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا، فقتلوا راعي رسول الله ـ ﷺ، وأطردوا النعم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل فى آثارهم، فأُدرَكوا فجِيء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم، ثم نبذهم فى الشمس حتى ماتوا» (١٥). وفى بعض الروايات أنه كان للإبل «رعاة» وأن العرنيين قتلوهم ومثَّلوا بهم.

وقد فهم بعض العلماء من هذا الحديث أن العقوبة التى وقَّعها رسول الله ـ ﷺ ـ هى العقوبة المقررة للمرتد؛ فكرروا الحديث تحت عنوان «حكم المحاربين والمرتدين» (١٦)، أو «باب المحاربين من أهل الكفر والردة» (١٧). وقد أدت هذه العناوين إلى أن يزعم بعض المستشرقين أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يُكره الناس على الإسلام أول الأمر بتعذيبه من يرتد عنه (١٨).

أما الرأى السائد بين جمهور العلماء ـ وهو الصحيح من وجهة نظرنا ـ فهو أن النفر من عكل وعرينة لم يُقتلوا لمجرد الردة، وإنما قتلوا لكونهم محاربين. وفى ذلك يقول ابن تيمية: «هؤلاء قتلوا مع الردة، وأخذوا الأموال، فصاروا قطاع طريق، ومحاربين لله ورسوله»(١٩).

وعلى ذلك فإن حديث العرنيين ـ أو المحاربين من عكل وعرينة ـ لا يصح أن يكون مستندًا للقائلين بأن عقوبة الردة هى القتل حدًا؛ لأن جريمة العرنيين لم تكن الردة فحسب، وإنما كانت جريمتهم هى الحرابة؛ ولذلك عُوقِبوا بعقوبتهم. أو عُوقِبوا قصاصًا منهم لما فعلوه برعاة الإبل التى سرقوها، حيث إنهم قتلوا الرعاة ومثَّلوا بهم فاقتُصَّ منهم بمثل ما فعلوا.

أما ورود لفظ الردة أو المرتدين فى بعض كتب الحديث عند رواية حديث العرنيين فهو ـ فيما نرى ـ من باب حكاية حال هؤلاء النفر؛ إذ أنهم جمعوا إلى حرابتهم الردة عن الإسلام، فليس معنى ذكر ردتهم أن ما عُوقبوا به هو عقوبة كل مرتد.

ثانيًا: حديث الأسباب المبيحة لدم المسلم

بيَّن رسول الله ـ ﷺ ـ أن قتل المسلم لا يُباح إلا فى حالة من ثلاث حالات، أو بسبب من ثلاثة أسباب: «النفس بالنفس، والثيب الزانى، والمارق من الدين المفارق للجماعة». والسببان الأولان لا علاقة لهما بالردة وعقوبتها، إنما فسَّر كثير من الفقهاء «المارق من الدين المفارق للجماعة» بأنه المرتد، وقرَّروا بناء على ذلك أن المرتد يُقتل حدًا بنص هذا الحديث الصحيح.

وهذا التفسير ليس محل اتفاق بين الفقهاء. فابن تيمية ـ رحمه الله ـ قرر أن المقصود بقول رسول الله ﷺ: «المارق من الدين المفارق للجماعة» يحتمل أن يكون المحارِب قاطع الطريق لا المرتد. ويستند ابن تيمية فى رأيه هذا إلى أن رواية للحديث المذكور، قد جاءت مُفسَّرة على هذا النحو عن عائشة رضى الله عنها، وذلك هو ما رواه أبو داود بسنده عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن ـ رسول الله ﷺ ـ قال: لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: رجل زنى بعد إحصان، فإنه يُرجم، ورجل خرج محاربًا لله ورسوله، فإنه يُقتل أو يُصلب أو يُنفى من الأرض، أو يقتل نفسًا فيُقتل بها»(٢٠). وأخذًا بهذا الحديث، قال ابن تيمية: «فهذا المستثنى هو المذكور فى قوله: التارك لدينه المفارق للجماعة. ولهذا وصفه بفراق الجماعة، وإنما يكون هذا بالمحاربة»(٢١).

فإذا صح هذا التفسير، وهو عندى صحيح، فإن الأسباب المبيحة لدم المسلم والمذكورة فى حديث عبد الله بن مسعود الذى رواه البخارى ومسلم هى نفسها التى وردت فى حديث عائشة الذى رواه أبو داود. ويكون النص فى هذا الحديث على المروق من الدين ومفارقة الجماعة مقصودًا به من ارتد ثم حارب الله ورسوله، وليس بمجرد الردة. وعلى ذلك فإن حكم المرتد الذى لم تقترن ردته بمحاربة جماعة المسلمين التى عبر عنها رسول الله ـ ﷺ ـ «بمحاربة الله ورسوله» لا يُستَدلُّ عليه بهذا الحديث.

وبعبارة أخرى، فإن الحديث الذى نحن بصدده لا يقرِّرُ حكم الردة المجردة، وإنما يقرر حكم المحارب. والمحارب يُقتل سواءً أكان مسلمًا أو غير مسلم. فلا يسوغ الاستناد إلى قوله ﷺ: «المارق من الدين المفارق للجماعة» فى إثبات عقوبة القتل حدًا للمرتد.

ثالثًا: حديث من بدل دينه فاقتلوه

روى البخارى بسنده عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قول رسول الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه». وقد روى هذا الحديث أيضًا أبو داود فى سننه، والإمام مالك فى الموطأ وغيرهم (٢٢). وهذا الحديث هو أقوى ما يؤيد المذهب السائد فى الفقه الإسلامى من أن المرتد يعاقب بالقتل حدًا.

وقد حاول بعض المعاصرين أن ينفى تقرير الإسلام لأية عقوبة على الردة، أو بعبارة أخرى أن ينفى تجريم الردة، فذهب إلى أن الحديث يشير إلى المحارب المرتد، وهو يعنى بالمحارب ذلك الذى يشارك فعلًا فى قتال قائم بين المسلمين وأعدائهم. وعندئذ فإن القتل الذى يجيزه هو القتل فى القتال وبسبب القتال، وليس القتل باعتباره عقوبة لجريمة معينة هى جريمة الردة. ويرى صاحب هذا الرأى أن هذه هى الطريقة الوحيدة التى تمنع أن نقع فى تناقض حين نقرر قتل المرتد حدًّا، ونقرر فى الوقت نفسه حرية العقيدة، التى كفلها الإسلام بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (٢٢).

ويتساءل صاحب هذا الرأى: كيف يمكن أن نقبل هذا الحديث على عمومه، الذى يفيد شموله لكل من غيّر دينه، ومن ثم فإن اليهودى الذى يتنصر، أو المسيحى الذى يعتنق الإسلام يدخل تحت حكم الحديث فيجب قتله حدًا؟

والواقع أن الفقهاء لم يقولوا بسريان الحكم الوارد فى هذا الحديث على كل من بدَّل دينه، وإنما كما يقول الإمام مالك: «ولم يعن بذلك، فيما نرى والله أعلم، من خرج من اليهودية إلى النصرانية، ولا من النصرانية إلى اليهودية، ولا من يغير دينه من أهل الأديان كلها إلا الإسلام. فمن خرج من الإسلام إلى غيره، وأظهر ذلك فذلك

الذى عُنى به والله أعلم»(٢٤). وعلة ذلك أن لفظ الدين إذا أُريد به الدين الحق فهو الإسلام، فتبديل الدين يُراد به تبديل الإسلام لا غيره.

ولم يخالف فى ذلك إلا الظاهرية وبعض الشافعية. وقد بيّن ابن حزم رأى الظاهرية بقوله فيمن خرج من كفر إلى كفر أنه «لا يترك، بل لا يُقبل منه إلا الإسلام أو السيف» (٢٥). أما الشافعية الذين رأوا قتل من غيّر دينه إلى دين آخر من أهل الكفر، فقد نقل رأيهم الحافظ ابن حجر فى شرحه على صحيح البخارى، وكذلك نقله ابن حزم فى المحلى (٢٦).

والحديث على الراجح عند العلماء ليس على عمومه؛ لأن العموم يشمل من ترك دينًا غير الإسلام، إلى دين الإسلام، وليس هذا مرادًا بالحديث باتفاق الجميع. وقد احتج الجمهور لمذهبهم فى عدم انطباق نص الحديث على من يغير دينه من غير المسلمين إلى غير الإسلام بأن «الكفر ملة واحدة، فلو تنصر اليهودى لم يخرج عن دين الكفر، وكذا لو تهوَّد الوثنى. فواضح أن المراد من بدَّل بدين الإسلام دينًا غيره؛ لأن الدين فى الحقيقة هو الإسلام، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وما عداه فهو بزعم المدعى»(٢٧).

ويُورِد الأحناف على الحديث قيدًا آخر يخصصون به عموم لفظه، حيث يرون أن المرتدة لا تقتل، وأن الحديث مقصور على المرتد من الرجال دون من ترتد من النساء. وقد علل الحنفية ذلك بأن المرأة لا تقاتل، وبأن رسول الله ﷺ قد نهى عن قتل النساء، والنهى عام، فيجرى على عمومه ليشمل المرتدة (٢٨).

فعلة قتل المرتد عند الأحناف أنه قد يقاتل المسلمين مع الكفار أو المشركين فلذلك يقتل، أما المرأة فليست من أهل القتال فلا تقتل. وقد عدّد بعض متأخرى الأحناف من يُستثنون من تطبيق الحديث الشريف: «من بدل دينه فاقتلوه»، فجعلوهم أربعة عشر صنفًا من المرتدين (٢٩)، ويصح لذلك أن يُقال: إن أصحاب هذا الرأى يخصِّصون عموم هذا الحديث بالأدلة التى يحتجون بها فى عدم قتل هذه الأصناف الأربعة عشر من المرتدين.

غير أن تخصيص عموم الحديث، أو تقييد إطلاقه، على النحو المتقدم، سواء ما

كان منه موضع اتفاق بين الفقهاء، أو ما كان موضع خلاف بينهم، لا يؤدى ـ فى النظر الصحيح إليه ـ إلى النتيجة التى قال بها صاحب الرأى السابق الإشارة إليه من أن الإسلام لم يقرر للمرتد عقابًا.

ويبدو أن الروح الاعتذارية، التى سيطرت على صاحب هذا الرأى فى كتابه كله هى التى قادته إلى هذه النتيجة هنا. ولذلك فإننا نعلن اختلافنا معه فى رأيه، ونسلم بما اتفق عليه جمهور فقهاء المسلمين من أن الردة عمل مجرَّم فى الشريعة. غير أن الذى يجب أن يتساءل المرء عنه هو أى نوع من العقوبات قرره الإسلام لهذه الجريمة؟ وهل يوجب حديث الرسول ـ ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» عقوبة القتل حدًّا للمرتد؟ أم أن المسألة تحتمل أن يكون ثمة وجه آخر للنظر فيها؟

رأى فى عقوبة الردة

خلصنا فيما تقدم إلى أن القرآن الكريم لم يحدد للردة عقوبة دنيوية، وإنما توعدت الآيات التى فيها ذكر الردة بعقوبة أُخروية للمرتد. وبينَّا أن الفقهاء يستندون على أحاديث نبوية صحيحة لبيان حكم المرتد، وأنهم يذهبون ـ بصفة عامة ـ إلى أن المرتد يُقتل لردته عملًا بقول رسول الله ـ ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» (رواه الجماعة إلا مسلمًا).

وعلى الرغم من الاتجاه الظاهر فى الفقه الإسلامى إلى تضييق نطاق توقيع العقوبات، والتوسع الملحوظ فى مختلف المذاهب فى إعمال قاعدة درء العقوبات بالشبهات، فإننا نلاحظ أن اتجاهًا مغايرًا يظهر فى شأن جريمة الردة وعقوبتها؛ حيث ثمة توسع فى التجريم، يترتب عليه توسع فى حالات تقرير وجوب توقيع العقاب (٣٠).

ومع التسليم بتجريم الردة، فإننا نتردد فى القطع بأن العقوبة التى قررها لها الإسلام هى عقوبة الإعدام، وأن هذه العقوبة من عقوبات الحدود.

وقد سبق إلى مثل هذا التردد المرحوم الشيخ محمود شلتوت، فقال بعد أن بيّن مستند الفقهاء فى تقرير عقوبة الردة، وخلافهم فى مدى إعمال الحديث النبوى فى

قتل المرتد: «وقد يتغير وجه النظر فى المسألة إذ لوحظ أن كثيرًا من العلماء يرى أن الحدود لا تُثبت بحديث الآحاد، وأن الكفر بنفسه ليس مبيحًا للدم، وإنما المبيح هو محاربة المسلمين والعدوان عليهم ومحاولة فتنتهم عن دينهم، وأن ظواهر القرآن الكريم فى كثير من الآيات تأبى الإكراه فى الدين»(٣١).

إن أقوى ما يستند إليه الفقهاء فى إثبات عقوبة القتل حدًا للمرتد هو الأمر الوارد فى قوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه». والسؤال الذى يجب أن نتصدى للإجابة عنه هنا هو: هل الأمر الوارد فى هذا الحديث يفيد الوجوب، أو أنه أمر قد أحاطت به قرائن صرفته عن الوجوب إلى غيره؟

وقبل أن نجيب عن هذا السؤال يجدر بنا أن نبين أن الأصوليين (أى علماء أصول الدين) يختلفون اختلافًا كبيرًا حول موجب الأمر، وما وضعت له صيغته فى اللغة. وقد أوصل بعضهم المعانى التى تفيدها صيغة الأمر إلى بضعة وعشرين معنى، وذهب بعضهم إلى التوقف فى المراد بالأمر حتى يتبين من القرائن المعنى المراد منه (٣٢). والصحيح من أقوال الأصوليين هو أن صيغة الأمر وضعت للوجوب، وأنها لا تصرف عن الوجوب إلى غيره، إلا إذا حفَّت بها القرائن التى تؤدى إلى ذلك (٣٣).

فإذا تبين هذا، نظرنا إلى حديث رسول الله ﷺ المتقدم ذكره لنسأل أنفسنا: هل نرى أى أنواع القرائن حفّت به؟

ولعل أول ما يرد على الذهن فى هذا الشأن سكوت القرآن الكريم عن تقرير عقوبة دنيوية للمرتدين على ما قدمناه. على أن هذا السكوت لا يصلح وحده قرينة لصرف الأمر الوارد فى الحديث النبوى عن موجبه ومقتضاه؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل لنبيه أن يسنَّ لأمته فيما «ليس فيه نص حكم، وقد فرض الله فى كتابه طاعة رسوله والانتهاء إلى حكمه. فمن قبِل عن رسول الله فبفرض الله قبِلَ»(٣٤).

ولكننا وجدنا فى السنن الصحيحة عن رسول الله ـ ﷺ ـ ما يجعلنا نذهب إلى أن الأمر الوارد فى الحديث بقتل المرتد ليس على ظاهره، وأن المراد منه إباحة القتل لا إيجابه. ومن ثم تكون عقوبة المرتد عقوبة تعزيرية مفوضة إلى الحاكم: أى القاضى، أو الإمام: أى رئيس الدولة، أو ـ بعبارة أخرى ـ مفوضة إلى السلطة المختصة فى

الدولة الإسلامية، تقرر فيها ما تراه ملائمًا من العقوبات، ولا تثريب عليها إن هى قررت الإعدامَ عقوبةً للمرتد. وهذا ـ والله أعلم ـ هو معنى حديث رسول الله ﷺ: أن من بدل دينه فيجوز أن يُعاقب بالقتل، لا أنه يجب حتمًا قتله.

وتتلخص هذه القرائن فى الأمور التالية:

الأمر الأول: من هذه القرائن التى تصرف الأمر فى الحديث عن الوجوب إلى الإباحة، أن الأحاديث التى ورد فيها أن رسول الله ـ ﷺ ـ قتل مرتدًّا أو مرتدة أو أمر بأيهما أن يُقتل، كلها لا تصحُّ من حيث السند. ومن ثم فإنه لا يثبت أن رسول الله ـ ﷺ ـ عاقب على الردة بالقتل (٣٥).

الأمر الثانى: ما رواه البخارى ومسلم من أن «أعرابيًا بايع رسول الله ـ ﷺ ـ فأصاب الأعرابى وعك بالمدينة، فأتى النبى ـ ﷺ ـ فقال: يا محمد أقلنى بيعتى. فأبى ثم جاءه قال: يا محمد أقلنى بيعتى؛ فأبى؛ فخرج الأعرابى، فقال رسول الله ـ ﷺ: إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها»(٣٦)، وقد ذكر الحافظ ابن حجر، والإمام النووى نقلًا عن القاضى عياض (٣٧) أن الأعرابى كان يطلب من رسول الله ـ ﷺ ـ إقالته من الإسلام (٣٨)، فهى حالة ردة ظاهرة، ومع ذلك لم يعاقب رسول الله ـ ﷺ ـ الرجل ولا أمر بعقابه، بل تركه يخرج من المدينة دون أن يعرض له أحد.

الأمر الثالث: ما رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه قال: «كان رجلًا نصرانيًا فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران. فكان يكتب للنبى ﷺ، فعاد نصرانيًا. فكان يقول ما يدرى محمد إلا ما كتبت له. فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض...» الحديث (٣٩). ففى هذا الحديث أن الرجل تنصر بعد أن أسلم وتعلم سورتى البقرة وآل عمران، ومع ذلك فلم يعاقبه النبى ﷺ على ردته (٤٠).

الأمر الرابع: هو ما وردت حكايته فى القرآن الكريم عن اليهود الذين كانوا يترددون بين الإسلام والكفر ليفتنوا المؤمنين عن دينهم ويردوهم عن الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٢). وقد كانت هذه الردة الجماعية فى المدينة والدولة الإسلامية قائمة، ورسول الله ﷺ حاكمها، ومع ذلك لم يُعاقب

هؤلاء المرتدين الذين يرمون، بنص القرآن الكريم، إلى فتنة المؤمنين فى دينهم وصدهم عنه (٤١).

وليس من اليسير علينا أن نسلم مع وجود هذه الوقائع المتعددة للردة ومع عدم عقاب الرسول ـ ﷺ ـ للمرتدين فى أى منها، بأن عقوبة المرتد هى القتل حدًّا؛ إذ من خصائص الحدود ـ كما قدمنا ـ وجوب تطبيقها كلما ثبت ارتكاب الجريمة الموجبة لها.

وإذ كان حديث الرسول ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» حديثًا صحيحًا من حيث السند، فإننا نقول: إن الرسول ـ ﷺ ـ إنما أراد بهذا الحديث ـ والله أعلم ـ أن يبيح لأمته قتل المرتد تعزيرًا (٤٢).

ويؤيد ما ذهبنا إليه عدد من الآثار المروية، والآراء الفقهية التى تذكر عقوبات أخرى للمرتدين غير عقوبة القتل. فمن هذه الآثار ما رواه عبد الرازق بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: «بعثنى أبو موسى بفتح تستر إلى عمر رضى الله عنه، فسألنى عمر، وكان ستة نفر من بنى بكر بن وائل قد ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين، فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل؟ قال فأخذتُ فى حديث آخر لأشغله عنهم، فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل؟ قلت: يا أمير المؤمنين قوم ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين، ما سبيلهم إلا القتل؟ فقال عمر: لأن أكون أخذتهم سلمًا أحب إلى مما طلعت عليه الشمس من صفراء وبيضاء. قال: قلت: يا أمير المؤمنين وما كنت صانعًا بهم لو أخذتهم؟ قال: كنت عارضًا عليهم الباب الذى خرجوا منه أن يدخلوا فيه فإن فعلوا ذلك قبلت منهم وإلا استودعتهم السجن»(٤٣).

ومن الآثار المروى عن عمر بن عبد العزيز «أن قومًا أسلموا ثم لم يمكثوا إلا قليلًا حتى ارتدوا، فكتب فيهم ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز فكتب إليه عمر: أن رد عليهم الجزية ودعهم»(٤٤).

وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه يسأله فى رجل أسلم ثم ارتد، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: «أن سله عن شرائع الإسلام، فإن كان قد عرفها فأعرض عليه الإسلام، فإن أبى فاضرب عنقه، وإن كان لا يعرفها فغلظ الجزية ودعه»(٤٥).

ومن آراء التابعين رأى إبراهيم النخعى فى المرتد أنه يستتاب أبدًا، وقد رواه عنه سفيان الثورى وقال: «هذا الذى نأخذ به»(٤٦).

وفى معرض رده على قول من ذهب إلى قتل المرتد وإن أعلن توبته، يقرر الباجى، وهو من أعلام المالكية، أن الردة «معصية لم يتعلق بها حد ولا حق لمخلوق كسائر المعاصى» (٤٧)، وكل معصية ليس فيها حد ولا حق لمخلوق فهى مما يجيز العقوبة تعزيزًا بلا خلاف.

وإذا لم يكن فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ أن المرتدين يحبسون، كما ذهب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولا أن يُفرَّق بين من عرف شرائع الإسلام ومن لم يعرفها كما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز، ولا أن يعودوا إلى دفع الجزية ويتركوا على دينهم الذى ارتدوا إليه كما أمر به عمر بن عبد العزيز أيضًا، فإننا نقول: إن ذلك لا يكون إلا وقد فهم أصحاب هذه الآراء المتقدمة أن العقوبة الواردة فى الحديث النبوى الشريف، إنما هى عقوبة تعزيرية وليست عقوبة حد.

وحاصل ما تقدم أن عقوبة الردة عقوبة تعزيرية مفوضة إلى السلطة المختصة فى الدولة الإسلامية، تقرر بشأنها ما تراه ملائمًا من أنواع العقاب ومقاديره. ويجوز أن تكون العقوبة التى تقررها الدولة الإسلامية للردة هى الإعدام. وبذلك نجمع بين الآثار الواردة عن الصحابة، والتى ثبت فى بعضها حكم بعضهم بقتل المرتد، وفى بضعها الآخر عدم قتله. وعلى ذلك أيضًا نحمل رأى إبراهيم النخعى وسفيان الثورى فى أن المرتد يستتاب أبدًا ولا يُقتَل (٤٨).

وعلى الرغم من مخالفة ما انتهينا إليه لما ذهب إليه جمهور الفقهاء إذ رأينا جواز قتل المرتد عقابًا على الردة ورأوا وجوب كون العقوبة قتله، فإن ما قدمناه من أدلة يشهد ـ فى نظرنا ـ له. فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وإن يكن خطأ فمنى وأستغفر الله (٤٩).

وهكذا عرضنا لرأى الدكتور محمد سليم العوّا الذى يرى أن الردة عقوبتها فى القرآن عقوبة أخروية وفى السنة أظهر أن فيها خلافًا بين الفقهاء وانتهى أنها ليست حدًا ومن ثم فهى تعزيرية بمعنى يمكن أن تكون الإعدام تعزيرًا ويمكن لرأى إبراهيم النخعى أن يستتاب المرتد أبدًا.

وعرضنا بذلك للرأيين رأى الدكتور محمود مزروعة بقتل المرتد ورأى الدكتور محمد سليم العوّا بأن العقوبة تعزيرية إتمامًا للفائدة وإحاطة بالموضوع.

إما السفر وإما السجن

رضا: كان سفركم للتدريس فى السعودية فى جامعة أم القرى له قصة.. بعد دراما خطبة العيد.

د مزروعة: كان ذلك أثناء مؤتمر السكان الذى عقد بمصر فى هذه السنة وجاء العيد فى هذه الفترة ومصلى العيد كان بجانب بيتى الذى نجلس فيه الآن فنزلت لأصلى العيد فرآنى الخطيب المكلف بالخطبة فعرض على أن أخطب فاعتذرت وبينت له أننى ممنوع من الخطابة فأصر هذا الشاب وقال كيف أخطب وأنت موجود فخطبت العيد وكانت خطبة عاصفة لم أترك شيئًا مما كان يحدث فى هذه الفترة وإلا وجئت عليه بأقسى العبارات بالنقد اللاذع ولم أترك أحدًا خاصة وكان وزير الثقافة أيامها فاروق حسنى وانتهت الخطبة وما أن صعدت إلى السلم ودخلت باب الشقة وجلست على الكرسى حتى رن جرس التليفون ووجدت المتحدث رائدًا فى أمن الدولة كنت أعرفه.

قال لى: يا دكتور انظر من البالكونة ستجد سيارة فيات صغيرة على باب البيت أرجوك اركبها وشرفنا.

فذهبت إليه فرحب بى بأدب ثم وضع شريط كاسيت فى المسجل وضغط بإصبعه على التشغيل فإذا بالخطبة التى ألقيتها مسجلة بالكامل فسمعتها ولم أصدق ما جاء فيها مما قلته أحقًا قلت هذا الكلام! ولم أتكلم ولم يتكلم هذا الرائد ولكن قال لى سأتصل بحضرتك فى وقت لاحق وبعد يوم واحد قال لى: يا دكتور أمامك خمسة أيام للخروج خارج البلد وإلا السجن.

فبتنا هذه الليلة أنا وزوجتى أين نذهب؟ وكيف نتصرف؟ وليس لنا أحد فى الخارج وكيف سنصرف أمور حياتنا وصلينا الفجر ونمنا فسمعت جرس الباب الساعة الثامنة صباحًا لاينفك من يضع إصبعه عليه أن يرفعه فقمت فزعا من النوم فرأيت رجلًا يمسك

بخطاب فى يده ويقول إن هذا الخطاب مرسل إليك من القنصلية السعودية فأخذت منه هذا الخطاب ورددت الباب ففتحت الخطاب فإذا هذا الخطاب من جامعة أم القرى تعرض على أن أقوم بالتدريس فيها وتفوض القنصلية للتعاقد معك بالشروط المتفق عليها وفى نهاية الخطاب تطلب منى التوجه للقنصلية السعودية بجاردن سيتى فخرجت مسرعًا إلى القنصلية فوجدت العقد يتضمن كل البنود التى تكفل كل شىء لأستاذ يدرس العقيدة والفلسفة فى هذه الجامعة فطلبت من القنصل السعودى السفر سريعًا فإذا به يقول لى لقد تم حجز التذكرة وحدد الوقت الذى تريد السفر فيه وقبل أن تنقضى المهلة المحددة كنت فى المملكة العربية السعودية أستاذًا فى جامعة أم القرى وكان العقد لبضع سنوات ولكنه امتد لأكثر من خمس عشرة سنة بعد ذلك.

بروفايل

هذه شخصية قوية شديدة صارمة ليس عندها أنصاف الحلول لاترى فيما تفكر وفيما تنتهى إليه من نتائج إلا الأبيض الذى يعنى عندها الإيمان والذى يجب أن يلتزم جميع الناس به ويرضونه بالرضا أو بالقسر عليه إذا رفضوه والأسود الذى يعنى عندها الكفر الذى يجب أن يمحى ويستأصل ويباد من على وجه الأرض تمامًا..

هذا ما يمكن أن يكون مفتاح هذه الشخصية، شخصية الأستاذ الدكتور محمود محمد مزروعة عميد كلية أصول الدين الأسبق فأنت أمام أستاذ كبير فى تخصصه العقيدة والفلسفة له منهجه فى البحث واستخلاص النتائج التى تبدو عنده لا رجعة فيها ولا مناقشة ذلك لأنه يحيطها بسياج متين من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بحيث لا يرى من يحاوره بدًا من الانصياع لكلامه والرضوخ لهذه الشواهد المفحمة وهذا حدث معى فيما يتعلق ببعض الأمور لكن بعضها الآخر لم يشف قناعتى ولم تستطع حججه أن تنفذ إلى عقلى ليطمئن لها ويركن كموضوع تكفير كل الشيعة وخروجهم من الإسلام، وعندما حاورته وأعدت السؤال عليه بصور مختلفة ظل على رأيه لأنه يسوق من الحجج ما يدعم بها رأيه ويصر عليها وعندما قلت له إن الشيعة يمثلون جزءًا ليس قليلًا من جسد الأمة فهم ١٣ ٪ منها ظل على رأيه أنهم ليسوا مسلمين وهو يلوح بقوة بما معه من أدلة ويرميها فى وجه كل من يخالفه بقوة

العالم الذى يعى ما يقول ومع ذلك مازلت أقول أن هناك صيغة للتعامل بين المسلمين فى العالم على اختلاف مذاهبهم فى عالم التكتلات الكبيرة والتحالفات التى تحمى بها الدول أمنها واستقرارها.

والموضوع الآخر قول فضيلته بقتل المرتد وهو بهذا يمثل زعيمًا لرأى يرى قتل المرتد ويسوق بعض الأدلة من النصوص القرآنية التى تدعم رأيه وعندما دار الحوار حول هذه الآيات وكونها لا تعنى الردة كآية سورة الأحزاب والآيتين من سورة التوبة ساق من الفهم ما يرى به وهو عالم له قدمه فى التفسير واللغة أنها تعنى المرتد وأنه يجب أن يقتل لكنه فرق فى هذا بين الذى يرتد داخل بيته فلا شأن لنا به ومن يعلن ردته ويتطاول على الدين وأهله ورموزه هنا كان قوله صريحًا بقتله وإلى هنا كان اتفاقنا على الرغم من رأى مجموعة من العلماء الكبار منهم العلامة محمد أبو زهرة والدكتور محمد سليم العوا الذى قدم بحثًا انتهى فيه بهذا القول.

وحاصل ما تقدم أن عقوبة الردة عقوبة تعزيرية مفوضة إلى السلطة المختصة فى الدولة الإسلامية، تقرر بشأنها ما تراه ملائمًا من أنواع العقاب ومقاديره. ويجوز أن تكون العقوبة التى تقررها الدولة الإسلامية للردة هى الإعدام. وبذلك نجمع بين الآثار الواردة عن الصحابة، والتى ثبت فى بعضها حكم بعضهم بقتل المرتد، وفى بضعها الآخر عدم قتله. وعلى ذلك أيضًا نحمل رأى إبراهيم النخعى وسفيان الثورى فى أن المرتد يستتاب أبدًا ولا يُقتَل.

وظل أستاذنا على رأيه بقتل المرتد وأسقط كلامه هذا وقناعاته تلك فى شهادته المشهورة على فرج فودة والذى شهد فيها بحق قتلة فرج فودة فى قتله، فلما قلت وأين حق الدولة قال مادام لم تقتله الدولة فيحق لمن يلقاه أن يقتله وهنا على الرغم من احترامنا وتوقيرنا له أبديت أن هذا الرأى يجعل من كل من يرى فى إنسان أنه ارتد يمكن أن ينفذ فيه حكم الإعدام فأنهى الموضوع بصراحته المعروفة وقوة سوقه لما يراه هو صحيحًا أننى لو قابلته وقدرت عليه لقتلته وساق أسباب ذلك التى أبديت وقتها أننى لا أتفق معه مع التوقير اللازم لشخصه.

وبخلاف هاتين القضيتين محل الخلاف لهذا العالم الكبير مع بعض العلماء

والمفكرين كان كلامه فيما سوى ذلك مجمع عليه تقريبًا من توقير الصحابة وعدم المساس بهم وعدم الخوض فيما جرى بينهم، لكنه زاد فى هذا وقال عدم المناقشة فيها وفى كلامه عن التفويض وليس التأويل كما تقول بعض الفرق وفى هذا ساق آية آل عمران التى كانت حجة قوية فيما قال فيه من تفويض فى بعض المسائل التى لا تتفق مع العقل لكن يبقى ذلك محل خلاف بينه وبين من يقول بالتأويل.

لكن بقى أن أصف ما رأيت فى هذا العالم الكبير أولًا فى صراحته فى سرد تفاصيل حياته الأولى ولعبة الطاولة التى كان يلعبها كثيرًا وهو فى الجامعة وعن دخوله السينما يوميًا فى هذا الوقت وعن مزاملته للإخوان المسلمين فى لعب الطاولة، على الرغم من أنه كان على خلاف دائم معهم ولم يقتنع بفكرهم يومًا لكنه دخل معهم سجن عبد الناصر بالصدفة وراحت فيه إحدى عينيه، وحكى عن فدادين الأرض التى أخذها عبد الناصر من عائلته وحكمه على ذلك التصرف وعن أسرته التى كانت مهابة بثراءها وسطوتها التى كانت صورتها فى أخيه الذى كاد أن يقتل أحد الفلاحين لكلمة قالها هذا الفلاح يعير فيها عن ملكيته لقطعة أرض حصل عليها من الإصلاح الزراعى فى حكم عبد الناصر بعد أن آلت إليه ملكية هذه القطعة من الأرض.

كان صريحًا قويًا شديدًا لكن فى أدب جم مصحوب بالأصول التى يعرفها من تربى فى الريف المصرى وسأنهى الكلام عنه بهذا المشهد الذى رأيته بقوم به أمامى وأنا أجلس فى بهو بيته الواسع فى مدينة نصر وجدته يمسك بكيس من الحبوب ويخرج به إلى شرفة بيته «البالكونة» التى تطل على الشارع وأخذ ينثر هذه الحبوب فجاءت العصافير من كل صوب وحدب لكى تلقط هذا الحب وهى تنظر إليه وهو ينظر إليها.

أكبر علماء الأزهر سنًا

فضيلة الشيخ معوض إبراهيم

البركة فى العمر وفى العقل وفى السيرة والمسيرة

قصة اللقاء

اتصل بى هاتفيًا العالم الشاب أحمد ربيع الأزهرى الذى كان وقتها يعد كتابه «المواقف الخالدة لعلماء الأزهر» الذى يوثق فيه المواقف الخالدة لعلماء الأزهر تاريخيًا وفى العصر الحديث، وأخبرنى بمفاجأة أنه قد انتهى من مقابلة تليفزيونية أجرتها مقدمة برامج دينية مع أكبر علماء الأزهر سنًا وهو فضيلة الشيخ «معوض عوض إبراهيم» وأنه يعرض علىَّ بأن يكون هذا العالم ضيفى فى برنامجى «سيرة ومسيرة». فلما ذكر الاسم تذكرت مباشرة المقالات التى كنت أقرؤها فى مجلة الأزهر لهذا الاسم ولم أكن أعرف أنه هو هذا الشيخ وقال إنه سيكون ضيفًا مميزًا فى البرنامج ففتحت الكمبيوتر لأكشف عن هذه الشخصية العظيمة فإذا بى أجده من مواليد ١٩١٢ وأنه أكبر علماء الأزهر سنًا وعاصر أجيالًا أزهرية متعددة بدء من الشيخ المراغى مرورًا بجميع شيوخ الأزهر السابقين الذين تولوا الإمامة الكبرى حتى شيخ الأزهر الحالى الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، وهذا العالم الذى يربو عمره على القرن بأربع سنوات يعتبر عالمًا فى كثير من العلوم الإسلامية فهو عالم فى التفسير وعلوم القرآن وعالمًا فى علم الحديث والسنة النبوية وعالمًا فى اللغة وكذلك له سهم وافر فى الأدب فهو شاعر كبير له دواوينه المعروفة وزامل كثيرًا من العلماء على

اختلاف أجيالهم كالشيخ محمد أبو زهرة والشيخ محمد الغزالى بالإضافة إلى مواقفه السياسية منها موقفه مع الرئيس السادات وموقفه عندما سافر إلى اليمن كل هذا عرفته من خلال قراءتى عن سيرة حياته فى الإنترنت ثم اتصلت بالشيخ أحمد وأخذت منه موعدًا للتسجيل وذهبنا إليه فى بيته وكان ذلك فى عام ٢٠١٤ وعندما رأيته أحسست بشىء يأخذنى إليه فأنا أرى أمامى عمرًا أكثر من مائة عام بأيامها وأحداثها بأفراحها وأحزانها بمواقفها المختلفة من حياة مصر من حياة هذا الرجل وهو يدخل إلى غرفة مكتبه التى كانت مملوءة بالكتب على الجانبين ويمسك به أحد أقاربه وجلس على كرسيه وبدأ فى كلامه بصوت عالٍ يرحب بنا وأمسك بفنجان القهوة الذى أطبق عليه أصابعه وراح يضعه على شفتيه لكى يستعد للقائنا فأخذت مكانًا بجانبه حتى أكون قريبًا من أذنه حتى يسمعنى جيدًا وبدأنا فى الحوار.

أقوال فى الحوار

- أختى حبيبة ولدت قبلى فاقدة للبصر وأتمت حفظ القرآن وهى فى العاشرة من عمرها.
- بدأت تحفيظى للقرآن سيدة كفيفة الشيخة أم أحمد النجار من أهل القرية.
- كان الناس متوادين متحابين يد بيد وكاهل بكاهل وكأن الناس فى القرية ولدوا جميعًا تحت سقف واحد.
- والشيخ المراغى هو الذى اختراع الجبة والكاكولا المقفلة لكى يدارى أثر ماء النار الذى فى رقبته.
- أقسمت بالله ألا أذهب للسلام على السادات لأنه بدأ بالاستخفاف بنا ولم يلق السلام علينا.
- الشيخ محمود شلتوت قال لى: إما تسافر اليمن أو تذهب للمعتقل.
- بن باز لا يلزم من مدحى له موافقتى له فى اعتقاده وبعض آرائه التى خالف فيها المرجعيات العلمية.

ـ أنا لم أمدح الفكر الوهابى لا جهرًا ولا سرًا ولا كلامًا ولا كتابةً، لكنى كنتُ دائمًا مع وسطية الإسلام المتمثلة فى الفكر الأزهرى.

ـ تستبينى الدعوة إلى الله عز وجل فأنا عليها مقيم وأنا عليها نازح وأنا عليها مصبح وأنا معها ممس.

رضا: نبدأ من الميلاد عام ١٩١٢ يعنى من أكثر من مائة عام كيف كانت النشأة فى هذه الفترة المبكرة من حياة مصر فى العصر الحديث؟

معوض: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنال الأمانى والآمال الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافى نعمه ويكافئ مزيده، معوض عوض إبراهيم ابن أب وأم من أوساط الناس ليسوا بذوى الثراء ولا الجاه ولكنهما والحمد لله كانا على مستوى من الجود والإكرام لمن يعرفون ولمن لا يعرفون وكانت القرية واسمها كفر الترعة الجديد مركز شربين التابعة وقتها لمديرية الغربية كما كانت تسمى المحافظات وقتها وانتقلت الآن وأصبحت تابعة للدقهلية وعلى يمينها قرية الضهرية بلد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف الأسبق.

الحقيقة أن هذه الأيام على الرغم من عدم توافر الحاجيات ويسر المال كان الناس متوادين متحابين يد بيد وكاهل بكاهل وكأن الناس فى القرية ولدوا جميعًا تحت سقف واحد وقد شاء الله أن يكون لى زملاء وأتراب فى هذه القرية حفظنا القرآن معًا على يد الشيخة أم أحمد التى حفظت القرآن على يديها وكانت كفيفة رحمها الله.

وكان لى شقيقان ماتا ولم أرهما على وعبد الرزاق فأراد الله أن يعوض والداى فوهبهما الله أختا لى اسمها حبيبة وولدت فاقدة للبصر وأتمت حفظ القرآن وهى فى العاشرة من عمرها ووسدت ثراها فى هذه السن المبكرة (أى توفيت رحمها الله) وشاء الله بعد ذلك أن أكون وحيد أبوى.

رضا: متى بدأت حفظ القرآن وماهى المراحل المختلفة للتعليم فى هذه السن الصغيرة فى هذا المجتمع الريفى؟ وما طبيعة المناهج الدراسية التى كانت تدرس فى الأزهر فى هذا الوقت؟

معوض: التى بدأت تحفيظى للقرآن كما قلت هى سيدة كفيفة الشيخة أم أحمد النجار من أهل القرية والتحقت بعد ذلك بكتاب القرية مع مجموعة من المشايخ لأن حفظ القرآن فى هذه السن المبكرة يجعل الإنسان ينطلق فى مراحل التعليم الأزهرى المختلفة وكان أقرب معهد أزهرى لنا فى شربين وفى قريتى التابعة لهذا المركز فى دمياط وكان أبى وأمى صعبًا عليهما أن أفارق الدار لأننى كنت وحيدهما وكذلك انتسبت لمعهد دمياط ١٩٢٤.

أما الدراسة فكنا ندرس التفسير والفقه والحديث وكنا ندرس الرياضيات وقد درست فى الفقه مثلا وكنت متخصصًا فى الفقه الحنفى كتاب نور الإيضاح وكنا ندرس فى التفسير مجموعة من سور القرآن من تفسيرات متعددة وكذلك فى الحديث النبوى كانوا يدرسون لنا مجموعة مختارة من أحاديث الرسول ﷺ مع شروحها المختلفة.

وكان يسكن تجاهنا فى دمياط فضيلة الشيخ عبد الله دراز والد الدكتور محمد عبد الله دراز وكان شيخ معهد دمياط فى هذا الوقت وأذكر عندما عينت واعظًا بعد تخرجى أرسلت له قصيدة كتبتها سنة ١٩٤١ وكان مشرفًا علينا فى هذا الوقت قلت فيها:

نجاحك عز للحياة وتمكين وآيـة أن الشعب يحكمه الدين

فكانت هذه القصيدة التى كان مطلعها هذا البيت صلة التمكين للعلاقة بينى وبينه لآخر لحظة من لحظات حياته.

والدكتور محمد عبد الله دراز ابن الشيخ عبد الله دراز أخاف أن أكون قد تجاوزت ولكنى لم أتجاوز عندما أقول إنه فوق الشك والتهم وعلى يمينك وأنت تجلس الآن كتاب أخلاق القرآن لهذا العالم الكبير ولا أنسى له موقفًا عندما كنت مبعوث الأزهر فى لبنان ١٩٥٦ توفى الشيخ محمد عبد الله دراز وقد كتب الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله فى مجلة لواء الإسلام يصف فيه اليوم الأخير للشيخ محمد عبد الله دراز أنه كان فى مناظرات للدفاع عن الإسلام ولما جاء الليل توضأ وصلى العشاء واتكأ على أريكة بجانبه ثم أسلم الروح إلى خالقه.

وكان يسكن فوقنا محمد على عبد الرحمن والد بنت الشاطئ السيدة عائشة عبد

الرحمن وبنت الشاطئ لم أرها فى حياتى إلا فى احتفال أقيم لها فى قاعة الإمام محمد عبده ثم كان بينى وبينها مراسلات وتعلمت حتى فاقت والدها فى العلم وتزوجت أمين الخولى وكان يضارع طه حسين وأذكر أنها كتبت مقالًا فى جريدة الأهرام تقول إن مصعب بن عمير لا أخ له وأنا كنت قد كتبت عن مصعب بن عمير أول سفير فى الإسلام بحثًا وقلت فى هذا البحث وأثبت أن له أخًا كان اسمه أبو عزيز فى غزوة بدر أخذ أسيرا فرآه أخوه مصعب.

فقال مصعب لمن أسره: أشدد قبضتك عليه فإن أمه ستفديه بالمال الكثير.

فقال له أخوه: أتلك وصاتك بأخيك.

فقال مصعب: آثرك أخى قبلك يعنى أن هذا أخى أفضل منك لأن الأخوة أخوة الدين فأرسلت إليها رسالة أقول فيها:

«فى زحمة مقالاتك ونشاطاتك نسيتم أن مصعب بن عمير له أخ اسمه أبو عزيز وهذا بحث كتبته عن مصعب ابن عمير أثبت فيه ذلك».

وفى أحد الأيام اتصل بى اللواء جمال محفوظ ابن الشيخ على محفوظ من كبار علماء الأزهر وكنت وقتها واعظًا فى الشئون المعنوية فى القوات المسلحة فى الإسماعيلية وقال لى اقرأ مقال بنت الشاطئ اليوم فى الأهرام فوجدتها تشير فى المقال إلى الاستدراك الذى أرسلته إليها بشأن أن مصعب بن عمير له أخ اسمه أبو عزيز وقالت فى مقالها «رحم الله امرء أهدى إلىَّ عيوبى» وهذه كلمة لا يقولها إلا عالم يحترم علمه ويعلم أن ميزة العلم فوق كل ميزة وظلت علاقتى معها أرسل لها وترسل لى فى مجال العلم وأخوها الآن من أساتذة جامعة المنصورة الدكتور إسماعيل عبد الرحمن.

وأول تعيينى كان فى أسوان ١٩٤١ وفى سنة ١٩٤٥ جئت إلى الفيوم وكنت واعظ بورسعيد من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦ وقد شهدت ما كانت تموج به مصر قبل ثورة يوليو وسمعت وقتها عن مصطفى النحاس ومكرم عبيد وويصا واصف والخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد واستقلال مكرم عبيد عن الوفد كل هذا أذكره وكنت فى مرحلتى الصبا والشباب.

رضا: فى هذه الفترة عاصرت كثيرًا من قامات مصر الكبيرة حافظ إبراهيم والعقاد.

معوض: عرفت حافظ إبراهيم وأحببته على بعد لأننى عاصرته وكان مشهورًا جدًّا وقتها وأذكر أنه عندما كان فى السودان وجاء إلى مصر قال قصيدة مازالت حلاوتها فى فمى فقال فيها:

سَعَيتُ إِلى أَن كِدتُ أَنتَعِلُ الدَما ... وَعُـدتُ وَما أُعقِبتُ إِلّا التَنَدُّما
لَحى اللَهُ عَهدَ القاسِطينَ الَّذى بِهِ ... تَـهَـدَّمَ مِـن بُنيانِنا مـا تَهَدَّما
إِذا شِئتَ أَن تَلقى السَعادَةَ بَينَهُم ... فَلا تَكُ مِصرِيًّا وَلا تَكُ مُسلِما
سَلامٌ عَلى الدُنيا سَلامَ مُوَدِّعٍ ... رَأى فى ظَلامِ القَبرِ أُنسًا وَمَغنَما
أَضَرَّت بِهِ الأولى فَهامَ بِأُختِها ... فَإِن ساءَتِ الأُخرى فَوَيلاهُ مِنهُما
فَهُبّى رِياحَ المَوتِ نُكبًا وَأَطفِئي ... سِـراجَ حَياتى قَبلَ أَن يَتَحَطَّما
فَما عَصَمَتنى مِن زَمانى فَضائِلي ... وَلَكِن رَأَيتُ المَوتَ لِلحُرِّ أَعصَما
فَيا قَلبُ لا تَجزَع إِذا عَضَّكَ الأَسى ... فَـإِنّـكَ بَعدَ الـيَـومِ لَـن تَتَأَلَّما

أحببت حافظ لوطنيته ولأنه كان حريصًا على إبراز مصرية مصر وأما أحمد شوقى فلم أره إلا فى الاحتفالات العامة وأذكر أنه يوم بويع أميرًا للشعراء كان حافظ إبراهيم صاحب اليد الطولى فى هذا الحفل وقال فيه شعرًا كان وقتها حديث الناس وقد عاصرت هذا حيث كان هذا الاحتفال ١٩٢٧:

أمير القوافى قد أتيت مبايعًا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى
فغن ربوع النيل واعطف بنظره ... على ساكن النهرين واصدح وابدع
ولاتنس نجدا أنها منبت الهوى ... ومرعى المها من سارحات ورتع
وحى ذرى لبنان واجعل لتونس ... نصبا من السلوى وقسم ووزع
ففى الشعر مايغنى عن السيف وقعه ... كما روع الأعـداء بيت لا شجع
وفى الشعر إحياء النفوس وريها ... وأنـت لرى النفس أعـذب منبع

أما العقاد فقد ولد فى المحلة وانتقل مع أسرته إلى أسوان وبعد قسط قليل من التعليم انطلق بعقله وقلبه والعقاد كان «مقرأة» لم يترك شيئًا إلا قرأه فكان الكتاب

يصدر فى أى مكان فى العالم تجده فى يد العقاد وقد كتب فى الشعر وفى العبقريات وهى نموذج فى التعريف بالرجال وكتب فى قضايا المجتمع

والعقاد عرفنى من القصيدة التى أرسلتها إليه وهذه القصيدة انتشرت وقتها وقد كنت فى الثالثة الثانوية ونذرت أن أكون زائرًا للعقاد والشيخ محمد رفعت الذى كان مشهورًا بالقراءة فى جامع فاضل باشا فى أول مرة أكون فى القاهرة والمعروف عن شعر العقاد أنه يميل إلى الفلسفة مما يجعله يُكسب الشعر شيئًا من الجفوة وعدم التقبل وأذكر أن حزب الوفد كان مجتمعًا فى المكان الذى فيه الإذاعة والتليفزيون حاليًا قصيدة العقاد التى كتبها فى أزمة حزب الوفد:

أحسنتم الصبر والعقبى لمن صبروا جاء البشير فقولوا اليوم وائتمروا
تلك السنون التى ذقتم مرارتها هذا جناها فطاب الغرس والثمر

والقصيدة التى نشرها لى العقاد وأنا فى سن السادسة عشرة كان مطلعها:

يا ماخرا فى عباب الهموم أى عباب

وضاربًا فى فيافى الآلام والأوصاب

والسحب تجرى بسح من دمعك الوهاب

أقصر عناك فما لاقيت بعض عذابى

لما قابلت العقاد لأول مرة كان جالسًا وكنت واقفًا وكان وهو جالس أطول منى وأنا واقف وتلطف بى وسألنى:

هل أنت معوض عوض إبراهيم الذى نشرت له قصيدة «يا ماخرا عباب الهموم أى عباب» قلت له: نعم أنا هو.

قال لى: فى أى كلية.

قلت له: فى كلية أصول الدين.

قال: إلزم هذه الكلية فإنها كلية تربى العقل.

وكنت قبل أن ألقاه قد كتبت إليه قصيدة كان مطلعها:

عباس يا معقد الآمال فى وطن.

نشأت فيه لتروى غلة الصاد.

طرقت بابك فابعثنى إلى أملى.

فى الحياة ولا تبخل بإسعاد.

رضا: عاصرتم فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر وهو من أشهر من تولى مشيخة الأزهر فى العصر الحديث.. ماذا تقول فى هذا العلم الأزهرى كأحد معاصريه؟

معوض: الشيخ محمد مصطفى المراغى كان علم الأعلام وكان رجلًا حمى الأنف يأبى الهوان ويعلو على كل ملام عاش فى مصر وذهب إلى السودان وكان له مواقف مع الاستعمار الإنجليزى فى السودان فواجهه بعنف وشدة ثم جاء إلى مصر وكان قاضيًا وفى إحدى القضايا التى حكم فيها لم يرض به من حكم عليه الشيخ المراغى فانتظره هذا الرجل وقذفه بماء النار فوقعت على رقبته والشيخ المراغى هو الذى اخترع الجبة والكاكولا لكى يدارى أثر ماء النار الذى فى رقبته ومن هنا أصبح الجميع يلبس الجبة والكاكولا المقفلة عند العنق.

وأذكر أننا عندما تم التعيين لنا ١٩٤١ ذهبت إلى القرية لأهنئ أبى وأمى بأن الشجرة التى زرعاها قد أثمرت وآتت أكلها وكانا سعيدين جدًّا بهذا التعيين فلما عدت إلى القاهرة وجدت قرارات تعيينى أنا وزملائى قد تغيرت وعين ثلاثة غيرنا فى أماكننا فاتفقنا على أن نلقى الشيخ المراغى وكان ذلك من الصعوبة بمكان فسألنا عن مكان سكنه فعرفنا أنه يسكن فى حى الزمالك فى سفينة من السفن على النيل فذهبنا إليه فى بيته وجلسنا فى صالون بيته بعد أن رحب بنا ابنه ودخل علينا الشيخ المراغى يلبس جلبابًا أبيض وعليه عباية وعلى رأسه طاقية بيضاء فكلمته فى مشكلتنا بعد أن استأذنت زملائى بالكلام فقال لنا عودوا إلى أعمالكم وفعلًا عدنا إلى أعمالنا وتسلمت عملى فى مدينة المنزلة فى مسجد الدقوق وكان هذا موقف لا أنساه مع الشيخ محمد مصطفى المراغى.

والمعروف أن الملك فاروق كان يكبره لكنه طلب منه أن يصدر فتوى ألا تتزوج

امرأته من بعده فأبى الشيخ المراغى وقال هى من حقها أن تتزوج والغريب أن الملك فاروق كان يحضر دروس للشيخ المراغى ولكن مع ذلك وقف المراغى أمامه واشترى دينه فلما دخل الشيخ المراغى عليه بعد هذه الفتوى ركله فاروق وأين فاروق من هذا البحر الخضم ومن الجبل الأشم.

رضا: عاصرت تاريخ الأزهر فى فترات كثيرة ومع شيوخه الكبار هلا حدثتنا على حكاياتك ومواقفك فى ساحة الأزهر؟

معوض: التعليم الأزهرى مهما قال فيه المتسلفون بغير علم ولابينة صحيح أن الأزهر نشأ فى عهد جعفر الصقلى والمعز لدين الله الفاطمى لكنه نشأ لجيل خاص ولقبيل خاص وإذا بصلاح الدين الأيوبى يأتى فيعطل المعهد على هذه الوتيرة ثم يعود بعد ذلك على الأزهر فيعيد له نشاطه ويظل الأزهر منارة للعلم على مر العصور ثم يأتى العصر الحديث ومعه رجاله من أمثال الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود ذلك الرجل الذى كان ربانيًا فيه لمسة تصوف مع ثقافته الأزهرية ومع ثقافته الفرنسية وهذا الرجل الذى كان يود أن يرى معهدًا دينيًا فى كل قرية من قرى مصر.

وأذكر موقفًا لاينسى وقت أن كنت أنا مندوبًا للأزهر فى القوات المسلحة وكنت فى الجيش الثانى فى الإسماعيلية جاء الفريق عبد الرحمن أمين والشيخ عبد الحليم محمود ووقفنا على شط القناة ولا أنسى أن إسرائيل كانت دائمًا تحاول أن تنال من الجيش المصرى وفى هذا الوقت استشهد الفريق عبد المنعم رياض فكتبت:

لا تندبوه ففى الفردوس مثواه قضى شهيدًا كما يهوى فطوباه
وخلف الشرف الباقى لأمته وننشيه منذ بـاع الـلـه دنياه

وأذكر كتاب الإسلام وأصول الحكم والعاصفة التى أحدثها عندما كتبه وأصدره الشيخ على عبد الرازق وأذكر واحدًا من زملائنا كان يتردد على على عبد الرازق قال إن الشيخ على عبد الرازق برىء من هذا الكتاب وأن الذى كتبه هو طه حسين وهو فى الواقع زلة من زلات على عبد الرازق وإن كان قد أعانه عليه طه حسين.

أما الشيخ محمد أبو زهرة فلم يأخذ حقه من الذيوع فهو قد كتب فى السيرة وفى علم الاجتماع وفى الخطابة وهى المادة التى كان يدرسها لنا الشيخ أبو زهرة فى كلية

أصول الدين وقد آتاه بسطة فى العلم والجسم ومازلت أذكر أننا كنا نلتقى فى اجتماع شهرى عند المرحوم أحمد حمزة باشا وكان وزيرًا وفديًا وكان معى أنا والشيخ أبو زهرة الشيخ محمد الغزالى وكان دائمًا يقول الشيخ معوض ابنى البكر والشيخ الغزالى ابنى الثانى فكنت أقول له الشيخ الغزالى ولو كنت أكبره فى السن لكن له مستواه فى العلم وهو أفضل منى وكان دائمًا ما يشيد الغزالى بشعرى ويطلب منى أن أكتب فكنت أقول له لم تترك الدعوة لى مجالًا للشعر فأنا تستبينى الدعوة إلى الله عز وجل فأنا عليها مقيم وأنا عليها نازح وأنا عليها مصبح وأنا معها ممس.

رضا: سافرت إلى اليمن وقت الثورة اليمنية.. حدثنا عن هذه الرحلة؟

معوض: سافرت إلى اليمن فى ثورة اليمن ثورة السلال على جماعة حميد الدين وأذكر أن طلبنا الشيخ محمود شلتوت للسفر إلى هناك فأردت أن أعتذر فقال لى: إما تسافر اليمن أو تذهب للمعتقل وكان مجلسه يمتلئ بالعسكريين فوافقت فأنا لا أتحمل المعتقل فسافرت مع مجموعة من الزملاء فى قصر الضيافة فإذا بالسلال يوفد إلى أحد الشباب من قرية البيضاء جنوب اليمن وكان اسمه محمد الشيبة ويصطحبنى إلى هناك وكنت أتردد بين البيضاء وصنعاء وبين تعز وكانت اليمن مضطربة فالقتال كان محتدمًا بين أنصار السلال وبين آل حميد الدين وبين القوات المسلحة المصرية التى كانت تؤيد الثورة اليمنية.

وأنا لا أنسى موقفًا خرجنا فيه من البيضاء معنا الحاكم العسكرى العقيد محمد فقير والحاكم الإدارى وكان اسمه الرصاص لنزور قرية من قرى جنوب اليمن تسمى الضحاكى فخرج أهل هذه البلدة وكل منهم معه بندقيته وأطلقوا ثلاثين رصاصة فوق رأسى فقلت: ما هذا قالوا: هذا تكريم لك فقلت «الله لا يكرمكم.. أنتم أسقطتم روحى فى رجلى».

وقال السلال فى رسالة للرئيس جمال عبد الناصر: خير ما أهديته لنا بعثة الأزهر.

رضا: كان لفضيلتكم موقف مشهور مع الرئيس السادات وقت أن كان رئيسًا لمجلس النواب فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر دل على عزة وكرامة العالم الأزهرى؟

معوض: عندما دعيت مع مجموعة من العلماء لزيارة اليمن رفض السادات وكان

وقتها رئيسًا لمجلس النواب أن يركب معنا الطائرة لأنه يدخن البايب، ونحن ندرى ماذا كان به، ولذلك كنا نرفض ذلك، وفى مطار القاهرة عندما التقينا رفض أن يلقى علينا السلام.. بعض زملائى كانوا أكثر صبرًا منى وطلبوا أن نذهب للسلام عليه، فأقسمت بالله ألا أذهب للسلام عليه لأنه بدأ بالاستخفاف بنا، هو تكبر علينا لكننى اعتززت بالله وبالأزهر الذى قام بتربية رجاله فرفضت كرامة للعلم وللعلماء الذين قال الله فيهم:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾.

ثم جاء السادات بعد ذلك يسلم علينا وكاد أن يقبل يدى فقال لى زملائى: أنت أكرمتنا وفى نهاية حديثه معنا قال بتواضعه الجم:

ومن أنا.. أنا عبد الله الذى يسأل الله ألا يخدعنى ولايغرنى بما أثنى على غيرى فأنا دائمًا أقول.. اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ولا تفتنى بما يقولون واجعلنى خيرًا مما يظنون والخير أردت عليه توكلت وإليه المرجع والمآب.

وحتى تكون الصورة وافية محيطة بهذه الشخصية الفريدة التى عاصرت مراحل كثيرة من عمر مصر ومن عمر الأزهر وجدت أنه من المفيد بالنسبة للقارئ أن أضم فى هذه المساحة من لم أستطع أن أسأله لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم حتى لا أشق عليه خاصة وقد مكثت فى التسجيل معه أكثر من ثلاث ساعات تقريبًا..

ففى لقاء صحفى مع جريدة الوطن سئل هذه الأسئلة التى تحيط بما نريد أن يعرفه عنه قارئ هذا الكتاب كم عاصرت من مشايخ الأزهر؟

فقال: ١٧ شيخًا للأزهر، أبرزهم، المشايخ الظواهرى والمراغى وشلتوت وعبدالحليم محمود والخضر حسين وعبدالمجيد سليم، وأذكر أن فضيلة الشيخ الفحام شيخ الأزهر كان يريد منى أن أكون مديرًا لمكتبه، فاعتذرت لفضيلته نظرًا لتعاقدى للعمل بإحدى الدول العربية.

وما أبرز مؤلفات فضيلتكم؟

ـ مَنَّ الله علىَّ بكتابة بعض الكتب التى أرجو من الله عز وجل أن يتقبلها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، ومن مؤلفاتى: كتاب الإسلام والأسرة السعيدة وقبس

من الإسلام، والأخير أُعيد طبعه تحت عنوان، عناصر الإسلام وطرق هديه، وكذلك كتاب إنسانية العبادات فى الإسلام، الذى ستعيد مشيخة الأزهر الشريف طبعه مرة أخرى، وملامح من هذا الدين، ومع الإمام البخارى فى كتاب العلم من صحيحه، والرسول والرسالة فى شعر أبى طالب، وعنصر الهداية فى القرآن الكريم، وركائز المجتمع المسلم فى سورة الحجرات، الذى طُبع بالكويت ١٩٨٣، وأعيد طبعه مرة أخرى بالقاهرة وتم التلاعب فى هوامشه، حيث أضافت بعض دور النشر تعليقات لم أكتبها، ولا أدرى كيف تم هذا دون عودة للمؤلف، ومن أبرز مؤلفاتى أيضًا، كتاب ذلك الدين القيم، والأولاد ودائع الله عندنا، ومشاهد الوجود وشواهد التوحيد، ونفحات القرآن، والتقوى والمتقون فى القرآن الكريم، بالإضافة إلى ديوان من رحيق الإيمان، الذى لم يطبع بعد.

بروفايل

قرن من الزمان بأشخاصه ومواقفه وأحداثه وأيامه ولياليه بأفراحه وأحزانه سكن فى هذا العالم الأزهرى الكبير فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم الذى رأى مصر الملكية بدء من عباس حلمى إلى الملك فؤاد مرورًا بالملك فاروق، وقامت ثورة يوليو وهو يافع فى سن الشباب وعاش عصر عبد الناصر والسادات وبعده مبارك ورأى الشعب المصرى يحدث ثورة من أعظم الثورات فى الخامس والعشرين من يناير وكذلك رأى فشل الإخوان والإطاحة بهم من الشعب المصرى.. كل هذه الأحداث والمواقف عايشها وعاينها وفى كثير منها كان فاعلًا فيها بعلمه ومواقفه ودعوته إلى الله وبشاعريته التى كان يستحث فيها الكلمات لكى تخرج ما بداخله من مشاعر تجاه هذا الوطن وتجاه هذا الدين الذى تعلم أصوله فى رحاب الأزهر الشريف.

هذه الشخصية التى حظيت بالتكريم من الجميع لأنها قامت بدورها بإخلاص وتفان فى جميع مراحل الحياة من أول يوم جرى اللفظ القرآنى على لسانه وسكن قلبه ومشاعره من هذا اليوم اختار أن يكون خادمًا مطيعًا وعلم يقينًا أن فى هذا العز كل العز لذلك أصبح فى كل مرحلة من مراحل حياته مطلوبًا بذاته وبعلمه وإخلاصه وتفانيه لإنجاز المهام الثقيلة فجاب مصر كلها من المنصورة إلى أسوان ومن بور سعيد إلى الإسكندرية إلى دمياط هذا فى الداخل وأما فى الخارج فكان اختيار الشيخ محمود

شلتوت له لكى يسافر إلى اليمن وكانت هذه الدعابة الرقيقة من الشيخ شلتوت إما السفر وإما المعتقل وهناك فى اليمن أضاء شمعة مازال لنورها آثار باقية فى كلمة السلال الزعيم اليمنى عندما أرسل إلى عبد الناصر يقول له إن أثمن ما أرسلته لنا بعثة الأزهر التى كان على رأسها فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم.

ولقد كان هذا العالم الكبير صاحب مواهب جمة وكبيرة فهو له أسلوبه فى الدعوة إلى الله والذى استقاه من دراسته فى الأزهر بعيدًا عن التشدد والتطرف الذى هاجمنا من دول النفط وله فى هذا ردود قوية يدافع فيها عن وسطية الأزهر تجاه التنطع الذى ابتليت به الأمة لأهداف سياسية وهو مع هذا موضوعى فى معالجة المسائل عف اللسان يتسلح دائمًا بالتجرد فى الوصول إلى الحق لكن عندما يتعلق الأمر بمكانة العالم الأزهرى والمحافظة على كرامته فهنا لابد من موقف يحفظ لصاحب الحق حقه ويصون الكرامة أن تمس ولو كان شخصية كبيرة وهذا ما حدث مع السادات عندما كان رئيس مجلس النواب ولم يلق عليهم السلام فرفض أن يصافحة حتى جاء السادات وسلم عليهم جميعًا فى موقف يدل على ما يجب أن يكون عليه العالم الأزهرى من اعتزاز بكرامته لأنه يمثل مؤسسة عريقة من جهة ومن جهة أخرى حفاظًا على مكانته كعالم يعمل فى دعوة الناس وهدايتهم.

على مدى أربع ساعات قضيتها فى مكتبة هذا العالم الأزهرى الذى عاش على الأرض يبذر فيها بذور العلم والتقى مائة عام وستة كان فيها لبقًا يختار من اللغة أطايبها ومن المعانى أفنانها الدانية كان يذهب حديثه بعيدًا ثم يأتى إلى عالمنا كان يذكر العظماء من أبناء مصر كان يذكر العقاد الذى نشر أول قصيدة له ويذكر حافظ إبراهيم الذى رآه وعرفه ويذكر حفلة تنصيب شوقى أميرًا للشعراء وكيف كانت مصر بهية فى ثوبها الأنيق فى هذا الزمان ليذكرنا ونحن جميعًا حوله وتحت قدميه نسمع عن بلد نحبها ونرجو أن تعود كما كانت كبيرة عزيزة قوية.

وعند إذاعة حلقاته عبر موجات الإذاعة ـ إذاعة القرن الكريم ـ أحدثت أثرًا فى اتصالات المستمعين وفى التجاوب الكبير وبعد لقائنا معه بسنتين جاءنا خبر وفاته رحمه الله رحمة واسعة فأعدنا إذاعة حلقاته فأحدثت نفس الأثر بل أكثر لأنه فى هذه المرة كان قد غادرنا إلى جوار ربه فى عليين إن شاء الله.

العلامة الدكتور أحمد طه ريان

شيخ المالكية فى العالم

رجل يعيش فى القرن الحادى والعشرين بقلب وروح القرن الأول الهجرى

قصة اللقاء

كنت أسمعه كثيرًا فى الرد على الفتاوى فى بريد الإسلام الذى يذاع فى إذاعة القرآن الكريم وكانت الدكتورة هاجر سعد الدين تستضيفه دائمًا عندها فى برنامج «موسوعة الفقه الإسلامى» حيث جابت معه معظم أبواب الفقه الإسلامى بأسلوبه السهل المنضبط بأصول تحسها من خلال عرضه لباب من أبواب الفقه موضوع المناقشة..

إنه العلامة الكبير الأستاذ الدكتور «أحمد على طه ريان» هذه الشخصية التى كنت أسمعها ولم تتح لى فرصة الرؤية وبالتالى الكلام ولا الحديث ففكرت وسألت نفسى لماذا لا يكون هذا العلامة الكبير ضيفى فى برنامجى «سيرة ومسيرة» وبدأت أسأل عن الرجل فقيل لى إنه يذهب إلى جامع الأزهر يلقى محاضرات مفتوحة يوم الأحد من كل أسبوع فذهبت إلى جامع الأزهر فى هذا اليوم على الرغم من أن هذا اليوم كنت مشغولًا بشىء ما فتركت كل شىء وذهبت ولكن فى هذا اليوم بالذات اعتذر عن الحضور فسألت عن تليفونه الخاص فقبل لى إنه ليس له تليفون خاص ولا عام ومن يسجل معه كالدكتورة هاجر تتصل بابنه المستشار الذى يحدد هو الموعد بعد الاتفاق معه ورغم ذلك كان لدى شىء داخلى يقول لى إن هذا اللقاء سيتم وبعد حوالى ثمانية

أيام ويوم الاثنين تحديدا دخلت استديو الهواء فى إذاعة القرآن الكريم لكى أجهز نفسى لاستلام فترة المساء على الهواء التى تبدأ من الخامسة ففوجئت بالمهندس الفنى زميلى محمد لطفى ينادى علىَّ بصوت عال ونبراته مبتهجة ويقول: مفاجأة فسألته عنها فقال وأشار بيده تعال لترى فذهبت إليه فأخذ بيدى لاستديو التسجيلات الذى يجاور استديو الهواء وأنا كلى شوق لهذه المفاجأة التى أشار إليها فنظرت فرأيت من وراء زجاج الاستديو شيخًا مهيبًا بلحية بيضاء تزيده مهابة ووقارًا وجمالًا فسألت: من هذا الشيخ؟ فقال لى: الدكتور طه ريان وفى لحظات قليلة ذهبت إليه فى غرفة المذيع فى استديو التسجيلات حيث كان يجلس فبدأت بالسلام فرفع رأسه فى هدوء ورد السلام وما إن رأيت وجهه كاملًا أحسست بشعور البهجة والسرور لهذا الوجه الذى علته بسمة خفيفة ونظر نظرة متسائلة خاصة وأن من يقف أمامه لم يقابله ولم يره قبل ذلك ثم إن له ظروفًا خاصة ينطق بها شخصه الذى يقف أمامه، هنا تكلمت وقلت له إننى رضا عبد السلام كبير مذيعين فى إذاعة القرآن الكريم وأقدم برنامجًا نستضيف فيه الأعلام فى جميع المجالات كالفكر والعلم والفقه الذى بلغت فيه درجة الأستاذية بل أصبحت شيخ المالكية فى العالم كله وهذا البرنامج نعرض فيه تجربة حياة الضيف، بأطوارها المختلفة ونعرض الإنتاج العلمى والفكرى والقضايا التى تهم الضيف فلمحت فى عينيه اللتين لمعتا بالتعجب والانبهار والتساؤل وعبر عن كل هذا بعبارة «ما شاء الله» وأمسكت بالقلم بفمى وبدأت أكتب له الخطوط العريضة للبرنامج ـ التى سردت شيئًا منها هنا ـ هالته هذه الصورة وسألنى بعض الأسئلة التى أراد منها أن يتعرف على من يكون هذا الشخص الذى باغته بكل هذه المفاجآت فأجبته عن كل أسئلته وهنا قال أنا لم أسجل مع أحد قبل ذلك ولكنى سأسجل معك هذا البرنامج كما تريد واتفقنا على الموعد فى الأسبوع الذى تلى وجاء الموعد وبدأت التسجيل لهذه الحلقات مع هذا الرجل الذى وصفته بعد تسجيلى معه أنه رجل يعيش فى القرن الحادى والعشرين بقلب وروح القرن الأول الهجرى.

المقدمة التى قدمته بها فى البرنامج

ضيفنا علم من أعلام الأزهر الكبار وهو أحد أهم فقهاء الفقه المالكى على مستوى

العالم الإسلامى نهل من طفولته من الأزهر الشريف علمًا وفقهًا حتى أصبح من أهم المراجع الفقهية.. وجهه عندما تراه يشعرك بالراحة والاطمئنان.

أقوال فى الحوار

- مات جميع إخوتى وبقيت أنا فكان أبى يحملنى أكثر من خمسين كيلو مترًا على كتفه إلى سيدى عبد الرحيم القنائى للتبرك.
- كان الوالد ـ رحمه الله ـ يمشى على قدميه إلى القاهرة ويصل فى مدة خمسة عشر يوما لكى يؤمن لنا كفاية القوت الذى نأكله فى المدة التى ليس فيها زراعة.
- فعملت عاملًا فى ورشة بلاستيك ثمانية ساعات يوميًا وكان صاحب هذه الورشة حسن عبد الوهاب أخو فطين عبد الوهاب مخرج السينما.
- ومن الشخصيات التى قابلتها وعاملتها فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود وكان فى رأيى آية من آيات الله سبحانه وتعالى.
- يمكن عمل نظام جديد للتدريس يجمع بين الكتب التراثية القديمة والكتب الثقافية والعلمية بحيث يجمع طالب الأزهر بين الأصول بالكتب التراثية والمعاصرة بالكتب الثقافية والعلمية.
- طلب الدكتور عبد الحليم محمود من شيوخ المذاهب فى هذا الوقت أن يعدوا تقنينًا للشريعة الإسلامية حسب جميع المذاهب بحيث يكون جاهزًا للعرض فى مجلس الشعب.
- تخصصى فى كلية الشريعة والقانون التى عشت فيها أغلب عمرى هو الفقه المقارن لكن خارج الكلية أنا عاشق للفقه المالكى.
- الإمام مالك ـ رحمه الله ـ كان كبير العلم وكبير العقل وتلميذه يحيى بن يحيى الخراسانى بعد أن انتهى من تحصيل العلم ظل سنة كاملة يكتب فى أخلاق الإمام مالك.
- بدء العمل فى الموسوعة ١٩٦٠ من القرن الماضى وكانت تسمى موسوعة عبد الناصر للفقه الإسلامى.

ـ من وجهة نظرى النظام الإسلامى هو أكثر النظم ملاءمة لكل العصور فى كل المجالات وخاصة المعاملات المالية.

ـ التصوف عندى التزام بالذكر لله عز وجل وهذا يجعلك فى وقاية دائمة وحماية دائمة.

ـ التوسل عندى جائز مادام فى حدود كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

رضا: الميلاد عام ١٩٣٩ فى الغربى قمولة مركز الأقصر بقنا.. كيف كانت النشأة وماهى صورة القرية المصرية فى الصعيد فى هذا الوقت؟

د. ريان: القرية كانت اسمها قرية الغربى قمولة وأنا ولدت فى هذه القرية ١٩٣٩ والمولى سبحانه وتعالى أكرمنى بعناية الوالد رحمه الله بى لأنه قد رزق قبلى بأولاد وماتوا جميعًا لذلك فقد كان شديد الرغبة فى ولد يعيش له فكان يحملنى من القرية إلى قنا عند سيدى عبد الرحيم القنائى يتوسل به أن يعيش هذا الولد ولايموت كما مات إخوته والغريب أن المسافة بين قنا وقريتنا أكثر من خمسين كيلو ومع ذلك كان يحملنى وهو يمشى على قدميه كل هذه المسافة والغريب أيضًا أن والدتى تمشى خلفه أملًا فى أن يعيش هذا الولد ولم تكن هناك مواصلات فى هذا الوقت وأذكر كان يمشى بجوارنا كلب اسمه «سامبو» حتى مكان السفينة التى ستنقلنا إلى البر الآخر ويتركنا ويعود ونذهب نحن فى رحلتنا إلى سيدى عبد الرحيم القنائى حيث مولده فنبقى هناك لمدة يومين أو ثلاثة ثم نرجع وكانت هذه عادتنا السنوية حتى كبرت وأنا أراه يفعل هذا وأذكر بعد أن بلغت خمس سنوات أخذ والدى جمعًا كبيرًا من الناس من أهل القرية على السفينة وأقام لهم ما يشبه العقيقة حمدًا لله على أن أبقانى حيا وأقام هذه العقيقة فى ساحة سيدى عبد الرحيم القنائى.

وكان والدى هذا له صفات طيبة جدًّا فعلى الرغم من إنه كان أميا ورعًا إلا إنه كان على درجة من الوعى ودرجة من الطيبة وكان واصلًا لرحمه وأهل قرابته فكل هذه الصفات الطيبة تجدها فى هذا الرجل لتنم عن الفطرة السليمة وأنا الآن أريد أن أقلد الوالد فى بعض الأمور لا أستطيع بنفس الصورة التى كان يؤديها رحمه الله.

كان ـ رحمه الله ـ عنده ورع ودليلى فى هذا قصة حدثت معه وهى أن القصب

موجود فى الصعيد فى كل مكان وفى يوم حصاد هذا القصب كل البيوت يكون فيها القصب لكن بيتنا بالذات لا يسمح والدى بدخول كعب قصب واحد لأن أصحاب هذا القصب لا يعلمون بأمر هذا القصب الذى يأخذه الناس على سبيل أن الموسم موسم حصاد فكان يتورع عن هذا خوفًا من الله وكان دائمًا يقول إن صاحب القصب لا يعلم بهذا الأمر على الرغم من شيوع هذا فى القرية كلها.

وقصة أخرى تدل على هذا الورع أنه كان عندنا أحد الجيران أقام حفلًا كبيرًا وكان هذا الرجل عمله فيه شبهة من حرام وأنا كنت عازمًا ألا أتناول أى شىء من هذا الطعام ولكن بعد أن أُعدت مائدة الطعام الفاخرة جلس أمامى هذا الرجل فأمسكت الملعقة وظللت أطرق بها على الطبق أمامى وكأننى آكل من الأكل الذى أمامى وحتى أرضى الرجل أكلت ملعقتين فقط وإذا بالوالد يأتينى فى المنام فى هذه الليلة يلومنى لومًا شديدًا ويمد يده يريد أن يضربنى وكنت وقتها أستاذًا فى الجامعة فهذا الصلاح وهذا الورع لهذا الرجل صاحبنى حتى بعد موته وهو معى دائمًا فإذا كان هناك موقف فى حياتى لا أستطيع أن أقطع فيه برأى أجده يأتينى فى رؤيا فى منامى فأذكر أننى قد جاءتنى إعارة إلى الإمارات وكان الأولاد صغارًا وكنت حائرًا فرأيته فى المنام غاضبًا ويعطينى ظهره ففهمت من ذلك أن الأولاد فى هذه السن تحتاج إلى رعاية فلم أسافر وهكذا فى كثير من الأمور أراه فى منامى رحمه الله.

أما القرية وهى قرية الغربى قمولة كانت قرية بسيطة يقسمها طريق الإسكندرية أسوان وكان بيتنا على هذا الطريق وكان فصل الصيف لازراعة فيه لأن رى الحياض كان لا يسمح بوجود زراعة فى فصل الصيف فكان الوالد رحمه الله يمشى على قدميه إلى القاهرة ويصل فى مدة خمسة عشر يومًا لكى يؤمن لنا كفاية القوت الذى نأكله فى المدة التى ليس فيها زراعة، وكما ترى كانت الحياة صعبة لكن كان هناك رضا وإيمان فكانت هذه الأمور رغم صعوبتها مقبولة والفضل لله ثم لهذا الوالد العظيم رحمه الله.

وأذكر قصة تدل على بركة هذا الرجل عندما تزوجت أنا وأصبح عمره ثلاثة وسبعين عامًا.

قال لى: أريد أن أتزوج.

قلت: من؟

قال: بنت خالك.

قلت: إنها صغيرة وأنت عمرك فوق السبعين.

قال: خالك وافق على الزواج وهى موافقة.

فسألت خالى فوجدته قد وافق على هذا الزواج خاصة وأننى كنت متزوجًا من ابنة خالى الكبرى فأصبحت أنا وأبى «عدايل» كما يقول أهل الريف العجيب أن الله قد أكرمه وعاش مع هذه البنت ثلاثين عامًا كاملة وكانت صحته شديدة وأنجب منها خمسة من الأولاد هؤلاء الأولاد الخمسة ضممتهم إلى أولادى وعاملتهم كما أعامل أولادى تمامًا فمنهم من حصل على كلية الصيدلة ومنهم من حصل على كلية الشريعة وأصبحوا رجالًا بفضل بركة هذا الرجل الطيب ومازالوا إلى الآن تحت عينى وفى رعايتى دائمًا.

رضا: من معلوماتنا التى جمعناها أنك دائمًا تقول حفظى للقرآن كان آية من آيات الله.. كيف؟

د. ريان: عندما ذهبت لأحفظ القرآن وجدت الشيخ الذى يحفظ القرآن يضرب أحد الأطفال الذين يحفظون عنده ضربًا شديدًا فأصابنى خوف شديد وقلت لأبى لن أذهب إليه مرة أخرى فقال تعال معى لتساعدنى فى الزرع فذهبت فعلًا معه ولكن ظل يسأل عمن يحفظنى القرآن فذهبت إلى أحد المحفظين فحفظت إلى سورة الشورى ثم توقفت فجأة فظل هذا الرجل معى ـ رحمه الله ـ على الرغم من أنه قد أخذنى معه مرة أخرى للفلاحة والزراعة إلى أن جاء يوم ودعا الله لى فإذا بالأبواب تفتح من الله سبحانه وتعالى وفى خلال سنة واحدة أحفظ القرآن الكريم كاملًا على يد أحد المحفظين بحيث إننى أحيانًا كنت أحفظ فى اليوم الواحد ربعين أو أكثر وهذه آية من آيات الإخلاص لهذا الرجل والدى رحمه الله.

رضا: حفظت القرآن فى هذه السن الصغيرة وفتحت أمامكم أبواب التعليم الأزهرى.. كيف كانت هذه الفترة من حياتكم؟

د. ريان: كان هناك معهد فى مدينة قنا هذا المعهد لم أدخله ولكن أراد الله لى الخير عندما ذهبت مع أحد زملائى إلى معهد براسفور فى سوهاج وكان هذا المعهد يبعد عنا أكثر من مائة وخمسين كيلو مترًا ومع ذلك فقد كان لهذا المعهد الشيخ الذى كان يقوم عليه هذا الشيخ كان يدرس لنا كل المواد فقد كان موسوعة سواء فى العلوم الشرعية أم فى الرياضيات والعلوم وكان يأتى فى نهاية اليوم وقد خارت قواه من التعب طوال النهار وهذا الشيخ هو الذى أقام هذا المعهد وكان له بيت بجوار المعهد سمح لنا بالسكن فيه لأنه أراد أن يسكن فى مدينة سوهاج، فلما رأى حالتنا بهذا الشكل ولا سكن لنا فأعطانا البيت لنسكن فيه فكان هذا الرجل مثالًا لاتجده فى دنيا البشر من الإخلاص والتجرد وكان اسمه جمال الدين بدر لذلك فقد أكرمه الله بأن أصبح أولاده الأربعة أساتذة فى الجامعة ومازلت على صلة بأولاده هؤلاء إلى الآن وعشت أربع سنوات فى هذا المعهد الأزهرى حتى تخرجت

أما بالنسبة للتعليم فكان الأزهر يُدرس على النظام القديم فدرسنا فى النحو تنقيح الأزهرية ثم قطر الندى وشذور الذهب فى السنة الرابعة، وهذه المناهج فى النحو على مدى أربع سنوات تجعل من الطالب عالمًا فى النحو وكذلك فى باقى المواد وأذكر أن المدرسين فى هذا الوقت ـ وكنا نسميهم شيوخًا ـ كان الواحد منهم ينتهى من اليوم الدراسى ثم يذهب ليستريح ساعتين ثم يذهب إلى بيوت الطلاب المغتربين الساكنين حول المعهد لكى يتأكد من أنهم يؤدون عملهم فى المذاكرة وكان يعرض عليهم المساعدة ويسألهم هل يحتاجون إلى شىء للتوضيح فيما درسه لهم وعندما يأتى الليل من أراد أن يأتى إلى المسجد للمذاكرة فليأت ثم نجتمع المدرسون والطلاب ليلة الجمعة لكى نتلو المسبعات فى مدح النبى ﷺ على الطريقة الخلوتية ويجلس الجميع لكى يذكروا الله سبحانه وتعالى فى جو إيمانى يفيض بالروحانية وحصلت على الإعدادية الأزهرية عام ١٩٥١ والثانوية حصلت عليها عام ١٩٦١.

رضا: أتيت إلى القاهرة لكى تواصل رحلة التعليم.. احك لنا عن هذه الفترة من حياتك؟ ولماذا اخترت كلية الشريعة والقانون خاصة؟

د. ريان: عندما أتيت إلى القاهرة لطلب العلم كان لا وسيلة لى إلا بالعمل لأن والدى زوجتى وأنا فى المعهد الثانوى فى السنة الثالثة وأصبح لدى ولد وأنا فى السنة

الخامسة فى المعهد فعندما أتيت إلى القاهرة تركت زوجتى وابنى مع والدى وأتيت لأواصل تعليمى فكان لابد من عمل بجوار الدراسة حتى أنفق على نفسى وتعليمى فكنت أطرق على أبواب الشركات والمحلات لأسأل عن عمل فعملت عاملًا فى ورشة بلاستيك ثمانى ساعات يوميًا وكان صاحب هذه الورشة حسن عبد الوهاب أخو فطين عبد الوهاب مخرج السينما، وكان يُعرف عنه أنه رجل طيب لكن قالوا لى لو عرف إنك طالب سيفصلك وكنت حريصًا ألا يعلم أننى طالب ولكن وصله بعد فترة أننى طالب وأدرس فى الأزهر فأخذنى وقال لى لماذا لم تخبرنى؟ فقلت حرصى على العمل لظروفى كطالب وأنت لا تسمح بعمل الطلاب عندك فسألنى عن طبيعة الدراسة فشرحت له أننا نذهب للدراسة فى النهار وأننى لا أحضر المحاضرات وأكتفى بما أعرفه من زملائى وأكتفى بالمذاكرة فقط فإذا به يجعل العمل ورديتين وردية من الثامنة حتى الرابعة والوردية الثانية من الرابعة حتى الثانية عشرة وأكون أنا ممن يعملون فى الوردية الثانية دائمًا لطبيعة دراستى، وأضاف أن مصاريفى فى الكلية كاملة وجميع ما أحتاجه على نفقته الخاصة وهذه لا أنساها لهذا الرجل الطيب ـ رحمه الله ـ وتعلمت منه أشياء كثيرة من أهمها الانضباط فى المواعيد لذلك كل من يعرفنى يعلم كيف أننى قبل الموعد المتفق عليه أكون موجودًا وجاهزًا للعمل هذا تعلمته من هذا الرجل ولعل هذه القيم التى رأيتها متمثلة فيه من تعامله مع الأجانب فى ذلك الوقت أقول هذا ونحن أولى بهذه القيم التى نادى بها وأرسى لها القواعد ديننا الحنيف.

أما دخولى كلية الشريعة والقانون فلم يكن لى اختيار فيه وهذه أيضًا لها قصة كنت فى المعهد الثانوى على مدى أربع سنوات أحصل على المركز الأول وجئت فى السنة الخامسة وكانت مفاجأة حيث حصلت على ملحق فى مادة الإنشاء فلم يصدق من حولى هذه الكارثة ولكنه تقدير الله سبحانه وتعالى فدخلت الملحق ونجحت ولكن لم أقبل فى اللغة العربية التى كنت أريد أن أدرس بها وحزنت وقتها حزنًا شديدًا ولم أجد أمامى إلا كلية الشريعة والقانون فدخلتها والحمد لله تفوقت فيها وأتاحت لى الإقامة فى القاهرة أن أواصل دراستى فى الماجستير والدكتوراه على عكس زملائى الذين دخلوا كلية اللغة العربية والذين عملوا مدرسين للغة العربية خارج القاهرة مما

حال بينهم وبين الدراسات العليا فكان اختيار الله لى هو الأفضل حيث أصبحت على أبواب الجامعة بعد الماجستير والدكتوراه وأخذت من واقعة ملحق الإنشاء الذى كنا نظن أنه كارثة وشر إذا به يكون طريقًا آخر للنجاح والفلاح، وأذكر عندما عينت معيدًا فى الكلية أخذت عهدًا على نقسى بالالتزام والإخلاص والتجرد ومن الوقائع التى لا أنساها أننا كمعيدين كان لزامًا علينا أن نجلس مع الطلاب فى مادة قاعات البحث لمدة اثنتى عشرة ساعة فكان زملائى من المعيدين يجمعون جميع الطلاب فى مكان واحد ويجلسون معهم ساعة واحدة وبهذا ينهون هذه المادة على الرغم من أن عليهم أن يجلسوا فى قاعة البحث مع كل مجموعة على حدة وهذا ما فعلته بحيث حضرت الاثنتى عشرة ساعة مع كل مجموعة على حدة حتى إننى كنت أجد زملائى يجادلوننى فذهبت إلى لجنة الفتوى بالأزهر لأسألهم تحت ضغط منهم أيامها فضحك الشيخ الذى كنت أسأله وقال نحن الذين نسألكم يا أساتذة الشريعة وأفتى بما كنت أقوم به الخلاصة أننى كنت من أول يوم عملت فيه بالتدريس فى الجامعة وهذه طريقتى فى معاملة طلابى أن أعطيهم بإخلاص وتجرد وأن أتقى الله فيهم.

رضا: كلية الشريعة والقانون من الكليات العريقة فى جامعة الأزهر ذلك أن الطالب فيها يتميز على طالب الحقوق فى التعليم العام بأن طالب الشريعة والقانون يدرس الشريعة مقارنة بالقانون الوضعى.. كيف رأيت هذا وأنتم قد أصبحتم أستاذًا كبيرًا فى هذه الكلية؟

د. ريان: دخلت كلية الشريعة عام ١٩٦١ وهذه السنة قد صدر فيها قانون الأزهر الجديد الذى أضاف القانون مع الشريعة فأصبح مطلوبًا من الطالب بداية من هذه السنة أن يدرس الشريعة والقانون معًا وأنا طبق علىَّ وعلى زملائى هذا القانون لذلك فإننى قد استفدت من دراستى القانون مع الشريعة الإسلامية وفى المقارنات بين الشريعة والقانون، ومن أهم ما يأخذه الدارس فى هذه الكلية أنه يدرس القانون الوضعى بمصادره دراسة جيدة وأيضًا يدرس الشريعة دراسة جيدة وبهذا يجمع بين الحسنيين فى دراسة الشريعة والقانون ولكن فى الواقع كان لابد أن تقنن القوانين فى مصر حسب الشريعة الإسلامية وكانت هناك محاولات فى هذا الخصوص، وأنا ممن درسوا فى الدراسات العليا على يد الأستاذ الدكتور صوفى أبو طالب رحمه

الله الذى كان رئيس مجلس الشعب المصرى وأستاذًا كبيرًا فى كلية الحقوق جامعة القاهرة وكان له كتاب مهم فى هذا الموضوع اسمه «تطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد العربية».

وأذكر عندما ذهبت للتدريس فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة طلبوا منى أن أدرس مادة الاقتصاد الإسلامى وكنت قد درستها كمادة من المواد التى كنت أدرسها لكن لم أكن متخصصًا فيها فقلت كيف وهى ليست تخصصى!! فقالوا لى عبارة تدل على مدى إكبار هؤلاء للأزهر قالوا أولست أزهريًا؟! هنا قلت لهم أمهلونى فترة حتى قرأت كل ما يتعلق بالموضوع وجمعت كل الكتب التى تناولت موضوع الاقتصاد الإسلامى من مكتبات مكة المكرمة حتى أستطيع تدريسه والشاهد أن الأزهر والأزهريين لهم مكانة كبيرة فى العالم كله فكيف يكون بلد الأزهر وليس فيه تقنين للشريعة الإسلامية.

رضا: يتعرض التعليم الأزهرى الآن لهجمات بين الحين والآخر.. ما رأيك فى التعليم الأزهرى وما رأيك فى الانتقادات التى تنطلق بين الحين والآخر؟

د. ريان: هذه المناهج هى التى درسناها فى الأزهر وتعلمنا منها وهى التى يتعلم منها العالم الإسلامى كله فلا تجد جامعة من الجامعات التى تُعلم العلم الدينى أو الفكر الإسلامى إلا وتجد للأزهر الدور الأكبر فى تعليم من يدرسون هذه المناهج فى ماليزيا وإندونيسيا وفى باكستان بل فى البلاد الأوروبية وأمريكا فى المراكز الإسلامية فى هذه البلاد ومن يهاجم التعليم الأزهرى ليس له الحق فى ذلك لأن التعليم الأزهرى له طبيعة خاصة فى المناهج التى تدرس فمعظمها كتب تراثية نعم يجب أن تراجع ويجب أن تعد إعدادًا جيدًا فما انتهى العمل به يشار إليه كالرق وأحكام الرق فهى تدرس على أنها فترة زمنية كانت بأحكام معينة وأن هذا الزمان الذى نعيش فيه له فقهه الذى يناسبه واجتهاداته التى تناسبه إذًا فيجب أن تُدرس الكتب القديمة بهذا المفهوم ولكنى لست مع تقليص مواد الدراسة ولا مع تقليص عدد السنوات كما حدث ولكن يجب أن يدرس الأزهر هذه المناهج التى صنعت وصاغت العقول الكبيرة التى أنتجها الأزهر عبر تاريخه الطويل ولكن مع منتصف التسعينات من القرن الماضى أصاب الأزهر ما أصابه وذلك أنه قد استحدثت أشياء

جعلت التعليم الأزهرى بهذا الشكل الذى هو عليه الآن بحيث أنك لو سألت الخريج من الأزهر سؤالًا فى شىء درسه قد لايجيبك لأنه لم يؤسس تأسيسًا صحيحًا فكيف لطالب يدرس كل هذه المواد الكثيرة فى ثلاث سنوات فقط بعد أن كانت خمسًا ثم أصبحت أربعًا ثم هى الآن ثلاثًا فكيف يستطيع أن يستوعب مواد الخمس سنوات فى ثلاث، لذلك فقد عرضت على الشيخ أحمد الطيب الرجوع إلى النظام القديم وهذا أبديته أمامه ـ حفظه الله ـ لكنه قال المدرسين الذين تخرجوا فى هذه الفترة التى كان فيها الشيخ سيد طنطاوى شيخًا للأزهر ودرسوا بالنظام الجديد لايستطيعون تدريس هذه المناهج لأنهم لم يدرسونها فاتفقنا معه على تدريب المدرسين على مدى سنتين على التدريس بهذه الكتب وبعدها يمكن عمل نظام جديد للتدريس يجمع بين الكتب التراثية القديمة والكتب الثقافية والعلمية بحيث يجمع طالب الأزهر بين الأصول بالكتب التراثية والمعاصرة بالكتب الثقافية والعلمية.

رضا: حصلت على الماجستير والدكتوراه ثم أصبحت تدرس فى كلية الشريعة والقانون حتى عينت عميدًا لكلية الشريعة والقانون فرع أسيوط.. كيف كانت هذه الفترة من حياتك؟

د. ريان: بعد أن حصلت على كلية الشريعة والقانون وعينت معيدًا بالكلية كان النظام المعمول به وقتها أن الماجستير يحصل عليها من يجتاز سنتين دراسيتين فيما يريد أن يتخصص فيه، وهذا ما حدث درست فى الشريعة الإسلامية عمومًا وحصلت على درجة الماجستير التى تؤهلنى لتسجيل الدكتوراه ولم أضيع وقتًا وسجلت الدكتوراه فى عقد الوكالة فى الشريعة الإسلامية وكنت أريد أن أضم لها القانون للمقارنة بينهما فلم يسمح لى وانتهيت من الدراسة وحصلت على الدكتوراه وكان الاختيار لهذا الموضوع الوكالة فى الشريعة الإسلامية لأهميته الكبيرة فى المعاملات بين الناس فهو الوسيط تقريبًا فى معظم المعاملات سواء فى المحاكم والبيوع وفى الأحوال الشخصية فى الزواج والطلاق وغيرها من المعاملات، وكانت لهذه الرسالة أثر كبير فى حياتى العلمية حيث تعرفت من خلالها على كثير من الكتب والأساتذة وحصلت فيها على درجة الامتياز والحمد لله ثم عينت مدرسًا فى كلية الشريعة والقانون وبعد عدة سنوات أصبحت أستاذًا مساعدًا فأستاذًا ثم استدعانى الشيخ

الطيب النجار وكان رئيسًا لجامعة الأزهر وكان ذلك عام ١٩٨٢ وأخبرنى أنه يريد أن يرسلنى عميدا لكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر فرع أسيوط فاعتذرت له لزهدى فى أى منصب إدارى ورجوته أن يقبل اعتذارى فأصر على رأيه فوافقت تحت إصراره لكن بشرط أن تكون سنة واحدة فقط وأرجع بعدها أستاذًا فى الكلية فوافقنى الرجل وكان الشيخ الطيب ـ رحمه الله ـ اسمًا على مسمى كان طيبًا جدًّا رحمه الله، وذهبت إلى أسيوط وأذكر أننى اجتمعت مع أعضاء هيئة التدريس وكان الرأى أنهم يريدون التدريس من الكتب التى كتبوها وليس من الكتب التراثية فوافقتهم على ما يريدون لكنى قلت لهم أما أنا فلن أدرس من الكتب الجديدة ولكن سأدرس من الكتب القديمة مع الشرح والتوضيح والمناقشة وتمت هذه السنة بسلام وكانت خبرة طيبة بالنسبة لى على رغم أننى لم أفكر فيها مطلقًا ولكن هى أقدار الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه.

ومن الشخصيات التى قابلتها وعاملتها فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود وكان فى رأيى آية من آيات الله سبحانه وتعالى وكان له مكاشفات رحمه الله تعالى وكان له مواقف أذكر منها أن الدولة فرضت على الأئمة والوعاظ خمسين قرشًا على كارنية الأوقاف فاستغل صلته بالرئيس السادات وكان الرئيس السادات يحبه ويقدره فطلب منه أن تدفع وزارة الخزانة هذه الأموال تخفيفًا على المشايخ فوافق السادات على طلبه وكانت صلته بالرئيس السادات سياسة حكيمة منه رحمه الله ذلك لأن السادات عندما أصدر دستور ١٩٧١ وكانت المادة الثانية منه «الإسلام دين الدولة واللغة العربية هى لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى للتشريع» وكان السادات يقربه منه وكان يذهب معه فى استراحة القناطر الخيرية فى هذا الوقت طلب الدكتور عبد الحليم محمود من شيوخ المذاهب فى هذا الوقت أن يعدوا تقنينًا للشريعة الإسلامية حسب جميع المذاهب بحيث يكون جاهزًا للعرض وبالفعل بعد أن كتُبت وقُننت ورُوجعت أخذها الرجل إلى مجلس الشعب وقتها ولكن للأسف مازالت حبيسة الأدراج إلى الآن.

رضا: سافرت معارًا للتدريس فى ثلاث جامعات (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الأحقاف).... كيف كانت هذه

الفترة من حياتك؟ وهل التعليم فى هذه الجامعات مختلف فى المنهج والوسائل عن التعليم الأزهرى؟

د. ريان: ذهبت أولًا إلى الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة وكان معى أربعة زملاء من كلية الشريعة والقانون طُلبوا للتدريس فى كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية ثم طلبنى رئيس الجامعة وأخبرنى أن الجامعة اكتفت بالأربعة فى كلية الشريعة وأننى سوف أدرس مادة الحديث وهذه مسألة قدرية وكان فيها الخير كله، لأننى عندما بدأت التدريس وجدت الطلبة قد درسوا الحديث وعندهم فكرة جيدة جدًّا بعلم الحديث فانتبهت وذهبت إلى مكتبات المدينة المنورة ومعى كل ما معى من أموال حصلت عليها من الجامعة فجمعت كل الكتب التى تتناول علم الحديث ودرستها دراسة جيدة حتى أصبحت عالمًا بكل ما يتعلق بهذا العلم فكان قدر الله لى فيه الخير كل الخير بحيث أضافت لى هذه السنة ما لم أكن أحصل عليه لو درّست الفقه كزملائى الأربعة الذين عينوا فى كلية الشريعة، وأصبحت هذه المرحلة من أهم المراحل فى حياتى بحيث أصبحت مكتبة الحديث فى بيتى أكبر من مكتبة الفقه وهو تخصصى وجميع الرسائل التى تأتينى للمناقشة فى الفقه لابد أن تراجع حديثيًا بمعنى أن يُنظر فيها إلى الأحاديث التى استند إليه الباحث فى الاستدلال والاستنباط. وأذكر أننى كنت أدرس كتاب «نيل الأوطار» للشوكانى فكنت ـ بعد أن تكونت عندى هذه الحصيلة ـ أضيف من عندى إضافات كثيرة من تعمقى مما درسته فى علم الحديث، وأذكر هنا واقعة طريفة عندما ذهبت وكيلًا لكلية الإمام مالك للشريعة والقانون فى دبى قيل لى وقتها أن محدث الإمارات يريد أن يراك ويلتقى بك فقلت مرحبًا فلما دخل الرجل علىَّ عرفته هذا عبد البارى فتح الله تلميذى فى الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة الذى أخذ على يدى علم الحديث وكان من الهند وأيضًا من الكويت عندما ذهبت لزيارة الموسوعة الفقهية الكويتية فوجدت أن مدير هذه الموسوعة بدرى البدرى الذى كان تلميذى فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وذلك نتيجة العمل والجهد.

رضا: ما دمنا قد تحدثنا عن الحديث وما دمنا قد عرفنا مدى علمك فى هذا الفرع من العلوم الإسلامية وهو علوم الحديث فما رأيك فيمن يَرُد بعض أحاديث البخارى

وهذا حدث مع بعض العلماء من المسلمين كحديث فقأ سيدنا موسى عين ملك الموت؟

د. ريان: أتاح لى الدرس الذى ألقيه فى ساحة الجامع الأزهر عن فقه الإمام البخارى أن أرد على هذا الكلام فالرجل لم يكن فقط محدثًا بل كان فقيهًا أيضًا وهذا واضح فى كتاب الصحيح وهذه الأحاديث التى تتكلم عنها لا تتجاوز ستة أحاديث التى أخذت على البخارى مما جمعه وهو سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثًا والخالص من ذلك بلا تكرار ألفان وستمائة حديث وهذا الرجل فى علم الرجال فقط أى فيمن رووا هذه الأحاديث له ثلاثة كتب فالصحيح كتاب واحد لكن رواة هذه الأحاديث جمعهم جميعًا فى ثلاثة كتب هى التاريخ الكبير وهو ثمانية مجلدات والتاريخ الأوسط والتاريخ الصغير إذا هذا الرجل يجب بعد كل هذا ألا تكون عليه شائبة لكن بعدما فرغ من كتابه الصحيح أعطى الكتاب للإمام أحمد بن حنبل والإمام على بن المدينى وابن مهدى وهؤلاء العلماء كانوا هم أشهر علماء الحديث فى هذا الوقت وراجعوه ووافقوه فى هذا الكتاب بعد مراجعة دقيقة ولو كان فيه شائبة لعلقوا عليها ولكن هذا لم يحدث.

رضا: لكنه بشر فى النهاية يجرى عليه الصواب والخطأ؟

د. ريان: نعم لكن عندما يعرضه على أكبر علماء عصره بعد الجهد الذى بذله سواء فى علم الرجال أو سواء فى متون الأحاديث وتدقيقها وسواء فى فقه هذه الأحاديث ينبغى من وجهة نظرى بعد كل هذا ألا يعترض عليه وألا يهاجم ممن يجهل ما فعله هذا الرجل رضى الله عنه.

رضا: بوصف فضيلتك أحد أكبر شيوخ الفقه المالكى فى العالم الإسلامى.. كيف وصلت إلى هذه المكانة خاصة وأن هذا الفقه معروف أنه معمول به فى دول المغرب العربى؟ ونريد أن تعطينا لمحة تاريخية عن بداية الفقة المالكى وأهم شيوخه بعد الإمام مالك رحمه الله؟

د. ريان: لا يعرف كثير من الناس أن تخصصى فى كلية الشريعة والقانون التى عشت فيها أغلب عمرى هو الفقه المقارن يعنى عرض آراء جميع المذاهب ثم

ندلل لكل مذهب أى نأتى له بالدليل ثم ترجيح المذهب الذى نراه قويًا فى المسألة المعروضة لكن خارج الكلية أنا عاشق للفقه المالكى ولذلك دروسى فى الفقه المالكى مستمرة فى مسجد سيدى أبى بكر الدردير لمدة أكثر من عشرين عامًا وحتى الآن، وبصفة عامة الصعيد كله لا يعرف إلا الفقه المالكى سوى فى الفترة الأخيرة محافظات أسيوط المنيا وبنى سويف الفقه الحنفى، وذلك لأن التعيين فى منصب القضاء كان وقتها لابد أن يكون المعين دارسًا للفقه الحنفى لكن عمومًا الصعيد كله الفقه المالكى وهذه فيها لمحة تاريخية لأن العثمانيين عندما دخلوا مصر وظلوا فيها حوالى خمسمائة عام جعلوا التعيين فى منصب القضاء لابد أن يكون المتقدم له دارسًا للمذهب الحنفى لكن كما قلت الصعيد معظمه على الفقه المالكى وأذكر أن أستاذًا كبيرًا أصبح عميدًا لكلية الشريعة والقانون بعد ذلك كان اسمه «شوكت العدوى» والعدوى لقب لبنى عدى وهم موئل المذهب المالكى فلما وجدته على المذهب الحنفى عجبت كيف وأنتم مالكيون فقال إن أبى حولنى إلى المذهب الحنفى أملًا فى منصب القضاء وقتها والمذهب المالكى أقرب إلى العوام وهذا تفسير انتشاره فى الصعيد لأن نسبة التعليم قليلة جدًّا وهو سهل بالنسبة لهم.

وفى الحقيقة فى الفقه المالكى هناك أمور استفدت بها فى حياتى لأن الإمام مالك كبير العلم وكبير العقل كان يأتيه الطلاب من خراسان ومن الأندلس ومن كل الدنيا ومع هذا كان ابنه يلعب بالحمام فكان يحزن ويعبر عن حزنه بقوله إنما الأدب أدب الله إنما يعزينى فى هذا أن أحدًا لم يرث أباه فى هذا الشأن إلا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق هو الذى جلس مجلس أبيه فى العلم.

وهناك مشروع بدأته دولة الإمارات العربية المتحدة فى دبى فى بيان الأدلة من الفقه المالكى من الكتاب والسنة فى جميع المسائل وهذا المشروع قيد البحث والدراسة والتدقيق الآن هنا فى مصر لأن الفقه المالكى لا يحتاج إلى دليل ولذلك كانت سهولته أما هذا المشروع فهو يشمل كل المسائل وعليها الدليل من الفقه المالكى وهذه التجربة تُنفذ لأول مرة فى تاريخ الفقه المالكى وهى تجربة رائدة فى هذا المجال.

أما عن تاريخ الفقه المالكى فكان الطلاب كما قلت يأتونه فى المدينة المنورة

من جميع أنحاء العالم وكان من أهم هؤلاء من مصر عبد الرحمن بن القاسم وظل ملازمًا له حوالى عشرين عامًا وهنا قصة طريفة أن عبد الرحمن بن القاسم ترك زوجته وابنه فى مصر وكان مولودًا لتوه وسافر بعد أن خيرها بأن يعطيها حقوقها ويطلقها أو تبقى على ذمته فاختارت أن تبقى على ذمته وأثناء وجود عبد الرحمن بن القاسم فى مجلس الإمام مالك دخل شاب ملثم وقال: من منكم عبد الرحمن بن القاسم فيقول عبد الرحمن بن القاسم فشممت منه رائحة الولد فإذا به ابنى الذى تركته فى بطن أمه منذ عشرين عامًا فعبد الرحمن بن القاسم هو خليفة الإمام مالك فى المذهب فجميع من أراد أن يكمل فقه الإمام مالك بعد وفاته أكملوه على يد عبد الرحمن بن القاسم المصرى والمدونة الكبرى وهى أم المذهب المالكى لها ثلاثة رجال الإمام مالك «على الرأس» ثم عبد الرحمن بن القاسم ثم سحنون بن سعيد وهذا رجل قيروانى من تونس تعلم على عبد الرحمن بن القاسم.

رضا: لكم كتاب بعنوان «إمام الحديث والفقه مالك بن أنس» ولكم كتاب عن «فقهاء المذهب المالكى بعد الإمام مالك»؟

د. ريان: الإمام مالك كان يلقب بأمير المؤمنين فى الحديث ولو اطلعت على كتاب الصحيح للإمام البخارى ما من باب من أبواب صحيحة إلا يبدأ بحديث من أحاديث الإمام مالك فى الموطأ لأن الكل يعتبر بإمامة مالك فى الحديث وجميع المحدثين أخذوا من الإمام مالك وأحاديثه بعضها ليست متصلة أو موقوفة لكن عند رجال الحديث هى مقبولة ما دام قد رواها الإمام مالك وأنا تأثرت كثيرًا فى حياتى الشخصية بشخصية الإمام مالك لأنه كان واسع الأفق لدرجة أن واحدًا من تلاميذه وهو يحيى بن يحيى الخراسانى بعد أن انتهى من تحصيل العلم من الإمام مالك ظل سنة كاملة يكتب فى أخلاق الإمام مالك لأن هذه الأخلاق إنما تلقاها عن الصحابة والتابعين.

أما الكتاب الثانى وهو فقهاء المذهب المالكى بعد الإمام مالك فهذا الكتاب ليس لحصر فقهاء المذهب المالكى لأن فقهاء المذهب المالكى آلاف كثيرة لكن جمعت فى هذا الكتاب مجموعة من الفقهاء تميزوا بها عن غيرهم وهؤلاء العجيب أن أكثرهم من الأندلس ومن شمال أفريقية من مصر وقلة من العراق وقلة من خراسان

بعكس الشافعية وعكس الحنفية والقلة من العراق لأن الإمام أبا حنيفة كان موجودًا فى العراق قبل الإمام مالك.

رضا: هناك ملاحظة يلاحظها من يدقق فى الخريطة الفقهية إذا صح القول فى العالم الإسلامى أن دول الشمال دائمًا تأخذ بفقه الإمام مالك.. لماذا؟

د. ريان: لأننى كما قلت التلاميذ الأول للإمام مالك كانوا من الشمال وهذه البقعة الكبيرة شديدة الحب والتعلق بشخصية الرسول ﷺ حتى تجد أن أغلب الزيارات تكون من هذه الدول لذلك كان التقاؤهم بالإمام مالك والأخذ عنه لأنه أقرب إلى رسول الله وهذا تفسيرى لانتشار فقه الإمام مالك فى الشمال للعالم الإسلامى لذلك عبد الله بن وهب بن مسلم المالكى المصرى المولود فى الفسطاط ١٢٥ هجرية كان يأتى كل عام للحج على مدى أربع وعشرين سنة ثم يأخذ العلم على الإمام مالك ثم يرجع إلى بلده.

رضا: لكم كتاب بعنوان «كيف تهدم معالم الإسلام؟» وهو رد على كتاب الأستاذ حسين أحمد أمين «الاجتهاد حق أم واجب».. ماذا أردتم أن تقولوا فى هذا الكتاب خاصة أن الاجتهاد موضوع دائمًا ما يثار من له حق الاجتهاد؟ وحدود هذا الاجتهاد؟ إلخ.

د. ريان: فى رأيى أن هناك من يريد أن يهدم قواعد الإسلام ولكنهم لا يريدون أن يظهروا بهذا المظهر يعنى تجدهم يبدأون بداية صحيحة بمعنى أنهم يقولون إنهم يريدون أن تعم قيم الإسلام ويريدون تطبيق الشريعة وخلافه ثم يبدأون فى الهدم فالأستاذ أحمد أمين بدأ فى كتابه هذا بأنه من حقنا جميعًا أن تطبق علينا شريعة الإسلام ثم تحدث عن العقيدة وقال إنه يجب أن تكون العقيدة لا نأخذها من علماء مسلمين فقط بل من رأيه لابد أن نأخذها من علماء نصارى ويهود وبهائيين وغيرهم فرددت عليه فى هذا وقلت كيف يأخذ المسلم عقيدته من غير مسلم ثم لما تحدث عن الاجتهاد تحدث عن أوروبا وكيف أن أوروبا تحررت من سلطان الكنيسة وانطلقت بعد ذلك وأراد أن يسقط ذلك على الوضع عندنا وأنا رجعت لهذه الفترة فى تاريخ أوروبا وقرأتها جيدًا لذلك فهمت أن الرجل فى الكتاب يريد أن يقول أن الاجتهاد

للجميع دون شروط حتى نكون كأوروبا والأمر مختلف تمامًا فالاجتهاد عندنا له شروط لابد أن تتوفر فى المجتهد حتى تكون له هذه الملكة التى يستطيع من خلالها التعرض لهذا الشأن.

رضا: هناك كتاب من كتب حضرتك تعتبره كما قلت من أهم كتبك وهو كتاب فتنة المال وفى هذا الكتاب تعرضت رغم صغر حجم الكتاب لمسائل محل خلاف كبير بين العلماء.. فلماذا هذا الكتاب من أهم كتبك؟ وماهى أهم المسائل فى هذا الكتاب؟

د. ريان: نعم هذا الكتاب هو من أهم كتبى وأعتبره مما أكرمنى الله به لأن كثيرًا من الآراء التى تسمعها ويسمعها الناس فى وسائل الإعلام المختلفة ظاهرها من الدين ولكن باطنها يبعد الناس عن الدين فمثلًا هل من الدين أن يقال إن صاحب المال المدخر لا يطالب إلا بعشرة فى المائة من الأرباح كزكاة؟ وهل من الدين أن فوائد البنوك ليست من الربا؟ وهذه المسائل رددت عليها فى الكتاب من خلال كلام المفتين السابقين وليس من كلامى أنا فجمعت من سبعة عشر مجلدًا من الفتاوى لهؤلاء المشايخ فى هذه المسائل وعرضت هذه الفتاوى جميعًا حتى لا يقال إن هذا كلامى هو كلام هؤلاء الأعلام الكبار.

رضا: لكن هذه المعاملات المالية لم تكن موجودة بهذا الشكل عند السابقين وتحتاج إلى اجتهاد جديد يناسب هذا العصر بسرعة التطور الذى عليه هذا العصر فى المعاملات المالية؟

د. ريان: هذا الكلام ليس له أصل لأن البنك يأخذ منك القرض ويعطيك مثلًا سبعة فى المائة ويعطيه لغيرك بنسبة عشرين فى المائة مثلًا ويأخذ هو هذا الفرق الكبير وهذا هو النظام المعمول به فى البنوك وهذا هو الربا وإن كان يقال لها الفائدة.

رضا: فى ظل عمل العالم كله بهذا النظام فى الأموال كيف لنا أن نتعامل ماليا مع العالم الذى يتعامل بنظام البنوك والمصارف؟

د. ريان: من وجهة نظرى النظام الإسلامى هو أكثر النظم ملاءمة لكل العصور فى أى من معاملاتنا المالية وأحكى لك حكاية كنت فى أمريكا ورأيت فيها بنوكا إسلامية

ناجحة وتربح أرباحًا كبيرة لدرجة أن بعض البنوك الأخرى فتحت فروعًا إسلامية لهذه البنوك على الرغم أنها أمريكية فى الأصل ولما اطلعنا على قواعد العمل فى هذه البنوك وجدناها متفقة تمامًا مع القواعد الإسلامية تمامًا بينما البنوك الإسلامية التى أصحابها مسلمون غير ملتزمة بهذه القواعد لأن النظام الإسلامى يعطيك نظام المضاربة وهى أن تعطى المال وفى نهاية المدة المتفق عليها تعمل ميزانية والمكسب تقسمه بينك وبين صاحب المال وهذا هو الربح الحلال أما إذا كان المال مضمونًا بمعنى أنه فى كل الأحوال ثابت فهذا ليس مضاربة فالمضاربة تحتمل المكسب والخسارة وبالتالى فهذه معاملة مالية خارج القواعد الإسلامية.

إتماما للفائدة للقارئ نعرض الرأى الآخر فى الموضوع لعالم كبير من علماء الأزهر ومن هيئة كبار العلماء بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية وأستاذ الفقه فى جامعة الأزهر الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العدوى حيث قال فى هذا الموضوع:

«كثير من الناس تكون لديهم مدخرات لا يحتاجون إليها وليست لديهم الخبرة لاستثمار هذه المدخرات أو تمنعهم مكانتهم فى المجتمع ووجاهتهم عند الناس أن يباشروا بأنفسهم عملا من أعمال التجارة أو الصناعة لاستثمار هذه الأموال فيه.

وأشار إلى أنهم مع ذلك يخشون ان تمتد الى هذه الأموال يد بالسرقة أو الإنفاق غير الرشيد أو غير ذلك من المهلكات، وهم لذلك فى أشد الحاجة لاستثمار هذه الأموال لدى جهة مأمونة لا يخشى ضياعها أو ادعاؤها أن المال إصابته جائرة أهلكته. إزاء عدم الخبرة أو عدم الاستطاعة والخوف على ضياع الأموال فإن الحاجة ماسة إلى استثمار المدخرات لدى هيئة مأمونة لا يخشى معها ما يخشاه صاحب المال فى المعاملة مع الأفراد، ومن هنا كانت البنوك التجارية أو المسماة بالبنوك الاسلامية ضرورة من ضرورات استثمار الأفراد لأموالهم.

وقال: إنها من ضرورات تنمية المجتمع وإقامة المشروعات الكبيرة التى يحتاج إليها والتى يعمل بها عدد كبير يتعيش من هذا العمل وينفق منه على من هم تحت ولايته ومسؤوليته». ويضيف: لقد صار استثمار الأموال فى البنوك من المصالح الضرورية فليس من الحكمة أو المعقول تعطيل هذه المصالح وتضييعها على أصحاب الأموال وعلى المجتمع وضرورة التنمية فيه وتشغيل أفراد مما يعود عليهم

وعلى أسرهم بالنفع والخير. وأشار إلى أنه بعد أن كثرت تساؤلات الناس عن حكم استثمار أموالهم فى البنوك التى تحدد الربح مقدما وهل هذا النوع من التعامل حلال أم حرام عرضت هذه التساؤلات على مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر منذ أكثر من ثلاثة أعوام وبعد مناقشات الأعضاء ودراستهم قرر المجمع الموافقة على أن استثمار الأموال فى البنوك التى تحدد الربح مقدما حلال شرعا ولا بأس به».

رضا: حضرتك كنت ممن شاركوا فى موسوعة الفقه الإسلامى التابعة لوزارة الأوقاف التى حوت مسائل الفقه جميعًا تقريبًا وهو عمل جبار.. حدثنا عن هذه الموسوعة وعن دورك فى هذه الموسوعة؟

د. ريان: هذه الموسوعة كانت نتاج التعاون بين فقهاء مصر وسوريا أثناء الوحدة بين مصر وسوريا أيام عبد الناصر وبدء العمل فيها ١٩٦٠ من القرن الماضى وكانت تسمى موسوعة عبد الناصر للفقه الإسلامى وبعد الانفصال تركوا لنا الموسوعة وأنا ترأست الموسوعة منذ عشرين عامًا وحتى الآن والموسوعة توسع فى الأخذ من جميع المذاهب حتى من الفقه الشيعى فنحن نعتمد فى الموسوعة ثمانية مذاهب المذاهب الأربعة المعروفة الحنبلى والحنفى والمالكى والشافعى ثم المذهب الزيدى والمذهب الإمامى والمذهب الإباضى والمذهب الظاهرى وهذا يبين أن الأزهر مفتوح على كل المذاهب.

رضا: لكم كتاب أقرب إلى التاريخ النوعى بمعنى أنكم تحدثتم فيه عن شيوخ الأزهر ومواقفهم ورأيكم فى هؤلاء الشيوخ وهو كتاب «التذكير بجهاد قادة المؤسسة الأزهرية المباركة فى كيفية الحفاظ عليه عزيزة وتمكينها من أداء رسالتها» هذا هو العنوان رغم طوله إلا أنه يعبر عما بداخل الكتاب واسمح لى أن أبدأ بثلاثة أبيات من الشعر كتبتهم حضرتك على الغلاف وهذه الأبيات لشعيب بن الحسن الأندلسى التلمسانى الصوفى.

تحيا بكُم كل أرض تنزلونَ بها ... كـأنَّـكُـم بـقـاع الأرض أمطار
وتشتهى العين فيكُم منظرًا حسنًا ... كأنَّكُم فى عيون الناس أزهـارُ
ونورُكُم يهتدى السارى لرؤيتهِ ... كأنّكُم فى ظـلام الليل أقمارُ
لا أوحشَ اللَه ربعا من زيارتكُم ... يا من لهم فى الحشا والقلب تذكارُ

ونتحدث فى هذا الكتاب عن أشياء كثيرة جدًّا وتحدثت عن شيوخ الأزهر منهم الشيخ مصطفى عبد الرازق وماذا قلت فيه؟ ولك كلام فى الشيخ على عبد الرازق صاحب كتاب الإسلام وأصول الحكم وأنه لم يكن هو صاحب هذا الكتاب؟

د. ريان: جمعتنى الظروف مع الشيخ مسلم رئيس لجنة الفتوى فى الأزهر حكى لى وقال فى وقته ذهبت إلى المنيا وعندما حان وقت الصلاة لصلاة ما دخل إلى مسجد من المساجد فوجدت رجلًا يتحنث ويعبد الله ويصلى لله وهو فى غاية الخشوع فظللت منتظرًا حتى انتهى.

وسألته: من أنت؟

قال: أنا على عبد الرازق.

قلت: أنت على عبد الرازق صاحب كتاب «الإسلام وأصول الحكم».

قال: هذا الكتاب كتبه طه حسين ولصداقتى معه كتب اسمى على هذا الكتاب فلما عُرض هذا الكتاب على الأزهر لم أستطع أن أنسحب من أجل صديقى وتحملت ما قيل فى هذا الكتاب منسوبًا إلىَّ وتحملت الفصل من القضاء لكن يعلم الله أننى لم أكتب هذا الكتاب.

أما الشيخ مصطفى عبد الرازق فكان يدرس الفلسفة الإسلامية فى جامعة القاهرة بزيه الأزهرى وكان قريبًا من الهيئة الحاكمة فلما أرادوا تعيينه كشيخ للأزهر اضطروا وقتها لتغيير القانون ـ قانون هيئة كبار العلماء ـ حتى يستطيعوا تعيينه كشيخ للأزهر وقضى فيها سنتين وتوفى رحمه الله.

رضا: تحدثت فى الكتاب عن فضيلة الشيخ محمود شلتوت وأبديت تحفظًا على موضوع التقريب بين المذاهب الذى كان يدعو إليه الشيخ شلتوت رحمه الله.. فما رأيك؟

د. ريان: كنا نتمنى أن يكون هناك تقارب بين المذاهب ولكن هناك جانبًا صعبًا جدًّا وهو جانب العقيدة فى مذهب الشيعة الإمامية لكن الفقه عند الشيعة الإمامية قريب جدًّا من فقه أهل السنة وهناك خلافات يسيرة جدًّا بين الاثنين ولكنهم يختلفون عنا فى العقيدة فهم لايعترفون بخلافة أبى بكر وعمر ويعتبرون أن سيدنا علىَّ هو

الخليفة بعد رسول الله ويستندون لذلك بنصوص معينة وأن هناك أثنى عشر إمامًا هؤلاء هم أئمة المسلمين بعد رسول الله ﷺ وهم يعتبرون أنه لا يكون مسلمًا إلا من اعتقد فى الأئمة لذلك فإن هذه النقطة تجعلنا بعيدين عن منهج التقارب الذى نادى به الإمام محمود شلتوت رحمه الله.

رضا: فى قضية التيسير فى الفتاوى هناك من انتقدته من العلماء وكان هذا الانتقاد مشمولًا بشكل من الاحترام لهذا العالم بل إنكم قد ذكرتم فى الكتاب «يتزعم أحد الأحباب وهو شيخ فى هذه المؤسسة المباركة أن يحل لكل مسلم أن يختار الرأى الذى يراه مناسبًا له».. وهذا درس لأدب الخلاف لكن ماذا تريد أن تقول فى هذا الخلاف؟

د. ريان: التيسير ليس معناه أن أفرد لمن يسأل عن الفتوى كل الآراء ثم يختار هو الرأى الذى يراه إنما يجب أن أفرد رأى كل مذهب وأرجح المذهب الذى أراه راجحًا فى موضوع الفتوى لأننى أقدم مع كل مذهب الدليل الذى يستند إليه ثم يختار المفتى الرأى الأقوى دليلًا بمعنى إذا كانت مسألة من المسائل قال فيها مذهب من المذاهب بجميع علمائه برأى معين فهذا رأى المذهب كله وأُفتى وقتها برأى هذا المذهب فى هذه المسألة أما إذا كان الإجماع لم يتعقد واختلف فى المسألة فأنظر فى فقهاء المذهب وليس لأن فقيهًا واحدًا فى مذهب معين قال شيئًا أترك المذهب كله لرأى هذا الفقيه هذا لا يصح.

رضا: تعرضتم فى هذا الكتاب للحكمة التى يجب أن يتحلى بها الداعية المسلم وكان هذا إشارة لمن سب فنانة من الفنانات وحكمت عليه المحكمة بالسجن بتهمة السب والقذف؟

د. ريان: هذا الموضوع أثير عندما تعرض أحد الدعاة لممثلة وقال فيها كلامًا غير طيب ولا يليق وأثيرت هذه القضية وحكم عليه بالسجن فهذا الشخص لم ينتهج نهج الحكمة لأننى إذا رأيت خطأ أقول إن هناك خطأ وهذا الخطأ لا يصح لكذا وكذا ولا أذكر أحدًا لأن هذا يعد تشهيرًا.

رضا: مابين الفترة والأخرى تظهر دعاوى تطالب بإلغاء المذاهب وجمع الناس على رأى واحد فما رأيكم فى هذا؟

د. ريان: إخواننا المتشددون أو ما يسمون بالسلفيين أو السنيون ينادون بهذا وهذا المنهج لا يمكن تطبيقه الآن ولا فى أى عصر من العصور فسيدنا مالك كتب الموطأ وأراد هارون الرشيد أن يضعه فى الكعبة ويجمع الناس كل الناس عليه ويصبح هذا الكتاب هو مصدر الأحكام الوحيد فى الدولة الإسلامية كلها فقال لا تفعل يا أمير المؤمنين لأن أصحاب رسول الله قد نزلوا فى الأمصار وتعلم عليهم ناس كثيرون وأصبح لكل عالم فهمه ومنهجه فدع الناس وما علموا من أصحاب رسول الله ﷺ إذا فالقواعد الأساسية واحدة ولكن الفهم مختلف وبالتالى يكون فى هذا سعة للناس حسب العصر والمصر.

رضا: فى النهاية من يجلس مع حضرتك يستشعر هذا الصفاء النفسى الذى تتمتع به ويرى فيك صوفية واضحة من خلال كلامك ومن خلال بعض العبارات التى تشرق بإشراقات السادة الصوفية.. فما حكايتك مع الصوفية؟

د. ريان: حكايتى مع الصوفية لم تكن اختيارًا لأنك تعلم الصعيد الذى نشأت فيه لم يكن هناك انتشار للتعليم وكان الناس على الفطرة وكان يأتينا رجل طيب اسمه «محمد الطيب» وكان قد أخذ الطريقة الخلوتية من القاهرة ثم عاد وكان يبدأ فى الذكر من بعد صلاة العشاء حتى منتصف الليل نذكر الله سبحانه وتعالى بالصلوات المنظومة والذكر ونشأت على هذا وكان عمرى ست سنوات وظللت على هذا حتى الثانوى وحكيت قبل ذلك أن صاحب المدرسة الثانوية كان يفعل نفس هذا الشىء وأخذت العهد عن الشيخ محمد الطيب وأصبحت ملتزمًا بهذه الطريقة طوال حياتى ومنذ ذلك الحين وهذا ما أراحنى كثيرًا، والتصوف عندى التزام بالذكر لله عز وجل وهذا يجعلك فى وقاية دائمة وحماية دائمة وهذا ما لمسته فى حياتى وأصبحت مستريحًا نفسيًا وروحيًا بهذا، والتصوف الحقيقى أبدًا لا يكون منافيًا للأخلاق ولا للسلوك القويم أبدًا ومن يخرج عن هذا الخلق والسلوك القويم لا يكون متصوفًا.

أما بعض السلوكيات والصور المرفوضة فهذه تجدها فى كل المجتمعات وكل الفرق فهناك صور شاذة لا تتفق مع التصوف الصحيح.

رضا: هناك مسائل خلافية بين المتصوفة وغيرهم كمسألة التوسل بحيث يبدو فيها الطرفان متشددين المؤيد والمعارض كمسألة التوسل.. فما رأيكم؟

د. ريان: التوسل عندى جائز ما دام فى حدود كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بمعنى أننى عندما أعلم أن سيدنا عمر بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام أتى بسيدنا العباس وقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك ﷺ فإنا نتوسل إليك بعم نبيك ﷺ إذا التوسل موجود لكن دون التوسع فيه ودون أن نقدمه على الأدعية الصحيحة والقراءات الصحيحة

رضا: عبارات قليلة تختم بها هذا اللقاء..

د. ريان: اللهم اشرح صدرى وصدور المؤمنين.

اللهم أنر قلبى وقلوب المؤمنين.

وأصلح حالى وحال بلاد المسلمين.

بروفايل

الأمن والسكينة والرضا يسكنون فى وجهه وكل من يطالع وجهه تتطالعه هذه الصفات خفيض الصوت هامسه مبتسم دائمًا ابتسامة خفيفة ترسل لمن يتحدث إليه برسالة صافية من الود كلامه فيما يتكلم فيه واف لا يزيد ولا ينقص.

كان كريمًا معى كرمًا وجدته أولًا حينما كنت أدخل عليه فكان يتهلل وجهه وفى دعائه لى ولأولادى وفى تبسطه معى عندما كنا نتحدث بعيدًا عن التسجيل وفى حكاياته التى تحدث فيها عن أبيه ذلك الرجل الفقير الذى كان عميق الإيمان شديد التعلق بربه ولعله قد ورث منه هذا التفويض لله والتعلق بأهداب رحمته سبحانه.

لحيته البيضاء ووجهه الذى يشع منه النور نور السكينة ونفسه المطمئنة وروحه الجميلة إضافة إلى تبحره فى علوم الفقه والشريعة جعلنى أقول إننى أجلس مع رجل يعيش فى القرن الحادى والعشرين بقلب وعقل وروح القرن الأول الهجرى، وكأنه عاصر الصحابة والتابعين وذلك من أخلاقه الطيبة التى تشع بنورها وجمالها على كل من يتعامل معه وهذا السهل اللين تجده قويًا شديدًا صارمًا فى المسائل التى أراد البعض أن يجافى فيها ما استقر عليه الإجماع من المسائل الفقهية، لكن مع شدته تلك يصحب معه أدب العلماء الأتقياء وها هو فى خلافه الواضح والصريح مع

الدكتور سعد الدين الهلالى يعطيه حقه عند التعريف به عندما وصفه بالعالم الكبير وسبق ذلك بوصف الأخ الكريم على الرغم من الخلاف فى كثير مما أفتى به الدكتور سعد الهلالى وكذلك فى خلافه فى قضية البنوك حيث له فيها رأى مختلف لكنه قال هذا رأيى مدعمًا بما عندى من أدلة ولا أستطيع أن ألزم أحدًا لكن يبقى أننى بحثت وانتهيت إلى نتائج وهذه هى نتائجى ببساطة شديدة.

لكن تبقى نقطة واحدة وجدتها فى حياته أنه يكاد يعيش وحده وهو فى هذه السن الكبيرة فلا تستطيع أن تتواصل معه فليس فى بيته هاتف ولا يحمل تليفون محمول ويحب العزلة والانقطاع، فسألته كيف والعالم الكبير الذى وصل إلى درجة الفقيه المجتهد المالك لأدواته العلمية والفقهية مثلك يكون منعزلًا عن الناس فقال إنه يؤدى ما عليه بمحاضرتين واحدة فى الرواق الأزهرى فى أحد أيام الأسبوع والثانية فى أحد المساجد وهو مسجد قنصوه الغورى فى الدراسة وحوله تلامذته ومريدوه أما غير ذلك فيريد أن يخلو بنفسه ومن أراد أن يتواصل معه يتصل بابنه الذى يكون همزة الوصل بينه وبين مريديه وأتباعه.

فضيلة الشيخ
عبد الحكيم عبد اللطيف شيخ مقارئ مصر

عندما يسكن القرآن وأخلاقه فى قلب ووجدان رجل

قصة اللقاء

البداية مع هذا العالم القرآنى والمعلم فى علوم القراءات والخبير فى كيفية النطق والتعبير الصحيح للقرآن الكريم كانت فى دبى حيث كنت مبعوثًا من إذاعة القرآن الكريم لتغطية هذه المسابقة وإرسال رسالة صوتية يوميًا، وفضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف كان هو أحد المحكمين فى هذه المسابقة وكان المصرى الوحيد الممثل فى تحكيم هذه الجائزة فتعرفت عليه وقتها وكنت أذهب إلى غرفته بفندق سفير فى مدينة دبى حيث كنا نقيم وأعرف رأيه فى المتسابقين الذين كانوا من شتى دول العالم وأرسل ذلك فى رسائلى الصوتية للإذاعة وانتهت المسابقة ولكن تركت معرفتى بشخص هذا العالم الفاضل أثرًا لا يمحى من تواضعه الجم ولينه الذى كان يظهر فى تعامله مع كل الناس حتى عندما كان يخطئ أحد المتسابقين الشباب فكان رده لطيفًا خاصة وأن المتسابقين والمتبارين فى نهاية الصبا وأول الشباب، وعُدنا وكنت أراه بعدها مع الزميل عماد الدين عبد الخالق يسجل برنامج «إقرؤوا القرآن» فأهرول إليه لألقى عليه السلام فيرد كعادته بتواضعه الجم ولما فتحت باب هذا البرنامج «سيرة ومسيرة» لكى يذهب إليه الأعلام فى جميع المجالات كان هذا العلم فى مجال القراءات القرآنية هو ممن فكرت فى استضافتهم لكى يتعرف مستمعونا على حياته وعلى علمه فى هذا العلم الذى يتوق إلى معرفته كل مسلم لكى يعرف كيفية عبادة ربه بالقراءة الصحيحة لكتابه الكريم ولا يتحقق هذا إلا بأمثال هذا العالم الكبير فكلمت

الزميل الأستاذ عماد الدين عبد الخالق أن يحدثه عن الرغبة فى استضافته فى البرنامج وظللت حوالى سنتين وأنا أنتظر وهو يخشى أن يكون كلامه عن نفسه سمعة أو رياء ولما كدت أن أيأس من موافقته دلنى الأستاذ عماد على ابنه الأستاذ أحمد وأعطانى رقم هاتفه وطرقت باب الهاتف لابنه الأستاذ أحمد فرد على بأدب تعلمه من والده واتضح ذلك من طريقة كلامه وكأنك تستمع إلى الشيخ عبد الحكيم يتحدث واقتنع ابنه بوجهة نظرى تلك التى تريد أن تقدم صورة لرجل يقرأ القرآن بلسانه وجنانه وقلبه ويعيش خلقًا وأدبًا بالقرآن هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى من أين حصل على هذا العلم الشريف علم القراءات وممن أخذه وكيف حافظ عليه ومن تلاميذه، ثم نتعرض بعد ذلك لكونه شيخ مقارئ مصر وكيف وصل إلى هذه المنزلة وتاريخ هذه المشيخة فأعطانى ابنه وعدًا أن يقنعه وبعد بضعة أيام هاتفنى الأستاذ أحمد وحدد لى موعدًا مع والده الذى يسكن فى منطقة المقطم وذهبت مع أحد الأصدقاء ومعى معلوماتى التى جمعتها عن هذا الشيخ العالم الوقور وظللنا نبحث على العنوان حتى وقفنا أمام باب بيته فى الدور الثالث لعمارة يسكنها وفتح الباب لنجده أمامنا بتواضعه الجم وشكله الذى تبدو عليه علامات الرضا والقبول وكلمات الترحيب التى تبدو فى غاية البساطة، ودخلنا إلى صالة على شمال الداخل فيها جلسة مريحة من الأنتريه وعلى اليمين منضدة طويلة وكراسى سفرة عالية والبيت تغشاه حالة هدوء وسكون مريح أظنها من راحة وهدوء ووداعة صاحب البيت. وبدأت الحديث معه بتذكيره بمسابقة دبى التى مر عليها أكثر من خمسة عشر عامًا ثم شرحت له فكرة البرنامج وكيف سنتناول الموضوعات فى حوارنا معه ففتحت جهاز التسجيل وانتقلنا إلى المنضدة المستطيلة وبدأت الحوار مع هذا العلم القرآنى والعالم الربانى.

كلمات فى الحوار

- كان الكُتّاب مختلط لكن البنات فى جهة والأولاد فى جهة أخرى فى نفس المكان.
- وكنا نحفظ دعاء طويل بعد ختم أسماء الله الحسنى من شيخنا ـ رحمه الله ـ واحد لا من قلة، موجود لا من قلة، موجود لا من علة، وهكذا حتى نهاية الدعاء الذى حفظته منذ نعومة أظافرى حتى وقتنا الحاضر ولله الحمد والمنة.

ـ كانت العالمية تساوى دكتوراهات الآن.

ـ فى المدينة المنورة كنت إذا قرأت القرآن وحينما أبدأ القراءة يقولون اسمع المصرى.

ـ الإمام ابن عامر الدمشقى، كان يصلى إمامًا بأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ خامس الخلفاء، وكان إمام دمشق.

رضا: ضيفنا وقف نفسه وحياته لخدمة القرآن الكريم وهو أحد سدنة كتاب الله فى العالم كله، وهو قطب كبير فى علم القراءات ضيفنا هو فضيلة العلامة الشيخ المقرئ عبدالحكيم عبداللطيف عبدالله، شيخ مقارئ عموم مصر، ولد بمنطقة الدمرداش بالقاهرة عام ١٩٣٦م وحفظ القرآن الكريم فى سن ١٢ سنة ثم التحق بالدراسة بالجامع الأزهر عام ١٩٥٠م، ومن شيوخه الشيخ محمود على بسة، وكذلك قرأ على الشيخ عامر عثمان، وعلى مجموعة من العلماء..

رضا: نبدأ من حيث النشأة، ما المؤثرات التى أثرت فى نشأة فضيلتكم خصوصًا أن الميلاد كان عام ١٩٣٦ أى قبل ثورة يولية حيث كان الاحتلال البريطانى؟

الشيخ عبدالحكيم: نحمد الله سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، أولًا العبد الفقير خادم القرآن وأهل القرآن، نشأت فى منطقة العباسية أمام مسجد أبى عبدالله شمس الدين المحمدى بالدمرداش، كنت قريبًا جدًّا من قسم الوايلى فى السكن، والدى جاء بنا من الصعيد من الطويرات ـ محافظة قنا (مقدرش أتخلى عن صعيديتى) (مازحًا).

تزوج أبى وأمى فى هذه المنطقة إلى أن بلغت سن الرابعة من عمرى فأرسلنى لمكتب القرآن الكريم بالمنطقة بجوار المسجد بدأت حفظ القرآن، والطريقة التى حفظت بها القرآن أتمنى أن ترجع مرة أخرى لهذا العهد، كنا نحفظ ألف باء، قبل قراءة الفاتحة، كان الشيوخ بالكتاتيب يقرأوننا الفاتحة ثم الناس، ثم الفلق، لأننا كنا صغارًا فى السن، نمشى هكذا حتى نختم القرآن، كان شيخى الأستاذ الإمام عبده حلاوة، وأخوه الشيخ عبدالله عبده حلاوة، وقبل أن نقرأ على الشيخ القرآن علمنا حروف الهجاء، ألف باء إلى الياء، عرفنا أن الألف لا شىء عليها والباء نقطة من

تحتها والتاء نقطتين من أعلاه وهكذا حتى حفظنا الحروف، وكانت توجد لدى الشيخ فلكة لمد المقصر والخيزرانة والجلدة، ومن لم يقرأ هذه الحروف من أولها لآخرها بنقاطها يتم مده على رجليه، بعد حفظ الحروف لآخرها كانت توجد سبورة يكتب عليها بالطباشير، رسم خطًا طويلًا خدوا بالكم يا أولادى، فكان الكُتّاب مختلط لكن البنات فى جهة والأولاد فى جهة أخرى فى نفس المكان، فكتب رأس عين صغيرة اسمها الهمزة، نقرأ وراءه همزة، وبعدها خط مستطيل فتحة كسرة، ضمة، سكون، فتحتين، كسرتين، ضمتين، شدة أى رأس شين، مد.

لأن القرآن الكريم ملىء بتلك الحركات يجب حفظها حفظًا جيدًا، وقد أخذ شيخنا من شيخ بالأزهر اسمه حسن الجريسى بعدما أتم تجويده بمنطقة المحمدى، أبوه الجريسى الكبير وماشى السند لآخره.

وبعد ذلك كتب لنا كلمات من حرفين أب، أم، عم، وهكذا، وكان لابد لنا من كتابة هذه الكلمات على اللوح المخصص لذلك وقراءاتها، وبعدها كلمات مكونة من ثلاثة أحرف، وكلمات مكونة من أربعة أحرف وهكذا، وبعد ذلك نقوم فى اليوم التالى بتسميع تلك الكلمات على سيدنا الشيخ واللى مش حافظ يمد على رجليه، ثم نقوم بعد ذلك بقراءة ألف باء بالهجاء والحركة حتى نتمكن من إتقان نطق جميع الحروف بحركاتها بالتهجى جيدًا مثل أ إى أء ب بى بو أب تا تى تو أوت وهكذا إلى نهاية الحروف.

وقبل كل ذلك علمنا الشيخ ـ رحمه الله ـ بحق الله تعالى من التوحيد الصافى لله، وصفات الله جل جلاله، وأسماء الله الحسنى نحفظها حفظًا متقنًا بداية من الواحد الأحد لنهاية الرشيد، وكنا نحفظ دعاءً طويلًا بعد ختم أسماء الله الحسنى من شيخنا ـ رحمه الله ـ من هذا الدعاء:

«الذى تقدست عن الأسماء ذاته واحد وتنزهت عن مشابهة الأمثال صفاته واحد لا من قلة، ووجود لا من علة بالبر معهود وبالإحسان موصوف معروف بلا غاية موصوف بلا نهاية أول بلا ابتدا آخر بلا انتها لا ينسب إليه البنون ولا تفنيه تداول الأوقات ولا توهنه السنون كل المخلوقات قهر عظمته أمره بالكاف والنون بذكره

أنس المخلصون هدى أهل طاعته إلى الصراط المستقيم وأباح أهل محبته جنات نعيم وعلم عدد أنفاس مخلوقاته بعلمه القديم ويرى حركات أرجل النمل فى جنح الليل البهيم يسبحه الطائر فى وكره ويمجده الوحش فى قفره محيط بعمل العبد سره وجهره وكفيل للمؤمنين بتأييده ونصره ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره أحاط بكل شىء علمًا وغفر ذنوب المذنبين كرمًا وحلمًا ليس كمثله شىء وهو السميع البصير اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت إنك على ما تشاء قدير يا حى يا قيوم يا بديع السماوات والأرض لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث ومن عذابك نستجير اللهم بجاه سيدنا محمد ﷺ حفظته منذ نعومة أظفارى حتى وقتنا الحاضر ولله الحمد والمنة».

نأتى بعد ذلك للقرآن الكريم فكان للشيخ سبورة يكتب عليها وكان لدى كل طفل لوح من الصفيح فكان هو المشهور فى تلك الأيام، ثم يكتب الشيخ على السبورة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ ونقرأ وراءه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأثناء القراءة نكتب على الألواح ما نقرأ كما كتب الشيخ لتثبيت الحفظ، ثم نذهب للبيت ونحفظ ما تم أخذه من الشيخ إذا كان جزءًا من سورة الفاتحة أو الفاتحة كاملة ثم نأتى اليوم التالى للتسميع أمام الشيخ وياويل من لم يحفظ وحينما ينتهى من تسميع الأولاد يأتى لتسميع البنات وكنت أذكر منهن سارة، وصباح وكانت كفيفة حافظة للقرآن الكريم.

ولله الحمد والمنة أتممت حفظ القرآن الكريم فى سن ثلاثة عشر عامًا.

رضا: علمنا أنك صعيدى جاء والدك للقاهرة ووهبك للقرآن فكيف كانت الرحلة الأولى لحفظ القرآن والتعليم الأزهرى؟

عبدالحكيم: والدى نزح من الصعيد وكان عمره ١٦-١٧ سنة وكان فى نيته أن يدخل ابنه الأزهر وأكون من المجاورين، وكان له ما أراد وأدخلنى فى معهد القاهرة الابتدائى الأزهرى، وكان بمصر كلها معهدان فقط معهد أمام جامع أبو الذهب بالأزهر والثانى بدمنهور، وكان دخولى للمعهد بعد إتمام حفظى لكتاب الله كاملًا، وعند الدخول يتم ما يسمى بإعادة التسميع على الشيخ كل جمعة عدة أجزاء حتى

يتم التسميع لنهايته، وبعد ذلك تم التحاقى بمعهد القراءات سنة بسنة حتى أخذت منه إجازة التجويد وهذه كانت تمنح فى سنة، وبعدها إجادة العالية وكانت تمنح بعد ثلاث سنوات والتخصص من أربع سنوات، وكانت توجد كلية الدراسات الإسلامية، وتم تعيينى مدرس قبل أن أنهى مرحلة دراستى بمعهد القراءات وأنا صغير، وحصلت على التخصص والتحقت بكلية الدراسات الإسلامية وكنا أثناء دراستنا فى هذه الكلية نجلس على البساط بالأزهر، بالرواق العباسى أو بمسجد أبوالذهب وداخل الجامع الأزهر، وإذا كنت غير متقن لحفظ القرآن الكريم يتم استبعادك ويعاد الاختبار فى العام القادم وليس فى نفس العام، وإن لم تكن متقنًا لحفظ القرآن الكريم يعاد لك الاختبار أكثر من مرة وإن لم توفق يتم رفضك بأنك لا تصلح لأن تكون معنا فى الدراسة، وهكذا حتى انهيت دراستى بمعهد الدراسات وكلية الدراسات الإسلامية، وبعدها بدأت أقرىء القرآن الكريم.

رضا: نريد أن نتوقف عند المشايخ الذين أخذت عنهم القرآن الكريم خاصة وأنت قد أخذت من الأعلام الكبار فى هذا الفن؟

عبدالحكيم: أخذت وقرأت على الشيخ «على بسة» من قراء الكتاب الكريم وكان حاصلًا على درجة العالمية القديمة فى التدريس والقضاء الشرعى، وكان يعمل قاضيًا شرعيًا، وكانت العالمية تساوى دكتوراهات الآن وكان لديه فوق العالمية تخصص القضاء الشرعى، وكان حاصلًا على إجازة فى القراءات العشر، فكان المدرس لا يُدرس فى المعهد إلا إذا كان حاصلًا على إجازة فى القراءات العشر. وأيضًا الشيخ محمد مصطفى الملوانى، والشيخ محمد عيد عابدين وقد كان قاسيًا علينا جدًّا ولكن قسوته هذه فى مصلحتنا وكان يشرح لنا الشاطبية والدرة فكان يقول أول الشاطبية:

وَبَسْمَلَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ بِسُنَّةٍ ... رِجَـالٌ نَمَوْهاَ دِرْيَـةً وَتَحَمُّلَا

وَوَصْلُكَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فَصَاحَةٌ ... وَصِلْ وَاسْكُتَنْ كُلٌّ جَلاَيَاهُ حَصَّلا

وَلاَ نَصَّ كَلاَّ حُبَّ وجْهٌ ذَكَرْتُهُ ... وَفِيهاَ خِلاَفٌ جِيدُهُ وَاضِحُ الطُّلا

ينظر إلينا ويفاجئ الواحد منا ويقول له أتمم الأبيات ومن لم يجب ينل عقابه الشديد وأنا أقبل يديه رغم قسوته لأنه علمنا، والشيخ محمود بكر ـ رحمه الله ـ والشيخ عامر عثمان والشيخ السمنودى.

والشيخ عامر السيد عثمان ـ رحمه الله ـ كان فى القرآن والقراءات لا يبارى مثل شيخنا الزيات وإن كان من ترجم للزيات قال إنه أخذ عن الضباع لكن هذا لا يصح فالشيخ الزيات يعتبر أعلى سندًا فى القاهرة، لأننى قرأت عليه القراءات العشر الكبرى وقبل اختبارى للكبرى تم اختبارى فى الصغرى، وسألنى على من قرأت قلت له على الشيخ مصطفى منصور الباجورى كان من الحسينية كان وجهه مشعًا بالنور مثل الشيخ الزيات، وكانوا يريدون أن يأتوا بالشيخ الباجورى للقراءة بالشيخ الحسين فقال الشيخ الضباع هاتوه، كانت فى الصباح الباكر بعد الفجر أذهب إليه فى الحسينية لأقرأ عليه القرآن وكنت كلما ذهبت إليه أجده إما قارئًا للقرآن أو مسبحًا لله تعالى دائمًا ثم بعد ذلك جاءنى تعيينى بالأزهر بالإسكندرية، وعند عودتى للقاهرة مرة أخرى وجدته توفى إلى رحمة الله فذهبت إلى الشيخ الزيات الذى كان متفردًا بعلم القراءات والحديث وكان خطيبًا بارعًا فى مسجد الجمعية الشرعية فقلت له أنا تلميذ الشيخ مصطفى منصور الباجورى فقال رحمة الله عليه، قرأت عليه يا عبدالحكيم قلت له نعم قرأت عليه من الفاتحة إلى نهاية القصص.

«كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون».

فقال لى ستقرأ على العشرة الكبرى ثم تأتى يوم السبت أو الأربعاء على ما أذكر، أنا ذهلت قلت مش معقول أن يقبلنى هكذا ببساطة ولم أدفع مليمًا واحدًا وليس كما يفعل بعض الناس الآن يدفعون الآلاف، ثم أتيت إليه فبدأ باختبارى: قولْ يا بُنى باب الفتح والإمالة فأقول:

وَحَمْزَةُ مِنْهُمْ وَالْكِسَائِيُّ بَعْدَهُ ... أَمَـالاَ ذَوَاتِ الْيَاءِ حَيْثُ تأَصَّلا
وَتَثْنِيَةُ الأَسْماءِ تَكْشِفُهَا وَإِنْ ... رَدَدْتَ إِلَيْكَ الْفِعْلَ صَادَفْتَ مَنْهلا

ثم يقول ياءات الإضافة فى الشاطبية فأجيبه:

وَلَيْسَتْ بِلاَمِ الْفِعْلِ يَاءُ إِضَافَةٍ ... وَمَا هِيَ مِنْ نَفْسِ الْأُصُولِ فَتُشْكِلا
وَلكِنَّهَا كالْهَاءِ وَالْكَافِ كُلُّ مَا ... تَلِيهِ يُرى لِلْهَاءِ وَالْكَافِ مَدْخَلا
وَفى مِائَتَيْ يَاءٍ وَعَشْرٍ مُنِيفَةٍ ... وَثِنْتَيْنِ خُلْفُ الْقَوْمِ أَحْكِيهِ مُجْمَلا

ثم قال لى تمام كده ولكن اقرأ وسوف أسألك حين تقرأ على الأدلة، وسأجيزك

لأنك قرأت على الشيخ مصطفى منصور الباجورى فليس هناك شك فى ذلك، ومكثت معه حتى انتهيت وكان حفل الختام الخاص بى عند الشيخ محمد عيد عبده حيث احتفل بحصولى على الختمة، وقال وقتها الختمة عندى والأكل عندى وهذه عادة تعبر عن الفرحة بالنجاح بحفظ القرآن وكان ذلك أوائل عام ١٩٥٣ وقال وقتها إنه بهذا الاحتفال يتمنى أن يدعو له الشيخ وأن يبارك بيته، وكان لا يقرأ إلا إذا قرأت الخاتمة كاملة مثلما كان السلف الصالح على هذا المنوال تقرأ من الفاتحة إلى سورة الناس كما فى الشاطبية:

إذا كبروا فى آخر الناس أردفوا مع الحمد حتى المفلحون توسلا
وقال به البزى من آخر الضحى وبعض له من آخر الليل وصلا

وهو هنا قد بين فى البيت الأول آخر مواضع التكبير، وفى البيت الثانى أولها، ومفعولا (أردفوا) محذوفان، والتقدير: أردفوا التكبير مع قراءة سورة الحمد قراءة أول سورة البقرة حتى يصلوا إلى قوله تعالى «وأولئك هم المفلحون» و(توسلا) مفعول من أجله، أى تقربا إلى الله تعالى بتلاوة كلامه. وبعدها يجيزك ويقول له اختم له يا ولد هذه الإجازة بالختم وكان أشهر شيخ فى القراءات حينها، وكنت حينما أعمل مفتشًا بالأزهر أطلب الشيخ السمنودى حتى أجلس عنده طوال اليوم وكنت أقول له أريد القراءة عليك فيقول لى قرأت على الشيخ مصطفى منصور الباجورى، والشيخ الزيات وتريد القراءة على فقلت له نعم وأريد أن أقرأ عليك فقام باختبارى فى الشاطبية وكنت أقضى عنده طوال اليوم، وحينما يتم توجيهى بالتفتيش حينما كنت أعمل مفتشًا وقتها أطلب الذهاب لسمنود حتى أنهل العلم من الشيخ السمنودى، وقد أعطانى إجازة فى الشاطبية، والدرة، والطيبة، وكانت هذه ثالث إجازة أحصل عليها الأولى من الشيخ مصطفى الباجورى، والثانية من الشيخ الزيات، والثالثة من الشيخ السمنودى.

رضا: جميع من يتعلمون القرآن يحملوك فوق رؤوسهم فأنتم شيخ مشايخ عموم مقارئ مصر. لكن هناك علمًا من الأعلام الكبار أنت قرأت عليهم وأخذت منهم وهو الشيخ الجليل علامة القراءات المعروف عبد الفتاح القاضى فحدثنا فضيلتكم عن الشيخ عبد الفتاح القاضى.

عبدالحكيم: أولًا قبل أن أتحدث عن العلامة الكبير الشيخ عبد الفتاح القاضى أريد أن أعقب على قولكم أنكم تحملونى فوق الرؤوس فأنا أشكركم على هذه الكلمات ولست كما قلتم بل أنا مازلت أطلب العلم وإذا كنت عالمًا فهناك من هو أعلم منى قال تعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ فيوجد من هو أعلم منى ومن أعلم ممن هو أعلم منى، حتى ينتهى العلم إلى الله سبحانه وتعالى ولله الحمد والمنة.

أما الشيخ عبد الفتاح القاضى هذا كان شيخ معهدنا وكان قبله الشيخ «شريت» بضم الشين وفتح الراء، الشيخ القاضى استلم معهد القراءات بالقاهرة وكان على علم جم وكان دارسًا للعشرة والشاطبية دراسة مستفيضة، وكان معه أيضًا العالمية بكسر اللام فى تخصص التدريس، كان ذا ذاكرة حادة فهو من أرسلنى إلى السعودية ـ أسأل الله أن يرحمه ويجعله من أهل الجنة.

كان يحدث الشيخ رزق بأن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تريد منه قارئ للقراءات العشر بس يكون «ولد».

فقال له: عندى لا تأخذ إلا عبدالحكيم وكنت وقتها طالبًا بالمعهد.

فقال له: تضمنه.

قال له: اختبره وكان الشيخ القاضى متواضعًا جدًّا فكان يجلس على الأرض على فرو صغير، وكان يمر على جميع الفصول ويسمع الطلاب وهم يتلون كتاب الله بالعالية ويقول من هذا الذى يقرأ وما هو اسمه، كان مهتمًا بشئون طلاب القراءات بنفسه، وكان يدخل علينا فجأة دون سبق علم، وقد سمعنى ولما سمعنى قال لى تعال إلىّ بمنزلى لأنى أريدك وسألنى على من قرأت فقلت له على الشيخ مصطفى منصور الباجورى، فقال الله يرحمه وعلى الشيخ محمد الملوانى، وكذا وكذا قرأت على الشيخ الزيات، والشيخ السمنودى. والشيخ عامر السيد عثمان كان الشيخ عبد الفتاح القاضى يجلس بالأزهر يعلم الناس حيث كان عالمًا فذا، كان يقرأ عليه الجميع رجالًا ونساءً، كبارًا وصغارًا، وذهبت إليه ببيته وقرأت عليه الدرة والشاطبية وسألنى فى الطيبة واختبرنى اختبارًا قاسيًا لأنه كان يريد إرسالى إلى الجامعة الإسلامية، ذات يوم حينما أجبت عليه الإجابة الصحيحة قال لى: أنت تذهب إلى الجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة ومدح فى الشيخ رزق حبة لأنه الذى رشحنى له وهكذا كان سببًا فى سفرى بعد اختبارى إلى مدينة رسول الله ﷺ للتدريس بالجامعة الإسلامية هناك.

وكان الشيخ عبد الفتاح القاضى معروفًا بظرفه وخفة الدم المعروفة عنه وهذه طرفة من طرائفه وكان الشيخ القاضى قد قدم للإمامة الصلاة بدمنهور، وكان بجوار المعهد بدمنهور مربط للحمير كانوا يسمونه (مدود) حينما تسمع تلك الحمير صوت الميكروفون تنهق، وحينما بدأ الشيخ بتلاوة القرآن الكريم بسم الله الرحمن الرحيم بدأ الحمار ينهق مرة أخرى وحينما سكت الشيخ بين الفاتحة والسورة لأنه كان على المذهب الشافعى، سكت الحمار، فقال الشيخ الله الله هذا الحمار مذهبه شافعى ولا إيه.

أرسلنى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأرادوا حجزى هناك فقلت لهم لا أنا عندى دراسة وأريد أن أنتهى منها هى سنة واحدة فقط أقضيها معكم وألحوا علىَّ فى الطلب وقالوا سنزيد راتبك فقلت لا أريد أن أكمل دراستى أهم، فلم أكمل معهم لأننى كنت أرغب فى إكمال دراستى فى كلية الدراسات الإسلامية، كنت أدرس ٢٠ مادة بالكلية،وكان من أساتذتى صالح موسى شرف، والشيخ محمد الغزالى، والدكتور على مرعى والدكتور على موسى شرف، وكان يُدرس لنا الحديث الشيخ محمد الغزالى، وكان حينما ينتهى من إلقاء الدرس يقول من يقرأ الدرس عبدالحكيم، وكان يحب قراءتى لأننى كنت أراعى قواعد اللغة العربية وأقرأ قراءة صحيحة وبعد ذلك أردت أن أسجل هذه الشهادة بعد تخرجى فلم أتمكن حتى إذاعة القرآن الكريم كانت تعاملنى على القراءات وليس على الشهادة التى حصلت عليها من كلية الدراسات الإسلامية، فظللت على علم القراءات فقط، وبدأت أعلم القراءات فكان أول تعيين لى شيخ مقرأة بمسجد الهجين بشبرا، ثم مسجد عين الحياة مع الشيخ عبدالحميد كشك ـ رحمه الله ـ ثم مسجد الشعرانى بباب الشعرية، ثم مسجد السيدة نفيسة، والسيدة سكينة، وآخر المطاف رسيت على الجامع الأزهر وذلك منذ أكثر من أربعين عامًا.

رضا: حدثنا عن مسجد عين الحياة وما كان بينكم وبين الشيخ عبدالحميد كشك رحمه الله.

عبدالحكيم: كان الشيخ عبدالحميد كشك ـ يرحمه الله ـ يحبنى حبًا جمًا لا يوصف ـ فى الله ـ حينما كنت أدخل المسجد وهو جالس يعلم فيه فى ركن من المسجد يقول لهم الشيخ عبدالحكيم وصل السلام عليكم فيترك المكان ويقول المقرأة أهم، وكان صوته جميلًا جدًّا فكان يصلى بنا الصلاة فكنا حينما نصلى وراه الجمعة نبكى بكاءً شديدًا فقد كان خطيبًا بارعًا متمكنًا من خطبته، كان يجلس يستمع للمقرأة وكنت أبدأ مثلًا ختمة بقالون ثم السوسى، ثم من بعده وهكذا وهو جالس يستمع ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فقرأها الشيخ بقراءة السوسى عن أبى عمرو، فكان بين أبى عمرو والدورى والسوسى راو. وكان الشيخ يحب أن يحضر كل هذه الختمات.

رضا: نريد أن نتوقف عند سفريات فضيلتكم خارج البلاد والتى كان من ضمنها أستراليا، وبنجلاديش، وروسيا، وأمريكا، وتايلند، فلو تفضلتم بالحديث عن تلك السفريات، وكيفية استقبالهم لكم وحالهم مع القرآن الكريم؟

عبدالحكيم: فى السعودية ذهبت إلى الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة كنت أجلس بالمقارئ بالمدينة المنورة وكان هناك واحد يدير مقرأة شبيه بالشيخ مصطفى الباجورى ـ رحمه الله ـ وكنت حينها شاب وحينما أبدأ القراءة يقولون اسمع المصرى كان صوتى جميل حينها، كما كان يوجد شاب من باكستان جميل جدًّا صوتًا وتلاوةً كان يقرأ الربع كاملًا، والغريب أنه كان لا يتكلم العربية وحينما تكلمه لا يعرف سوى كلمة السلام عليكم ولا يتكلم بالعربية إلا القرآن فصدق من قال:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، فكنت أحضر هذه المقرأة يوميًا بعد المغرب أما المقارئ التى كنت أديرها كانت من بعد صلاة العصر، بعد ذلك سافرت إلى أستراليا (ملبورن) كان كل سنة يرسل شيخ الأزهر وفدًا إلى هناك وقال أرسلوا عبدالحكيم فكنت أصلى ثمان ركعات كل ركعة بربع ثم الشفع والوتر، ولفيت فى بلاد كثيرة بأستراليا، وأمريكا كذلك، وروسيا ذهبت فيها إلى سبع جمهوريات: الشيشان، طشقند، روسيا، وكان المستمعون من تلك الدول

يأتون بأعداد غفيرة لسماعى حين أتلوا القرآن الكريم وكانوا يتشوقون ويتمتعون بتلاوة القرآن الكريم.

رضا: ما هو رأى فضيلتكم حينما لا يطغى اللحن على القراءة أثناء التلاوة؟

عبدالحكيم: أنغم وأقرأ بمقام سيكا مثلًا لكن دون إخلال بالقرآن الكريم، والمقياس فى ذلك ألا يطغى المقام على القرآن، فقد قال النبى ـ ﷺ ـ لأبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ وكان صوته شجى (لقد أعطيت مزمارًا من مزامير آل داود)، وكان النبى يقول عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ «من أراد أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد». وقد كان صوت الرسول ـ ﷺ ـ من أندى وأنقى وأحسن الأصوات، وقد صادفت أصوات.

رضا: أذكر فضيلتكم بمسابقة القرآن الكريم التى كانت فى دبى، وكنت أغطيها لإذاعة القرآن الكريم وكان بها شاب تركى أخذ المركز الثانى وقد أبهر الجميع، وكذلك شاب إيرانى اسمه مهيار الذى أبهر الجميع أيضًا وحينما ذهبت إليه لإجراء حوار معه وجدته لا يتقن من اللغة العربية إلا القرآن الكريم؟

عبدالحكيم: نعم أذكره فقد كان قارئًا مجيدًا والطفل الإيرانى كان صوته جميلًا وسألته وقتها فى المقامات فأبهر الجميع بعلمه بالمقامات وقد أعطيته درجات كبيرة عن تلاوته وأيضًا شاب مصرى حصل على المركز الثالث.

رضا: عمومًا ما معنى القراءات حتى نبسط للإخوة المستمعين، وما الفرق بين القراءات والحروف السبعة؟

عبدالحكيم: الحروف جمع حرف والقراءات جمع قراءة، معنى قراءة أن يأتى الحرف بمعانى كثيرة، معنى قراءات بمعنى جمع حرف وجه مقروء به عن الرسول ـ ﷺ ـ ومعنا القراءات جمعها ابن الجزرى وحررها، وفصل القول فيها حتى صارت تنسب إليه واقترنت باسمه. قال فى الطيبة:

فكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالًا يحوى
وصح إسنادًا هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه فى السبعة

وبعضهم قال التواتر وغيره، حصل أن الصحابة كانت تصلى إلى بيت المقدس قبل نقل القبلة فراح أحدهم يقول أن الرسول ـ ﷺ ـ يتجه إلى الكعبة، فتوجهوا مباشرةً وهم بالصلاة لجهة الكعبة، ونحن نريد صحة السند سواءً كان أحادى أو غير أحادى فإن كانت موافقة لرسم المصحف ـ رسم سيدنا عثمان رضى الله عنه ـ وهو ما يعرف بالمصحف العثمانى مثل كلمة ملك ومالك، ملك اسم فاعل، ومالك صيغة مبالغة، تكون موافقة للإعراب فهى وجه من وجوه اللغة وأعطى مثل لكلمة حتى يطهر، فمنهم من يقول أنه الطهارة من فترة الحيض، أى لابد من الاغتسال والبعض يقول يجب الوضوء فقط، حتى يطهرن من فترة الحيض أو النفاس، يطهرن يغتسلن. ومثل (لكنه هو الله ربى)، قراءة ابن جعفر وعامر، (لكن أنا الله ربى)، فقد أخذنا على مشايخنا المتن والسند الممتد إلى الرسول ـ ﷺ.

رضا: لكن هناك من يقول بالآحاد كيف ولقد اتفق الجميع على أنه لابد من التواتر.

عبدالحكيم: ابن الجزرى لما ذكر مكان القراءة لم يقل التواتر، وكان للرسم احتمالًا وصح إسناده لأن هناك قراءات يقرأها أبو جعفر منفرد بها وليس فيها تواتر.

رضا: الرسول ـ ﷺ ـ قال نزل القرآن على سبعة أحرف، وما صلتها بالقراءات.

عبدالحكيم: السبع أحرف هم السبع بتوعنا دول، والثلاثة دول اللى هما بتوع الدرة، جعفر ويعقوب وخلف العاشر أصلهم فى السبعة، خلف العاشر أصله حمزة، ويعقوب أصله أبو عمرو الإمام الثانى، وأبو جعفر أصله نافع، فهؤلاء السبعة رووا الأحرف السبعة، هم نفسهم القراءات السبع التى جاءت فى الحديث النبوى الشريف، رووا هذه الأحرف السبعة عن الصحابة رضوان الله عليهم، فالآية كانت تنزل على رسول الله ـ ﷺ ـ بوجهين.

رضا: نريد أن نتوقف عند لمحة تاريخية للأئمة الذين رووا هذه القراءات مثل خلف... إلخ.

عبدالحكيم: الإمام الأول نافع بن أبى روين فى المدينة المنورة، الإمام الثانى هو عبدالله بن كثير، وروى عنه المزى والقمن، الإمام الثالث هو الإمام النحوى القارئ الذى جمع بين القراءة والعربية، أبو عمرو البصرى وقيل عنه فى الشاطبية.

وأمّا الإمام المازنىّ صريحهم أبو عمرو البصرى فوالده العلا
أفاض على يحيى اليزيدىّ سيبه فأصبح بالعذب الفرات معلّلا
أبو عمر الدّورى وصالحهم أبو شعيب هو السّوسىّ عنه تقبّلا

أخذ منه يحيى اليزيدى ويحيى أقرأ السوسى والدورى، أما الإمام الرابع أعلى الأئمة إسنادًا إنه الإمام بن عامر الدمشقى، كان يصلى إمامًا بأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ خامس الخلفاء، وكان إمام دمشق روى عنه هشام وابن زكوان وبعد ذلك الإمام عاصم، والإمام حفص الذى نقرأ فى مصر بقراءته وهو من أئمة الكوفة وذكره فى الشاطبية:

بالكوفة الـغـرَّاء منهم ثلاثةٌ أذاعوا فقد ضاعت شذًا وقرنفلا
فأما أبـو بكر وعاصم اسمه فشعبةٌ روايـة الـمُـبـرِّزُ أفضلا
وذاك ابن عياشٍ أبو بكرٍ الرضا وحفصٌ وبالإتقان كان مفضلا

بعد ذلك الإمام حمزة بن حبيب الزيات أعلى القراء إسنادا قرأ عليه سفيان الثورى التابعى المشهور.

الإمام السابع على بن حمزة الكسائى إمام فى النحو وإمام فى القراءات والإمام الثامن أبو جعفر بعده الإمام يعقوب والعاشر الإمام خلف ويسمى خلف العاشر وهؤلاء رووا السبعة أحرف بالسند حتى رسول الله ﷺ.

بروفايل

قليل من الناس الذى يغزوك بمشاعر لا تجدها إلا عندما تراه أو تجلس إليه لأن فيهم شيئًا لا تراه كثيرًا وخاصة عندما يكون مخزونًا بكنز ليس متوفرًا إلا عند من اختصهم الله بحفظ كلماته ودراية آياته وروايتها ثم تعليمها وفتح القلوب والعقول لها..

هو ذلك الشيخ الذى يتخلل وجهه نور يراه كل من يطالع وجهه ويرتاح كل مستمع إليه لأن صوته كأنه موزون على آذان مستمعيه يجذبك إليه بعينيه عندما يتكلم

فالكلام منه مربوط بعينيه وكأنهما قناة التوصيل إليك استقبلنا على باب بيته بتواضعه المعروف به وكان معى أخ يعمل فى الأوقاف ويلبس ثوبًا أزهريًا «الجبة والكاكولا» فإذا بفيض الأدب مع هذا الزى تعبيرًا عن توقيره لكل من يتزيا به حتى إنه كان كلما تحدث معى أثناء التسجيل ينظر إلى صديقى الشيخ ويقول:

«مش كده ياسيدنا الشيخ» ليعبر عن شديد حبه واعتزازه بالانتماء إلى الأزهر ورجاله ولكن فى طرافة قلت له «أنت هنا اللى سيدنا وفوق راسنا» فخفض برأسه إلى الأرض تواضعًا.

وكان من كرمه معى أنه قال ما فعلت ذلك مع أحد لأنى لا أحب التحدث عن نفسى ولكن عندما تكلم فتح صفحات من تاريخ مصر فى الثلث الأول من القرن العشرين وحتى الآن، وكيف تربى فى منطقة الدمرداش وكيف اختاره الله ليكون ضمن من أضاء الله قلوبهم وعقولهم للقرآن وكيف تعلم العقيدة والتشريع من القرآن الكريم أثناء أخذه القرآن من الأعلام الكبار حتى أخذه مأخذ من لم يشاركه فيه غيره، حيث أخذه من الثلاثة الكبار فى هذا العصر فكتب بذلك شهادة من نور مسطورة فى تاريخ هذا العلم علم القراءات وانطلق بها ينشره فى آفاق العقول وفى غرف القلوب وفى مناحى النفوس التى تريد أن تطمئن بالإيمان.

وكان لى مع هذا الرجل القرآنى مشاهد رائعة فى مدينة دبى حيث كان محكمًا فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم وكنت أنا مراسلًا لإذاعة القرآن فرأيت تواضعه عندما كنت أذهب إليه فى غرفة الفندق أو عندما كان يترجل إلى مكان المسابقة بجلبابه المصرى الذى يشبه ماكان يلبسه الشيخ الشعراوى ويلبس على رأسه طاقية بيضاء، وعندما يسأل أو يعلق ينطلق صوته فى وضوح سائلًا أو مناقشًا أو مستدركًا للطلائع الذين كانوا يتبارون فى هذه المسابقة ورأيته فى مصر بنفس هيئته التى كان عليها فى دبى عندما كان يخرج من مبنى الإذاعة والتليفزيون دون أن يحس به أحد بخطوات هادئة وسمت وقور.

وفى نهاية حديثى معه أردت أن أنهل من معين الفيض عنده عندما تركنا المنضدة التى كنا نسجل عليها وسلمنا ظهورنا للأنتريه الوثير فى الجانب الثانى من ردهة

واسعة تطل على الشارع وتملؤها الشمس بضيائها وحرارتها التى ملأت الجو دفئًا فقلت له أنا وصديقى إننا نريد أن نقرأ عليك لتحكم على قراءتنا من ناحية التجويد والقراءة الصحيحة وبدأت فى القراءة من قوله تعالى من سورة الفرقان.

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ إلى نهاية السورة وقرأها بعدى صاحبى فأثنى على القراءة فقلت له إننى رأيته فى الجامع الأزهر وحوله تلاميذه فى صورة جميلة رائعة وهم متحلقون حوله فى منظر بديع فطلبت منه أن أزوره فى هذا المشهد داخل الجامع الأزهر وهو بين تلاميذه فودعته على أمل اللقاء فى رحاب الجامع الأزهر ولكنه إلى رحاب الله سافرت روحه وأسلمت نفسه قيادها ليقال لها كلامًا من نور لطالما قرأه وعلمه.

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾.

فرحمة الله عليه فى عليين.

الأستاذ الدكتور محمد المختار المهدى

الرئيس العام للجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة

صورة للعالم عندما يعيش قيم الدين

أقوال فى الحوار

- كان جدى - رحمة الله عليه - صاحب كرسى فى الأزهر الشريف يدرس التفسير، وكان أبى إمامًا وخطيبًا فى الأوقاف.
- الحمد لله حصلت على جيد جدًّا مع مرتبة الشرف فى كلية اللغة العربية، وحضرت تطوير الأزهر عام ١٩٦١م.
- المردود الحقيقى لتطوير الأزهر كان صرف النظر عن التعمق فى علوم اللغة العربية، لذلك كان الشيخ عبدالحليم محمود - رحمة الله عليه - معارض للتطوير.
- قال لى الإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وقتها يكفى أن يعرف الناس بعضًا من أمور دينهم لأن الشيوعية فى ذلك الوقت كان تهجم هجمة شرسة وأنا مهمتى الآن أن أقف أمام الشيوعية.
- كنت أخطب الجمعة سنة ١٩٦٥ وفوجئت بدخول الملك السنوسى ملك ليبيا عليّ ومعه حاشيته كاملة من رئيس وزراء ووزراء وكان عمرى حينذاك أقل من ثلاثين عامًا.
- قامت ثورة القذافى فى عام ١٩٦٩م وكان ينادى بأن كل من له صلة بالملك أن يرحل فجئت إلى مصر فى يوم ٢٣ أكتوبر عام ١٩٦٩م.

ـ خلال فترة عملى مصححًا لغويًا بجريدة الأخبار كان الكاتب الصحفى الكبير مصطفى أمين لا يثق فى مراجعة كلامه إلا معى شخصيًا، وكذلك بجريدة الأهرام الأستاذ محمد حسنين هيكل وكان خطهم الاثنين صعب القراءة.

ـ فكنت عضوًا فى اللجنة الاجتماعية لتقنين الشريعة الإسلامية ١٩٧٨ وكان رئيس اللجنة العامة الدكتور صوفى أبو طالب واختلفت مع الشيخ جاد الحق وكان المفتى وقتها حول تزويج البنت لنفسها.

ـ جميع بحوثى اللغوية التى قمت بها كانت متعلقة بالقرآن الكريم، على سبيل المثال رسالة الدكتوراه كانت فى القرآن الكريم.

ـ الجمعية الشرعية لم يحدث منها إطلاقًا فى أى وقت أو عهد أنها تدخلت فى المسائل السياسية.

قصة اللقاء

أعرفه منذ دخلت فى استديوهات الإذاعة بسمته الهادئة ونفسه الطيبة وروحه الجميلة وكنت بصفتى مذيعًا للهواء فكل من يسأل عن شىء خاص عن إذاعة القرآن الكريم من الضيوف يمر علينا فكنت أصادفه وهو يجلس فى الاستراحة مجللًا بوقاره واحترامه وتعرفت عليه فى هذه الفترة، وأثناء توليه رئاسة الجمعية الشرعية كان يسجل دائمًا مع الزميل الأستاذ أحمد عبد الظاهر فى برنامج «لغة القرآن» لأن تخصصه كان فى اللغة العربية وكان يجلس معنا فترة من الوقت قبل التسجيل فلما تحرك قطار برنامج «سيرة ومسيرة» فكرت بالبدء به أولًا لأنه عالم كبير وعلى رأس جمعية من أكبر الجمعيات الخيرية فى مصر بالإضافة إلى جانبها الشرعى يضاف إلى ذلك أنه عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف فقرأت عنه قبل أن أتحدث إليه فوجدت حياة عامرة بالدرس فهو عالم أزهرى تعلم فى الأزهر حتى درجة الدكتوراه وتبحر فى العلوم الشرعية ثم سافر إلى ليبيا وعمل هناك وله حكايات تُحكى فى هذا البلد قبل ثورة القذافى على الملك السنوسى ثم إنه قد عاصر العقاد حيث عمل مصححًا للغة العربية فى جريدة الأهرام وقت أن كان العقاد أحد أهم كتاب الأهرام

وحكايات مع العقاد وكذلك مع الكاتب السياسى محمد حسنين هيكل عندما كان رئيسًا لتحرير الأهرام ثم قرأت عن الفترة التى تولى فيها رئاسة الجمعية الشرعية وما هى أهم الخدمات التى تقدمها هذه الجمعية والتى تثار بين الفينة والأخرى عليها انتقادات من الإعلام وغيره.

لكل هذا اخترته ليكون أول ضيوفى فى هذا البرنامج ففاتحته فى هذا الأمر فكان هذا اللقاء الذى بدأته إذاعيًا بهذا التعريف الذى أرسلته عبر الميكروفون.

ضيفنا هو واحد ممن ينادى بوسطية الإسلام حيث الحكمة والموعظة الحسنة، فهو أحد المسئولين عن سفينة الدعوة لهذا الدين العظيم ليس على مستوى مصر فقط بل على مستوى العالم، ضيفنا هو الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدى، أستاذ الدراسات العليا بكلية الدراسات العربية والإسلامية للبنين بجامعة الأزهر، عضو مجمع البحوث الإسلامية، عضو هيئة كبار علماء الأزهر، والإمام الحالى للجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة المحمدية، ولد فى الثالث والعشرين من صفر عام ألف وثلاثمائة وثمانية وخمسين من الهجرة النبوية الثالث عشر من أبريل عام ألف وتسعمائة وتسعة وثلاثين للميلاد بقرية قصة مركز كفر شكر بمحافظة القليوبية، حصل على الابتدائية الأزهرية عام ١٩٥٥، والثانوية الأزهرية عام ١٩٦٠م، ثم حصل على شهادة الليسانس من كلية اللغة العربية عام ١٩٦٥م، ثم الماجستير والدكتوراه عام ١٩٧٦م، أهلًا بفضيلتكم.

رضا: نبدأ من حيث نشأتكم، كيف كانت نشأة فضيلتكم بقصة مركز كفر شكر بمحافظة القليوبية، كيف كانت النشأة، وكيف كان حال مصر منذ نعومة الأظفار؟

د. المهدى: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى صحبه وأله ومن ولاه ـ ﷺ، أكرمنى الله بفضله وإحسانه بأن نشأت فى بيت يتسم بالعلم من أول الجد إلى الأب كان جدى ـ رحمة الله عليه ـ صاحب كرسى فى الأزهر الشريف يدرس التفسير، وكان أبى إمامًا وخطيبًا فى الأوقاف، وعرض علىَّ والدى فى ذلك الوقت وأنا فى سن الخامسة بأن ألتحق بالمدرسة الابتدائية، لكن فى نفس الليلة رأى جدى يحرك كتفى ويقرئنى الفاتحة،

فاستنبط الوالد أن يعدنى من حملة القرآن الكريم فعدل عن المدارس الابتدائية وصمم على أن التحق بمعهد الزقازيق الدينى الذى كان أقرب المعاهد فى ذلك الحين إلى بلدى، سرت فى هذا الطريق وكان الوالد قد مرض وكان همه الأساسى أن أعلم وأتعلم فروض دينى، وكان يدعو الله ألا يموت قبل أن أعلم فروض دينى وما أحتاج إليه، وامتد بى العمر والحمد لله، ووصلت للثانوية وكان ترتيبى فيها الخامس على مستوى الجمهورية.

رضا: المناهج فى ذلك الحين فى الابتدائية والإعدادية والثانوية الأزهرية ماذا كنتم تدرسون؟ وهل المعاهد الآن تدرس كما كانت تدرس فى ذلك الوقت؟

د. المهدى: بالطبع لا، كان النظام أربع سنوات ابتدائى، وخمس سنوات ثانوى، فى الابتدائى كنا ندرس ما يدرس الآن فى بعض الكليات، مثلًا كتاب «شذور الذهب» يدرس حتى الآن فى كلية الآداب كنا ندرسه فى الصف الرابع الابتدائى، وكتاب «قطر الندى» كنا ندرسه فى الصف الثالث الابتدائى وكنا نستوعبه، لأننا حفظنا القرآن الكريم أولًا قبل دخولنا للمعهد وكان الاختبار فيه دقيقًا جدًّا لأن كل المواد فى اللغة العربية فى خدمة النص القرآنى، فإن لم يكن النص القرآنى موجودًا فى ذهن الطالب لا يوفق فى غيره، بناءً عليه عُرض علينا فى موقف من المواقف بعد أن حصلت على الثانوية وكنت متقدمًا فيها، كليات: أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية، ودار العلوم، فأخذت رأى الوالد الذى قال لى لا تدخل كلية دار العلوم لأننى وهبتك للأزهر فاختر ما شئت من كليات الأزهر، يرجع إلى اختيار كلية اللغة العربية أننى قد حضرت وأنا فى الخامسة ثانوى درس فى التفسير فى كلية أصول الدين وأنا مازلت طالبًا فكان الشيخ ـ رحمة الله عليه ـ يشرح فى سورة الأنعام فى ثلاث كلمات ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارًا﴾.

فأخذ فيها ساعة ونصف استعرض فى كلمة (أرسل) الفرق بينها وبين كلمة (أنزل) واستعمالها فى اللغة يقال على رسلك يا ولدى هذه ناقة مرسال، فلان رسول ففيها الهدوء واللين، إنما (أنزل) معناها يعطيك معنى العلو فقط، استعرض آيات (الإرسال) وآيات (الإنزال)، ثم بدأ يقول ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾.

السماء ترسل، ما هى السماء؟ هل كل ما علاك وأرسل المطر من السماء، الموضوع به مجاز من البلاغة ثم عرج على كلمة (مدرارًا) فمدرارًا من الدر، ويقال للناده لله درك يا فلان، لله دره فارسًا، لله دره عالمًا، وأساس الدر هو اللبن الذى ينزل من الناقة أو ما إلى ذلك، حينما يكون الإنسان متعودًا على أن يحصل على كيلو لبن مثلًا ويأتى فى يوم يحصل على خمسة كيلو فيقول لله دره، أى ليس هذا عادتها ولكنه فضل من الله، إذًا فالمطر النازل هو در وفضل من الله، ثم إنه مدرار وهذه صيغة مبالغة كثير يقضى كل حاجات البشر، والحيوان، والنبات وما إلى ذلك، فأعجبنى التفسير فمن هنا بدأت أميل إلى الدخول فى مجال أصول الدين، فالتقى بى فضيلة الدكتور/ عبدالعال أحمد عبدالعال وسألنى لماذا اخترت أصول الدين فقلت استمعت إلى محاضرة فى التفسير أعجبتنى فقال له كل هذا موجود فى اللغة العربية ومن لم يفقه اللغة العربية لم يفقه القرآن الكريم لأنها هى الوسيلة الوحيدة لفهم كتاب الله نزل بلسان عربى مبين. الحمد لله حصلت على جيد جدًّا مع مرتبة الشرف فى كلية اللغة العربية، وحضرت تطوير الأزهر عام ١٩٦١م.

رضا: حدثنا عن تطوير الأزهر فى عام ١٩٦١م وكيف كان هذا التطوير من وجهة نظر طالب فى هذا الوقت بالتحديد؟

د. المهدى: كنا مبهورين بالعلوم الحديثة لأنه دخل فيها تاريخ اللغات السامية، اللغة العبرية، النحو المقارن، بين اللغات السامية بين بعضها مع بعض، فكان الاختيار قائما بعد السنة الأولى أميل إلى اللغويات فأدرس اللغة العبرية والسامية، الأدبيات أدرس اللغة الفارسية، فاخترت من اللغويات اللغة السامية والمقارنات بين اللغة العبرية واللغة العربية واللغات السامية الأخرى كالحبشية، ولكن المردود الحقيقى لهذا التطوير كان صرف النظر عن التعمق فى علوم اللغة العربية، والتى درست فى الأزهر على مدى أكثر من ألف عام لذلك كان الشيخ عبدالحليم محمود ـ رحمة الله عليه ـ معارضًا للتطوير، وكان لابد من الأخذ من التطوير بقدر، فقد كنا ندرس بالثانوى كيمياء، وأحياء، وطبيعة وما إلى ذلك لكن بقدر المعلومات الضرورية.

لذلك كان التطوير خطره على الثانوى وما قبل الجامعة، لأن ما قبل الجامعة تم تسوية الطلاب بما يدرسه زملاؤهم بوزارة التربية والتعليم، وكان هناك خطر آخر وهو

قبول بعض الطلاب بل وكثير من الطلاب الذين لا يحفظون القرآن الكريم للدراسة بالأزهر وتم التساهل فيها والتساهل أيضًا فى إنشاء معاهد أزهرية فى أى مكان يتمكن أهل القرية من بناء معهد بها يفتح، وقد ناقشت فيها فضيلة الإمام الأكبر عبدالحليم محمود فى ذلك الوقت وقلت له نهتم بالكم وليس بالكيف، فقال لى يكفى أن يعرف الناس بعضًا من أمور دينهم لأن الشيوعية فى ذلك الوقت كان هاجمة هجمة شرسة وأنا مهمتى الآن أن أقف أمام الشيوعية، وأنا رأيى أنه فقد تم التصدى لهذا التيار وهو التيار الشيوعى لكن بطريقة غير محكمة حيث لم نهتم بالكيف ولكن كان الاهتمام بالكم لذلك كانت النتيجة ضعف المستوى.... وكان التصدى لهذا التيار بطريقة غير حكيمة حيث لم نهتم بالكيف ولكن كان الاهتمام بالكم لذلك كانت النتيجة ضعف المستوى.

رضا: بعدم أنهيت فضيلتكم دراستكم للغة العربية أكملتم دراستكم مباشرةً أو توجهتم للعمل؟

د. المهدى: يوجد نقطة فى هذا الإطار، فأنا لما كنت ببلدى أدرس بالابتدائى أقيمت زاوية عندنا تابعة للجمعية الشرعية ولم يجدوا أحدًا يدرس أو يخطب فيها إلا أنا، فبدأت وأنا فى الصف الثالث الابتدائى أخطب وأدرس فى هذه الزاوية وكان يشرف عليّ فى ذلك الوقت الشيخ طه الساكت ـ رحمة الله عليه ـ وقد استمر العمل بهذه الزاوية طوال فترة دراستى بالابتدائى، ثم الإعدادى، ثم الثانوى وكان والدى ـ رحمة الله ـ عليه يشجعنى على ذلك بصفته إمامًا فى المسجد الآخر، وبعد انتهائى من دراستى للغة العربية بكلية اللغة العربية توجهت للالتحاق بمعهد اللغات والترجمة للتعمق أكثر فى اللغة الإنجليزية، وفى عام ١٩٦٥ كانت توجد اضطرابات بالبلاد وكان صهرى واعظًا بالجماهيرية الليبية فأرسل إليه أن أدخل مسابقة عقدت بمجمع البحوث الإسلامية وقد نجحت فيها بحمد الله وتم السماح لى بالذهاب إلى ليبيا للعمل بها، وكنت أعمل هناك مشرفًا على مجلة الهدى الإسلامى مع الشيخ محمد أمين هلال منذ عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٦٩م، وكنت فى ذلك الوقت أمينًا لمكتبة الوعظ فى الجامعة الليبية، وكذلك إمامًا لمسجد الزاوية البيضاء الذى هو أول زاوية أنشئت فى العهد السنوسى، وأشهد لهذا الرجل بأنه كان تقيًا، لماذا؟ لأننى

كنت أخطب فى هذه الزاوية وفوجئت بدخول هذا الملك عليّ ومعه حاشيته كاملة من رئيس وزراء ووزراء وكان عمرى حينذاك أقل من ثلاثين عامًا بقليل وكان فى ذلك الوقت يحتفلون بيوم جد الملك محمد السنوسى، وكان منهج هذا الملك تطبيق الشريعة الإسلامية ومع أن هذا الملك حفيد للسنوسى إلا أنه كانت توجد خمارة ملاصقة لهذه الزاوية بليبيا ونحن ننادى مليك البلاد بأن يتخلص من هذه الخمارة وأن ينهج منهج جده فى تطبيق الشريعة ونحن نعلم بأن أمريكا وروسيا لا ترضى بذلك ولو كان ذلك موجودًا أيام الرسول ـ ﷺ ـ لقالها، وقد كنت قلتها كلمة لله وكان ظنى أن أنزل من هذه الخطبة وأن أعود إلى مصر، فإذا بهذا الرجل يرسل إلى رئيس الجامعة بطلب أن ثبت هذا الشاب وكافئه، وهذا دليل على أنه لم يغضب من التوجيه، المهم أنه قامت ثورة القذافى فى عام ١٩٦٩م وكان ينادى بأن كل من له صلة بالملك أن يرحل وكان يسمى عهد السنوسى «العصر المباد» فجئت إلى مصر فى يوم ٢٣ أكتوبر عام ١٩٦٩م وكانت هذه منحة من الله، لماذا؟ ذهبت لكلية اللغة العربية لإكمال دراستى ووجدت لائحة بالكلية أنها لن تقبل بالدراسات العليا من مضى على تخرجه أكثر من أربع سنوات وكان باقى على إكمالى أربع سنوات أسبوع واحد فقط والحمد لله واصلت دراساتى العليا ورجعت إلى جريدة الأهرام وكنت قبلها أعمل مصححًا لغويًا فى جريدة الأخبار.

رضا: حدثنا فضيلتكم عن هذه المهنة حيث إنها لصيقة الصلة بالصحافة؟

د. المهدى: الحقيقة أنه خلال فترة عملى بجريدة الأخبار كان الكاتب الصحفى الكبير مصطفى أمين لا يثق فى مراجعة كلامه إلا معى شخصيًا، وكذلك بجريدة الأهرام الأستاذ محمد حسنين هيكل وكان خطهم الاثنين صعب القراءة، وكان أيضًا العقاد له كلمة أسبوعية ـ حديث الأربعاء، وقد عاشرت كبار الصحفيين بالجريدتين فى ذلك الوقت. وكانت تأتى لنا أخبار كثيرة مهمة ولا تنزل للنشر، فكنت أطلع عليها بصفتى مراجع لغوى لكل شىء.

ومن النوادر أيضًا زيارتى للأستاذ العقاد بمنزله فى يوم جمعة فكان له جلسة مع العلماء (صالون العقاد) فسأله أحدهم لماذا يزيف الدين؟

وكان العقاد حاضر البديهة جدًّا، فقال له ولماذا يزيف الذهب؟ أليس لأن للذهب قيمة؟

هذا فى صالح الدين وليس ضد الدين.

وقد قضيت قرابة خمس سنوات بجريدة الأهرام وأثنائها اتصل الشيخ عبدالعزيز عيسى وكان وزير الأزهر بمدير تحرير الأهرام وقال له أنا أريد فلان بمكتبى ولو بعض الوقت فتم انتدابى للعمل مدير مكتب وزير الأزهر، فكان فى ذلك الحين وزيرًا للأزهر ووزير للأوقاف، فكنت همزة الوصل بين الأزهر وكل الصحفيين من يريد أى أخبار عن الأزهر أنا الذى أزودهم بها وأى بيانات أو معلومات كانت لدى. وكان مما يذكر وللأمانة بأن الشيخ عبدالعزيز كان لديه مشروع لتطوير الأزهر، وهو أنه أرسل لمصلحة المساحة بأن تأتينا بإحصائية تحصر بها جميع قرى مصر وعدد سكان تلك القرى، وكان هدفه أن يقام معهد دينى ابتدائى لكل خمسة آلاف نسمة واعتمد لتنفيذ هذه الخطة على ميثاق ٣٠ مارس آنذاك، وكانت توجد مادة بالميثاق تقول بأن لا يقل الدارسون للدين عن ١٠٪ من مجموع السكان، فلما تم عمل الحصر وجدنا أنه لا يوجد سوى ٢٪ فقط وبالتالى هناك عجز ٨٪ حينها طالب الدولة بتطبيق الميثاق وتنفيذ بقية الـ ٨٪، وكان إذا زاد العدد فى المرحلة الثانوية على خمسة عشر ألف تلميذ ننظر فى أى كلية يمكن إقامتها لخدمة هذا العدد من الطلاب، وتم عمل تخطيط كامل لمصر وكان رئيس الوزراء فى هذا الوقت الدكتور عبدالعزيز حجازى، وكان وزير الأوقاف الدكتور عبدالعزيز كامل وكان يطلق عليها وزارة العبازة ـ عبدالعزيز حجازى وعبدالعزيز كامل وعبدالعزيز عيسى ـ وحدث سوء تفاهم بين عبدالعزيز حجازى والرئيس السادات فلغى الوزارة وجاء بممدوح سالم، وهكذا انتهى المشروع الأزهرى.

وبعد هذا التحقت بالدراسات العليا بكلية اللغة العربية لمدة عامين وأنا بجريدة الأهرام، وحصلت على درجة الماجستير وكان تخصص الماجستير فى اللغويات، وكان نظامها الدراسة سنتين وبعدها عمل قاعة بحث ومن ثم الحصول على درجة الماجستير، وكان عن نظام التوكيد فى اللغة العربية وبعد حصولى على الماجستير قمت بالتسجيل لدرجة الدكتوراه وأنا ما زلت بالأهرام. وتم الإعلان عن احتياج

الجامعة لمعيدين بأسيوط، فتقدمت وتم اختبارى وقبلت وعُينت بها وكان ذلك فى بداية السبعينيات من القرن العشرين جلست بها عامًا ثم نقلت إلى معهد الدراسات وناقشت رسالة الدكتوراه بعدها فى اللغويات أيضًا كان ذلك فى يوم العاشر من رمضان فى هذه السنة وكان المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمد رفعت فتح الله عضو مجمع اللغة العربية، وكان عفيفًا جدًّا فكنت أحصل على نسخة من جريدة الأهرام مجانًا وحينما أكون عنده كان يأخذها ويعطينى قرش ونصف ثمن الجريدة آنذاك وكنت أقول له لم أشتريها يا مولانا فكان يقول أنا أريدها وسأشتريها وهذا حقك، وكان من لجنة المناقشة الدكتور محمد بدوى المختون من كلية دار العلوم، والدكتور عبدالعظيم الشناوى أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية، والحمد لله كان تقديرى ولله الحمد ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة، وبعدها عُينت مدرسًا بالكلية واستمر الحال بى بالكلية من مدرس إلى أستاذ مساعد ثم تم إعارتى إلى مكة المكرمة للعمل بجامعة أم القرى، من عام ١٩٧٩-١٩٨٢، ثم عدت إلى القاهرة، ثم العودة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ عام ١٩٨٧ حتى ١٩٩٢م.

رضا: ما الفرق بين التدريس بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والمناهج التى يتم تدريسها بالأزهر عندنا بمصر؟

د. المهدى: معظم ما يتم تدريسه بهاتين الجامعتين كانت تماثل ما يتم تدريسه بالأزهر تمامًا، لكن نقطة الاختلاف الوحيدة فى مسألة العقيدة التى تتمثل فى الألوهية والربوبية وما شابهها.

رضا: الأزهر يُدرس فيه جميع المذاهب الإسلامية، لكن هناك لا يُدرس إلا مذهب واحد؟

د. المهدى: على العموم تأثير أساتذة الأزهر فى الفترة الماضية حول كثيرًا من النظر إلى مذهب واحد فقط إلى النظر إلى بقية المذاهب وبالتالى من تخرجوا من الدارسين فى الجامعتين تقربوا أكثر إلى الأزهر، فهل نحن أحرص على الإسلام من النبى ﷺ حينما فهم أحد الصحابة نص (لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة) ففهمه على ظاهره فقال لا أصلى، والثانى فهمه على مقصده، فأجازهما النبى ﷺ،

فالإسلام دين الوسطية ويفتح آفاقًا للفهم وإلا فما الداعى لوجود العقل إذ لم يفهم النص؟

وحينما كنت بالمدينة المنورة طُلب منى محاضرة عن أثر الدرس اللغوى فى فهم النص الشرعى فى الحقيقة لم يكن فى ذهنى إطلاقًا أن أوجه هذا السؤال، فالسؤال فى النحو والصرف وما نحوها، فألقيت محاضرة لأكثر من ساعة ونصف وكانت بحضور رئيس الجامعة ووكيل الجامعة والعمداء والأساتذة بالجامعة وكان يستغربون أن اللغة بها هذا ولذلك قمت بطباعة هذه المحاضرة وكان لها أثر طيب فى ضرورة دراسة اللغة العربية لفهم النص الشرعى.

رضا: خلال فترة كبيرة من حياة حضرتك كنت عضوًا بنقابة الصحفيين ورئيس لجنة الإشراف على إعداد الدعاة ومهام أخرى لكن من أهم هذه المهام عضويتك فى لجنة تقنين الشريعة الإسلامية نريد أن نتوقف عندما كنت عضوًا بلجنة تقنيين الشريعة بمجلس الشعب وكيف كان يتم العمل فيها؟

د. المهدى: وأنا بليبيا كان هناك مكتب للنشر والصحافة وكان معنا فيه الأستاذ الدكتور محمد بيصار قبل أن يكون شيخ الأزهر واطلع على ما كنت أقوم به هناك فى ليبيا فحين وصلت من ليبيا قال لى أريدك معى فى وزارة الأوقاف، فلما تولى مشيخة الأزهر، أسند إليه مهام إنشاء مكتب فنى كالذى كنت أعمل به فى ليبيا، فى ذلك الوقت كانت أعمال تقنين الشريعة بدأ العمل فيها، ولا أدرى حقيقة من الذى رشحنى لأن أكون عضوًا فى هذه اللجنة؟ قد يكون هو وقد يكون غيره الله أعلم المهم جاءنى خطاب من مجلس الشعب بأن أكون عضوًا بهذه اللجنة، وذهبت إلى هذه اللجنة وكان فضيلة الشيخ جاد الحق آنذاك مفتى الديار المصرية وكان رئيس اللجنة الدكتور صوفى أبو طالب هو الرئيس العام لكن كانت هناك عدة لجان مختلفة، فكنت عضوًا فى اللجنة الاجتماعية وكانت هناك أيضًا لجنة الأحوال الشخصية، وبعد مباحثات ومناقشات مع فضيلة الشيخ جاد الحق عن تزويج البنت بدون ولى أمرها على مذهب الإمام أبى حنيفة، وكانت فى ذلك الوقت حادثة مشهورة وهى أن مدير عنده سيارة وكان لهذه السيارة سائق استمال إحدى بنات هذا المدير وأقنعها وأخذها عند مأذون وعقد عليها بدون إذن ولى أمرها ثم طلب من أبيها فدية حتى يطلقها فصارت المناقشة

بينى وبين الشيخ جاد الحق فى هذا الموضوع وقلت له يا مولانا لو كنا نتبع المذاهب الثلاثة الباقيين ما كانت هذه الحادثة أن تحدث، فقال العُرف المصرى جرى على هذا وهذا لا يعطيه قدسية، ثم أن عندنا الحديث الصحيح عن النبى ﷺ وفى يوم من الأيام أصدرت الصحافة قانون الأحوال الشخصية المعروف، ثم سافرت إلى مكة المكرمة فى الإعارة ١٩٧٨، وكان يوجد باللجنة مستشارين ولأننى لست متخصصًا فقه فكنت أقرأ جميع المشروعات، مشروع قانون من السودان، مشروع قانون الشيخ عبدالحليم محمود وأعود إلى كتب المراجع القديمة، فكنت أذهب للجنة مستعد للمناقشة وكان المستشارون يسألوننى ماذا عندك فأقوم بسرد الآراء التى توصلت إليها ومن ثم أعرض رأى فى الموضوع بكل أبعاده وبجميع الآراء.

رضا: شد نظرى وجود فضيلتكم مستشارًا لغويًا بمحكمة النقض من عام ١٩٨٣ حتى عام ٢٠١٢م.

د. المهدى: لفت نظر وزير العدل بأنه تصدر أحكام من محاكم النقض بالجمهورية من المستشارين وبها أخطاء لغوية بها ثغرات يستغلها المحامون فى الاعتراض، فاتصل برئيس جامعة الأزهر وطلب منه أن يمده بمجموعة من المتخصصين فى اللغة لضبط منطوق الحكم وأسبابه حتى لا يمكن التلاعب به من قبل المحاميين، واستمريت معهم لمدة سبعة عشر عامًا ومنذ شهر تقريبًا تم انتدابى لرؤساء النيابة لإعلامهم بالأخطاء الشائعة فى أحكامهم.

رضا: بالنظر إلى مؤلفات فضيلتكم الكثيرة والمتنوعة وجدت أن أكثرها متخصص فى اللغة، ووجدت بعضها يتطرق لموضوع حقوق الإنسان فى الشريعة الإسلامية.

د. المهدى: أريد أن أقول لك أنه ولله الحمد أن جميع بحوثى اللغوية التى قمت بها كانت متعلقة بالقرآن الكريم، على سبيل المثال رسالة الدكتوراه كانت فى القرآن الكريم، وأكثر البحوث التى قمت بإجرائها من أجل الترقية معظمها كان يتعلق بنص قرآنى أما مسألة حقوق الإنسان فلها قصة، فى سنة ١٩٦٨م عقد مؤتمر لحقوق الإنسان وكنت حينها فى ليبيا وطُلب من ليبيا أن تساهم فى هذا المؤتمر فكلفنى شيخ الجامعة هناك الشيخ عبدالحميد الديبانى بأن أكتب هذا الكتاب (حقوق الإنسان

فى الإسلام) مقارنةً بحقوق الإنسان التى ينادى بها فى الأمم المتحدة (ميثاق الأمم المتحدة).

وجلست طيلة شهر كامل حينها بصفتى أمين مكتبة أبحث فى الكتب حتى أخرجت هذا الكتاب، وتم تسليمه للشيخ بدون توقيع منى لأنه سَيُرسل باسم الجامعة أو باسم ليبيا وأرسله الشيخ باللغة العربية كما هو، واللغة العربية فى ذلك الوقت لم تكن معتمدة فى الأمم المتحدة كلغة رسمية فتم رده مرة أخرى لترجمته إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وتم ترجمته إلى اللغة الفرنسية ومن خلال هذا الكتاب جعلنى أنظر بتعمق فى ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، فعلى سبيل المثال حرية الرأى فإن كان الرأى صائبًا وجب علىَّ أن أقوله وهذا نفس ما يدعو إليه الإسلام لأنه على المسلم واجب بأن يعلن رأيه بقوة وشجاعة، لكن ميثاق الأمم المتحدة أغفل حرية الإعفاف وحوى كتيبى هذا على ما يتوافق مع كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وتم عرضه فى الأمم المتحدة.

رضا: كتاب (الأسرة فى ميزان الإسلام).

د. المهدى: كان يوجد برنامج فى بعض الفضائيات تولى مسألة المرأة والأسرة وحقوقها فعملت حلقات فى هذا الإطار لأُبين موقف الإسلام من حقوق المرأة وحقوق الأسرة، وكان التركيز منصبًا على المرأة ولكن أين الأب من هذا كله فالأسرة منظومة واحدة إذا صلحت صالح المجتمع ككل.

رضا: كتاب يبدو أنه مهم جدًّا (تيسير معانى القرآن فى أجزاء).

د. المهدى: رأيت الناس فى رمضان يصلون كل ليلة بجزء من القرآن الكريم ويسمعونه من القارئ ولا يتدبرون فيما يسمعون فاقترحنا فى الجمعية الشرعية بأننا نتناول هذا الجزء فى خلال ثلث ساعة أو خمسة وعشرين دقيقة فقط بما يتضمنه هذا الجزء وتم تسجيله فى الفضائيات ومن ثم تم جمعه فى كُتيب صغير لمساعدة من يقرأ، ولأول مرة بأسلوب بسيط وسهل فيه تيسير لمعانى القرآن الكريم حتى يحصل عليه العامة من الناس، ومن خلاله يتم قراءته يوميًا وليس فى شهر رمضان فقط.

رضا: كتاب فى حقائق قرآنية والرد على الشبهات.

د. المهدى: هذا الكتاب تم طباعته فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأساسه حينما كنت فى أمريكا فى نيويورك ذهبت إلى مسجد يسمى مسجد الإيمان وكان مسجدًا سلفيًا فكنت من خلال المحاضرات التى ألقيها أعمل على تقريب وجهات النظر والرد على الشبهات وكان حينما يسمع الناس هناك بأنه يوجد رجال من الأزهر يأتوا إلينا لمناقشتنا والسماع منا والمناقشة فى الترجمة لأنه يوجد أخطاء فى الترجمات الخاصة بالقرآن الكريم وحينما اجتمعت مع المسلمين القائمين هناك لاحظت أنهم واقعين بين السندان والمطرقة فاليهود لا يُمكنون مسلمًا من أن يتفوق اقتصاديًا، فهناك خط أحمر إذا وصل إليه مسلم لابد من محاربته لذلك المسلمين هناك عارفين حدودهم، والنقطة الثانية التشكيك فى القرآن الكريم، وفى العام التالى طُلبت فى مسجد آخر بنيويورك لكن بعيد عن المسجد الأول وكان شباب من فلسطين مسيطرين على هذا المسجد وكان يوجد خلاف بينهم وبين آخرين من دعاة الإيمان وقد حاولت التقريب بينهم وطلبت منهم إحضار علمائهم هنا وعلماء الآخرين لنجتمع سويًا، وتم الاتصال بى مرة أخرى وطلبوا منى أن أذلل المصطلحات والرد على الشبهات بأسلوب سلس، وقالوا لى نتحاور معاك عن طريق البالتوك وأنت بمصر ونطرح الأسئلة وتجيب لنا عنها قلت موافق فهذه هى الشبهات التى تمت مناقشتها.

رضا: أمامى فى منحى من مناحى فضيلتكم أنكم قمتم بزيارة معظم دول العالم، كيف رأيتم هذه الزيارات الدعوية؟

د. المهدى: كان معظم هذه السفريات مؤتمرات عالمية كانت تضم صفوة من علماء الأمة لمناقشة شتى القضايا ولكن كانت تخرج منها الوصايا والتقارير ولا يتم الاستفادة منها حيث إنها توضع فى الأدراج ولا يتم تطبيقها لأنها لا تعتمد على دور العلماء ولكنها تعتمد على القرار السياسى لو تم جمع وتطبيق كل هذه التوصيات التى نوقشت فى المؤتمرات لصلح حال الأمة. وبصفتنا نحن الجمعية الشرعية دخلنا كعضو بمجلس الإسلام العالمى للدعوة والإغاثة الذى يرأسه فضيلة شيخ الأزهر ومن خلالها بدأنا الدخول إلى أفريقيا وبقية دول العالم التى يوجد بها مشاكل. ففى أفريقيا شعار (اترك الإسلام تعيش سعيدًا) خاصةً فى النيجر لذلك أقمنا هناك مسجدًا كبيرًا وبدأنا فى الدعوة إلى الإسلام فى هذه البلاد.

رضا: الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة التى أنشأها الشيخ محمود خطاب السبكى فى عام ١٩١٢م وباعتبار فضيلتكم الرئيس السابع للجمعية الشرعية، الجمعية الشرعية كيف تدار وتعمل؟

د. المهدى: هذا الرجل ـ رحمة الله عليه ـ كان فلتة من فلتات الزمان فى علماء مصر، أولًا لم يبدأ دراسة الدين إلا بعد سن العشرين فكان يعمل بما يعلم وهذا شىء مهم جدًّا فى الداعية (تزكية نفسية) فهو كان صوفيًا فى الأساس وعلى نهجه سار الشيخ محمد زكى إبراهيم فهو قام فاختط لنفسه خطة فى هذه الجمعية.

أولًا: تقوم على هدفين: الدعوة والعمل الصالح، وبصفته أزهريًا اختار المنهج الأزهرى الوسطى المعتدل فى الدعوة وكان هذا المنهج هو المتبع فى الجمعية، ومن حسناته أيضًا أنه أوصى بأن لا يتولى رئاسة هذه الجمعية إلا عالم أزهرى، ولذلك جاء من بعده ابنه الشيخ أمين وكان أستاذًا فى كلية الشريعة بالأزهر، بعده الشيخ يوسف من الأزهر أيضًا، ثم جاء الشيخ عبداللطيف مشتهرى، ثم جاء الشيخ محمود فايد، ثم الدكتور فؤاد مخيمر، ثم العبد الفقير منذ ١٢ سنة متحملًا عبء هذه الجمعية.

رضا: على الموقع الخاص بالجمعية على شبكة الإنترنت توجد خدمات دعوية واجتماعية وغيرها، نأمل أن تحدثونا فضيلتكم عن هذه الخدمات باعتبار أنها تمس حياة المسلمين؟

د. المهدى: بدأت المسألة فى التحول منذ ما يقرب من ٢٨ عامًا بمشروع كفالة الطفل اليتيم لأن الإسلام حثنا كثيرًا على كفالة الأيتام، وفى الوقت نفسه لو ترك اليتيم بدون رعاية فسيشكل عامل خطورة على المجتمع بأسره، فإن لم نرعاه لتحول من طاقة بناءه إلى طاقة هدامه له ولمجتمعه، فمن هنا بدأنا عملنا الخيرى من هذا المشروع الحيوى المهم، تبعه مشروعات ضخمة جدًّا جدًّا، منها العمل على تشغيل أم هذا اليتيم كى لا تعتمد على ما تأخذه من إعانة من الجمعية، مشروع تزويج الفتيات اليتيمات وتجهيزهن، وكذلك كفالة اليتيم فى دراسته حتى الحصول على درجة الدكتوراه، ومن ضمن هؤلاء كل عام على الأقل عدد ١٥٠ طالبًا حاصلين على درجة الدكتوراه فى الطب، الهندسة، وبقية العلوم الأخرى كانت تكفلهم الجمعية الشرعية. فوجدنا الحرج

الشديد فى موضوع الدواء والأمراض التى تصيب فقراء المسلمين، فبدأنا بإنشاء المركز الطبى الذى يرعى الأمراض المستعصية منها على سبيل المثال: الأورام، أجهزة الأشعة بجميع أنواعها: رنين، قلب... إلخ وكل هذا لخدمة جميع المصريين.

رضا: فى نهاية الحديث تُتهم الجمعية الشرعية بأنها تكون طرفًا فى أمور سياسية

د. المهدى: الجمعية الشرعية صارت على مناهجها لم تختلف عليها لأنها هى خطها المستقيم لخدمة الإسلام والمسلمين، فهى لم ترتبط ولن ترتبط بنظام معين، فهى قائمة منذ ١٠٣ سنين لم يحدث منها إطلاقًا فى أى وقت أو عهد تدخل فى المسائل السياسية، والشيخ السبكى ـ رحمه الله ـ كاتب هذه النقطة من ضمن الوصايا بعمل الجمعية (فى منهجه)، متمشيًا مع منهج الإمام محمد عبده لخدمة الإسلام والمسلمين فتربية الناس أهم لأنه حينما يربى الناس سوف يتم من خلالهم اختيار ما يريدون.

رضا: ماذا تقول لنفسك بعد هذه الرحلة الطويلة.

د. المهدى: أقول لنفسى.. أدعو الله عز وجل أن يختم بالصالحات عملى لأننى الآن تجاوزت الخامسة والسبعين ثم أوجه حديثى إلى طلاب الأزهر ليس هناك أية عقبات تقف أمام المخلص لتبليغ تلك الدعوة وليعلم كل منكم أن هذه هى المهمة الأساسية التى قال الله فيها ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. ولابد أن نتخلق بأخلاق نبينا محمد قبل أن ندعو الناس بالالتزام بهذه الأخلاق.

بروفايل

دماثة الخلق مع الدين الظاهر فى الكلمة والنظرة وفى الهدوء الواثق المتواضع الوقور وفى طريقة عرضه للفكرة بكلمات لا زيادة فيها ولا نقصان حتى تلحظ ذلك فى إعراضه عن المواطن التى تؤدى إلى الشقاق والخلاف، ودودًا يظهر ذلك فى وجهه المبتسم ابتسامة الرضا.

قضيت معه حوالى ساعتين أثناء التسجيل معه كان سلسلًا أثناء إعطائى كل ما

عنده مما سألت عنه كما جرى فى الحوار، وبعد أن انهينا جلستا فى الاستديو لأكثر من ساعة فبث إلىَّ همومه، ولم تكن همومه الشخصية ولكن هم دعوة أصابها من عملوا بالسياسة فى مقتل حيث أحلوا أعمالهم التى يجوز عليها الخطأ والصواب محل الدين وأوهموا الناس أنهم هم الدين، وأسر إلىَّ بأنه نصحهم بالبعد عن السياسة وأن الذى سَيُتهم الإسلام وأن الضرر سيقع على الدعوة، وعبر بوجهه الذى علاه الحزن عن أسفه على هذه التجربة وعن مسئولية هؤلاء عما أصاب الدعوة على أيديهم لكن وجهه انفرج وأضاءت ثناياه فرحة عندما تحدث عن الخدمات التى تقدمها الجمعية الشرعية للفقراء واليتامى وكيف أن الله ييسر لهؤلاء الأمور ويفتح لهم القلوب ويغدق عليهم من فضله. وكيف أن الإدارة لهذه المنظومة إدارة حازمة تراعى ـ ما استطاعت ـ أن تصل الخدمات إلى مستحقيها وشكى ممن يهاجمون دون أن يطلعوا على كيفية سير العمل وعن الرقابة على أموال هذه الجمعية المنتشرة فى كل ربوع مصر تساعد الدولة فى سد احتياجات الفقراء والمرضى واليتامى وغيرهم، وهذه مهمة يجب أن يُعان عليها من يقومون بها من ناحية على أن تبقى الرقابة الواجبة من الدولة منعًا لأيدى الفساد من أن تتسلل إلى هذه المؤسسات الخيرية.

وفى نهاية لقائنا حكى لى عن من وقف معهم وساندهم وأظهروا تقى ولكنهم بعد أن ازدانت لهم الدنيا وجلسوا فيها مجلسًا وثيرًا نسوا ماكان بل وأداروا لمن فتحوا لهم الأبواب يومًا ظهورهم بل وحاربوهم وهز رأسه وهو يحدثنى أسفًا على هذا النوع من الرجال.

وطلبت منه الدعاء لأننى أطلب الدعاء ممن أتوسم فيهم سيم الصلاح والتقى وافترقنا وظللت بعدها أسأل عليه حتى مرض مرضه الأخير وقبل موته بعدة أيام اتصلت به وسمعت صوته جاءنى ضعيفًا عبر التليفون وبعد قليل انقطع الاتصال بيننا إلى لقاء عند الله فى جنته إن شاء الله وكأنما صوته الذى سمعته عبر التليفون هو وداعه الأخير معى وكان نبأ وفاته فى الخامس عشر من فبراير ٢٠١٦ ـ رحمه الله ـ الذى هز مشاعرنا لما كان له فى قلوبنا من حب وتقدير وثقة.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فى أعلى عليين.

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العدوى

رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب الأسبق
وعضو هيئة كبار العلماء وأستاذ الفقه المعروف

عندما يعانق العلم التقى وعندما تكون الحياة سبيلا للرضا.

أقوال فى الحوار

- قال لى شيخ المعهد عندما اختبرنى فى القرآن «يظهر إنه نزل من بطن أمه حافظ القرآن الكريم».
- كنا نلعب فيها الكرة الشراب فى حارة حسب الله فى طنطا.
- كان الأستاذ عندما يدخل علينا كنا نتسابق فى حمل حذائه احتراما لشخصه.
- على الرغم من أن والدى كان شافعيا إلا أننى قد اخترت المذهب الحنفى.
- أطروحة الدكتوراة التى قدمتها كانت فى علاقة السببية فى الفعل الجنائى فى الشرع الإسلامى.
- قال لى الدكتور عبد الحليم محمود وقتها «عرف الله صدق نيتك فاختار لك الحرمين الشريفين فهنيئا مااختاره الله لك».
- النظم التى وضعها الإسلام إنما شرعت لخدمة الإنسان وليس لشقائه.
- التجديد ينشأ مع تجدد نظام الحياة.

هذا العلامة الكبير كنت أعرفه من خلال وسائل الإعلام المختلفة وكنت أراه عندما انتقلت إلى إذاعة القرآن الكريم حينما كان يسجل فى برنامج «بريد الإسلام» وكا متواضعا رقيقا لكن لم يكن بينى وبينه كلام وقتها حتى دخلت وأنا مذيع فى إذاعة القرآن الكريم كلية الدعوة الإسلامية للدراسة فكان هو الذى أمتعنا بدراسة الفقه فى الأربع سنوات فى هذه الكلية العريقة بكتابه الذى سنشير إليه فى الحوار «الوسيط» حيث يحمل العمق مع الإحاطة والعرض المتمكن بالإضافة إلى أنه كان يدلى برأيه فى بعض المسائل الفقهية وهو مالم تجده كثيرا فيمن يدرسون الفقه إذ يقتصر عملهم على عرض آراء المذاهب دون ترجيح وبعد انتهاء الدراسة كنت أتابعه فى وسائل الإعلام حتى عين فى مجلس الشعب وانتخب رئيسا للجنة الدينية وتابعت المعركة الكلامية وقت عرض قانون الخلع الذى كان وراءه الدكتور عبد الرحمن العدوى ثم اختفى فترة يعد مجلس الشعب وإن كان فى هيئة كبار العلماء وعضو مجمع البحوث الإسلامية وكان اختفاؤه فى الإعلام لأن الإعلام أصبح مقتصرا على كل من هب ودب ليفتى فتوارى قليلا احتراما لعلمه وتاريخه وهكذا العلماء الكبار.

وعندما عقدت العزم على الاتصال به حاولت أن أعرف كل شيء عنه ثم اتصلت به فجاءنى صوته نقيا وإن كان الزمن كائنا فيه يعلن عن نفسه فشرحت له فكرة البرنامج فوافق فذهبت إليه فى بيته بمدينة نصر فوجدته طيبا مفتوح الوجه يقابلنا ومعه ابنه الأستاذ محمد هذا الرقيق الطيب وابنته الدكتورة إكرام المثقفة التربوية ودارت أطراف الحديث بيننا لأمهد للحديث الذى استمر لساعتين كاملتين نجوب معه فى دروب الحياة وفى ساحات الجامعة وفى مناقشات الفقه وفى الاختلافات والاتفاقات وكان هذا الحوار.

رضا: الميلاد عام ١٩٢٣ فى مدينة طنطا.. كيف كانت النشأة وماهى أهم المؤثرات التى أحدثت أثرا فى شخصية الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العدوى خصوصا أنكم عشتم هذه الفترة أثناء الاحتلال الإنجليزى وفترة الملك فاروق؟

د العدوى: بفضل الله نشأت فى مدينة طنطا فى شارع طه الحكيم وهو شارع

شهير فى طنطا وكان والدى محبا لأهل العلم وكان ضمن جماعة صوفية لها أورادها المعروفة وكان يأخذنى معه فى صلاة الفجر فى المسجد وبعد الصلاة يجلسون للذكر ولقراءة القرآن يوميا حتى تطلع الشمس وكانت هذه الطريقة تتبع الطريقة الشاذلية وحبه لهذا الاتجاه جعله يتمنى أن يتجه ابنه عبد الرحمن لهذا المنحى وأن يكون عالما أزهريا فألحقنى بكتاب الشيخ مسلم جاد الذى كان يحفظ القرآن الكريم وفى سن عشر سنوات حفظت القرآن الكريم مما أهلنى للالتحاق بالمعهد الأحمدى الأزهرى داخل المسجد الأحمدى وهو الوحيد فى المنطقة آنئذ فلما تقدمت وجدوا أن سنى صغير فلم يكونوا يقبلون إلا بداية من سن اثنتى عشرة سنة فأخذت أوراقى بنفسى فى هذه السن الصغيرة لكى أقدمها فى المعهد فلما رآها الباشكاتب قال:

الأوراق غير مكتملة وأنت سنك صغيرة لاتصلح للدخول فتصادف وجود شيخ المعهد فى هذه اللحظة فسألنى عن حفظى للقرآن فقلت له إننى أحفظه عن ظهر قلب قال وهل أنت مستعد أن أختبرك فيه قلت على الفور نعم وأخذ يسألنى فى القرآن كله فنظر إلى الباشكاتب وقال له:

«يظهر إنه نزل من بطن أمه حافظ القرآن الكريم».

وأمره بأن يأخذ الأوراق وحصل لى على استثناء خاص من المجلس الأعلى للأزهر عن شرط السن وقتها وأصبحت طالبا أزهريا من وقتها.

وأذكر بعد حوالى ثلاث سنوات أن خطيب المسجد الذى كان يصلى فيه والدى توفاه الله ففوجئت بوالدى وقد اتفق مع رواد المسجد على أن أخطب الجمعة فارتعدت فرائسى وقلت كيف فقال:

«انت هاتكسفنى معاهم».

فقرأت فى كتاب من كتب الخطب وقتها ووقفت على المنبر ومن شدة خوفى كنت أركن على قدمى اليمين تارة وعلى الشمال تارة ولكن كانت هذه البداية لاعتلاء المنابر من سن ثلاث عشرة سنة وقضيت الابتدائية والثانوية الأزهرية فى تسع سنوات.

وكانت مصر كما تعرف ملكية وكان الملك فاروق عندما كان يريد السفر إلى الإسكندرية كان المعهد كله يخرج إلى محطة قطار طنطا لتحية الملك فاروق فكان

معدا له صالون فى القطار وكنا نقف للهتاف للملك ونحن صغار وكنت أرى بجانب الملك كان يقف الوزراء وهذه الصورة لاتمحى من ذاكرتى.

وهذه الفترة كانت هادئة بشكل عام وكنت كطفل لم أكن على اتصال بشىء فى هذه الأوقات سوى طلب العلم وكنا فى هذه الفترة فى حارة ضيقة تسمى «حارة حسب الله» كنا نلعب فيها الكرة الشراب.

وكنا ندرس فى هذا الوقت فى المسجد الأحمدى ونجلس على الحصيرة وكان الشيخ يجلس على الكرسى ونحن نجلس حوله وإذا رفع أذان الظهر نقوم للصلاة فى صورة رائعة حيث كنا أكثر من أربعمائة طالب ثم نعود للدراسة.

وكنا ندرس جميع المذاهب حسب اختيار كل منا وكان الأب دائمًا يختار لابنه المذهب الذى هو عليه عادة وكان النظام هو نفس النظام المدرسى من حيث الغياب والحضور والامتحانات التى كانت تجرى فى ساحة المسجد أيضًا.

ودرسنا التجويد بداية بتحفة الأطفال ثم بعد ذلك الجزرية فكنا بذلك نحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا وبعد الابتدائية تكون الفرحة لأننا سنجلس على كرسى بعد أن كنا نجلس على الأرض فى المسجد الأحمدى فى الابتدائية.

وكانت العلاقة بين الاستاذ والتلميذ علاقة مثالية لدرجة أن الأستاذ كان عندما يدخل علينا كنا نتسابق فى حمل حذائه احتراما لشخصه ولم يكن من الأساتذة من يقسو على طالب ولم تكن «الخيرزانة» ولا «العصا».

رضا: اختيارك لكلية الشريعة والقانون لماذا؟

د العدوى: حصلت على الثانوية الأزهرية من من المعهد الأحمدى بمدينة طنطا وكنت من المتفوقين وكان لابد من السفر إلى القاهرة لدخول جامعة الأزهر فكان قرار الوالد رحمه الله بالانتقال بالأسرة للعيش فى القاهرة من أجل عبد الرحمن وكان الوالد يعمل فى الأعمال الحرة مقاولا للمبانى والتجهيزات مما سهل الانتقال للقاهرة فلم يكن موظفا ولامرتبطا بعمل يقتضى منه ملازمة المكان ودخلت كلية الشريعة فى القاهرة فى منطقة الدراسة الآن وكان يدرس لنا الفقه الشيخ محمود الدفتار والد الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار رحمهما الله وكان حنفيا وهو الذى

حبب إلى المذهب الحنفى على الرغم من أن والدى كان شافعيا إلا أننى قد اخترت المذهب الحنفى وذلك لأنه كان من المعروف أن القضاة كانوا لايختارون إلا من المذهب الحنفى وكانت لنا طموحات فى أن نعين قضاة لذا كان اتجاه معظمنا إلى دراسة المذهب الحنفى وكنت دائما من الخمسة الأوائل على دفعتى وتشهد الشهادات بذلك دائما وكان مقررا علينا كتاب الاختيار فى المذهب الحنفى بالإضافة إلى النحو والإنشاء واللغة العربية وكان شيخ الأزهر وقتها الشيخ الظواهرى وجاء بعده الشيخ المراغى.

وكان المتبع فى الأزهر فى هذا الوقت كان التدريس عبارة عن مناقشة بيننا وبين الأساتذة وأذكر أننا كنا نناقش فى كل شىء وكان الأساتذة يتيحون لنا هذا بسعة صدورهم خاصة فى أمور الفقه والشريعة التى كانت محلا للسعة والاختيار بين المذاهب وأذكر أن أطروحة الدكتوراة التى قدمتها كانت فى علاقة السببية فى الفعل الجنائى فى الشرع الإسلامى وكانت فرصة جيدة للتبحر فى علوم الشريعة خاصة أن علاقة السببية تشمل جميع الأفعال التى يأتيها الفرد مختارا وكانت المناقشة عام ١٩٧٨وعملت بعدها مدرسا فى كلية الشريعة والقانون.

وأذكر أن الملك فاروق كان يدعو المتفوقين من كل الكليات لاستضافتهم فى الإسكندرية وكنت ضمن هؤلاء المتفوقين وكان الملك يأمر بأن يكون كل مجموعة قليلة معها سيارة مكتوب عليها سيارة السراية الملكية فكانت السيارة حينما تقف السيارة فى أى مكان وننزل منها بزينا الأزهرى الجبة والكاكولا والعمة فيعجب الناس ولكن كان هذا مصدر فخر لنا ونحن شباب وهذا يحسب للملك فاروق واهتمامه بالعلم والعلماء وكنا نذهب بالسيارة لأى مكان نريده وكأننا من الأسرة الملكية.

ومما أذكر من هذه الفترة أن الملك فاروق طلق زوجنه الملكة فريدة وكانت من أفراد الشعب لذا فقد غضب المصريون لها وظهر ذلك فى بعض التصرفات من بعض المصريين وقتها وأذكر أن الملك عندما استضافنا فى القصر فهتف أحد الطلبة بقوله: «يعيش جلالة الملك».

فلم يرد عليه أحد منا وكان ذلك بسبب الملكة فريدة التى كان الشعب يحبها وأذكر

أننا اتفقنا فيما بيننا ألا ننحنى للملك عند دخوله كما يفعل كل الناس وذلك احتراما للعلم وللعلماء ولمكانة الأزهر وفعلا عندما دخل علينا وقفنا جميعا دون أن ينحنى أحد منا وكان ذلك سنة ١٩٤٨ وهو سنة حصولى على كلية الشريعة والقانون.

رضا: عاصرتم كثيرا من الشخصيات الكبيرة من العلماء.. حدثنا عن بعض مواقفك معهم.

د العدوى: منذ تخرجى سنة ١٩٤٨ وأصبحت لى علاقات قوية مع هؤلاء العلماء الكبار على سبيل المثال كنت الأول على دفعتى وكان الأوائل يعينون فى أماكن قريبة ولكن الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر وقتها أصدر قرارا بتعيين الخمسة الأوائل فى معهد مدينة قنا فى الصعيد وكانت وجهة نظره أن هؤلاء لايحظون بالاهتمام بتعليمهم ففضل أن يبعث إليهم الخمسة الأوائل فى شعبة التدريس فكنا نشعر بالظلم إذ كيف ونحن أوائل الدفعة ويطاح بنا إلى قنا فاتفقنا على أن نذهب لمقابلته وشكونا له كيف يتم تعييننا ونحن الأوائل فى قنا وزملاؤنا الأقل فى الترتيب فى القاهرة فقال لنا اسمعوا منى أولا وقال إن معهد قنا لايذهب إليه إلا أصحاب المستوى الأقل لذلك فهم مظلومون فأردت أن نرتفع بمستواهم بإرسال الخمسة الأوائل إليهم لذلك كان التفكير فى إرسالكم لمصلحة هؤلاء فهل تساعدوننى على إصلاح معهد بكامله؟ فقلنا له رضينا مادمت تريد الارتفاع بمستوى هؤلاء الطلاب بثقتك فينا فقال مادمتم كذلك فإن الواحد منكم لايزيد فى قنا عن سنتين وبعدها يختار المعهد الذى يريد فى أى مكان وطلبه حينئذ مجاب.

أما الدكتور عبد الحليم محمود كان يحبنى جدا ويدعونى فى لقاءاته دائما فى مجالسه وأذكر موقفا مع قضيلته أننى كنت مستشارا للجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة أرسل إلى وقال لقد وقع الاختيار عليك لتكون أمينا عاما لجامعة الأزهر ولأننى كنت فى المدينة المنورة وقريب من رسول الله أذهب إليه وأصلى وأسلم عليه فأرسلت إليه واعتذرت له فأرسل لى وقال يجب عليك أن تجتهد فى إصلاح حال الأزهر وأن هذه ثوابها عند الله عظيم أكثر من بقائك فى المدينة المنورة وأرجو أن تفهم كلامى هذا جيدا وأن تستجيب لما طلبته منك فجاءنى الخطاب فأرسلت إليه أقول:

«أنا جندى صغير من جنود الأزهر تضعه القيادة حيث شاءت».

قى هذه الفترة كان الدكتور عبد الحليم محمود قد مرض واعتكف بعض الوقت فعين عبد العزيز قريش أمينا عاما لجامعة الأزهر دون علمه فلما عوفى من مرضه ورأى المنصب قد شغل فى غيابه أرسل لى خطابا رقيقا كنت سعيدا به جدًّا قال فيه: «عرف الله صدق نيتك فاختار لك الحرمين الشريفين فهنيئا ما اختاره الله لك».

وكانت علاقتى وثيقة بالدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر السابق حيث كنت أكبره سنا وكان شديد الأدب معى فكان لايتحدث عنى إلا بقوله أستاذى الدكتور عبد الرحمن العدوى وأذكر عندما كنت مديرا للمساجد فى وزارة الأوقاف كان الدكتور سيد طنطاوى إماما لمسجد شيكولانى بشيرا وكان من عادتى وأنا مدير للمساجد أن أمر على المساجد فى صلاة الفجر لأنى أرى أن الإمام الذى يحرص على الوجود فى صلاة الفجر يكون حريصا على الوجود فى بقية الأوقات وعلى أداء واجباته الأخرى والدكتور سيد طنطاوى كان ملتزما بصلاة الفجر فى مسجده هذا فى بداية عمره وعندما أصبح شيخا للأزهر ذكرته بهذا وكان لى علاقة وثيقة بالشيخ محمد الغزالى وكان من العلماء المخلصين الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمجموعة من الكتب القيمة والمواقف العظيمة.

رضا: اختارك نظام مبارك لتكون رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب بالتعيين فكيف كانت هذه الفترة خاصة أنها تماس واضح مع السياسة وفيها صدر القانون الذى أثار جدلا واسعا وهو قانون الخلع؟

د العدوى: الحقيقة أننى قد رشحنى الأزهر لأكون عضوا معينا بمجلس الشعب وقتها ثم انتخبت داخل المجلس لأكون رئيس اللجنة الدينية بالمجلس وكنت وقتها عضوا بمجمع البحوث الإسلامية فجمعت بين النشاط العلمى والنشاط السياسى فى هذا الوقت والسياسة فى مصر لها تقلباتها فمصر مرت فى تاريخها بمراحل مختلفة لكنها دائما كانت فى مركز القيادة لما تحمله من تاريخ ومواقف.

وقانون الأحوال الشخصية كان مطروحا فى هذا الوقت وكان من بينه الخلع بأن يكون الحق للمرأة أن تختلع من زوجها وهذا الموضوع أخذ مناقشات عديدة

بين مؤيد ومعارض والحقيقة أن الخلع ينقذ المرأة من تلك الحياة البائسة مع رجل لاتحبه ولاتريد العيش معه فهى تطلب الخلع وهو يوافق على ذلك ولامانع من ذلك فى الشرع الإسلامى الذى يستجيب لحاجات الإنسان ولذلك كنت من المؤيدين لهذا القانون لأن المرأة لها عواطفها وأحاسيسها التى يجب أن تحترم ونحن عندما نتجاهل هذه المشاعر فإن حياتها تكون حياة بائسة لاتطاق لأن الإسلام إنما جاء لإسعاد البشر وليس لإشقائهم.

رضا: لكم كتاب يعتبر من أهم كتب الفقه وهو كتاب «الوسيط فى الفقه» وهو عبارة عن مجموعة أجزاء شملت جميع أبواب الفقه.. سؤالى فى ظل التغيرات التى تحدق فى العالم الآن مارأيك فى تجديد الفقه بحيث يساير هذا التقدم الذى وصلته البشرية الآن؟

د العدوى: تجديد الفقه ليس هو الانتقاض على القديم وتغييره وإنما التجديد ينشأ مع تجدد نظام الحياة لأن الحياة يتجدد نظامها وبالتالى تتجدد المشاكل التى تواجه الناس وتحتاج هذه المشاكل إلى اجتهاد العلماء وتطبيق أساسيات الفقه وقواعده وأدلته على الحوادث المتجددة.

أما من يقول إن الإسلام دين إنسانى فهذا حق إذا كان المقصود أن الإسلام يواجه مشاكل الإنسان وإنه يقدم الحل لهذه المشاكل ويعلم الإنسان كيف يعيش فى حياته نافعا لنفسه وللناس وناشرا للخير ومجتهدا فى أداء واجباته وواجبات أمته عليه فهو إنسانى من هذه الناحية أما أن يقال أنه إنسانى من حيث أنه اختراع لفكر الإنسان فهذا هو الممنوع لأن الدين الإسلامى يعتمد أساسا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والإنسان يفهم من القرآن ويفهم من السنة وهذا عمل العلماء ويقرب هذا الفهم إلى العوام ويدعوهم إلى أن يكونوا فى جانب رضاء الله سبحانه وتعالى وهناك أحكام لايجوز مطلقا أن يتجاوزها المسلم وهناك أحكام هو بالخيار فيها وهذه حددها العلماء بالتفصيل.

وأما كتاب الدكتور سعد الدين الهلالى «إنسانية الدولة» فهو اجتهاد منه وكأى رأى للإنسان فيه ماهو مقبول وفيه ماهو غير مقبول والناس يختلفون فيما بينهم خاصة وأن الأمر فيه سعة.

رضا: لكم كتاب مهم بعنوان «قضايا معاصرة» وهذا الكتاب لكم فيه رأى بجواز التعامل مع البنوك فما حقيقة هذا الرأى ولكم فيه أيضا رأى فيما يتعلق فى الفرق بين مفهوم الجهاد كمفهوم إسلامى وبين مايدعيه الإرهابيون أنه جهاد؟

د العدوى: يرى بعض الناس أن القرض فى البنوك نوع من الربا لكن حقيقة الأمر عندما يأخذ مدخرات الأفراد يدخل بها فى أعمال تدر عليه مكاسب وأرباح فالبنك قد يكون عضوا فى شركات ويكون له أعمال فى إنشاءات خاصة بمنافع الناس بمعنى أن أموال البنوك لاتغلق عليها الصناديق وإنما تعمل فى مصالح الناس من أجل ذلك فإن مايدفعه البنك لصاحب المال هو جزء من الأرباح التى يحصلها البنك من مشروعاته التى تفيد الناس وتحديد الفائدة بمعنى ثباتها ليس تحديدا واحدا وقاطعا وإنما تتغير حسب الظروف الاقتصادية فأحيانا تكون عشرة فى المائة أو ثمانية فى المائة أو خمسة فى المائة إذا فهى فى الحقيقة تتغير بتغير الظروف الاقتصادية ورأيى أن معاملات البنوك هى معاملات حلال وليست قرضا بفائدة وإنما هو استثمار للمال يقوم به البنك لمصلحة صاحب المال والبنك يأخذ مقابل ذلك.

وأما مفهوم الجهاد الذى يقره الإسلام يكون من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا وذلك لا يكون إلا لخير الإنسان وخير العامة فالنظم التى وضعها الإسلام إنما شرعت لخدمة الإنسان أما الذين يفرضون على الناس مفهوما معينا بالضغط والإرهاب والإخافة فهذه لا يرضاها الله سبحانه وتعالى وليست جهادا فالمتطرفون ينفذون ما وضعوه لأنفسهم واعتقدوا أنه دين وأن ما يأتون به من إرهاب هو الجهاد.

رضا: لكم كتاب بعنوان «فقه الاجتهاد وأئمته الأعلام» تقول فيه فى ص ١٣ «الاجتهاد ليس دليلا مستقلا بذاته فى إثبات الأحكام كالشأن فى الكتاب والسنة ولكنه يجرى فى إطار القواعد الكلية التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله» ما معنى هذه العبارة وما أهمية الاجتهاد إذا كان النص موجودا؟

د العدوى: معنى هذه العبارة أنه ليس لأحد أن يتكلم برأى من تلقاء نفسه وإنما هذا الرأى لابد أن يكون محكوما بأوامر من الكتاب والسنة أى أن الإنسان لا يكون له رأى عما أراده الله وجعله شرعا منه سبحانه لكن المجتهد له شروط أهمها أن

يكون حافظا لكتاب الله وسنة رسوله وأن يكون دارسا لهما ويجب ألا يخرج على النصوص الواضحة باجتهاد من عنده فليس له أن يأتى ويقول سأساوى بين الرجل والمرأة فى الميراث لأنه يخالف نصا صريحا فى القرآن.

رضا: فى ختام حوارنا معك ماذا تريد أن تختم به؟

د العدوى: سأختم بهذا الحديث للرسول ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» هذا فيه الخير كل الخير.

ونحن نقوم بإجراء هذا الحوار لاحظت هذه الحميمية بين فضيلة الدكتور عبد الرحمن العدوى وبين أسرته فهم يتحلقون حوله تحلق السوار بالمعصم وحكى كل منهم لنا مالايمكن أن ندعه دون تعرف قرائنا لهذه التربية الرائعة التى تلقاها أولاده وبناته لذا فكانت هذه الأحاديث التى اخترناها من كلامهم.

الدكتورة رقية عبد الرحمن العدوى أستاذة القلب بطب الأزهر

- كنا نكلمه فى كل شىء وفى علاقاتنا مع زملائنا ومع الناس وكان يأتى متعبا من عمله ومع ذلك يجلس مع كل منا وحده ويسمع منه ولايتأفف.
- الوالد كان من أهم مايميزه تيسير الحلال فأذكر فى زيجاتنا لم يكن متشددا ولامتعسرا مع المتقدمين لنا وكان يترك لنا الرأى الأخير فى الموضوع.
- كان لنا جارة مسيحية كانت تحبنا جدا ونحبها وكان هو شديد الأدب معها ويجاملها فى كل مناسباتها وكانت هى تعتبر بيتنا هو بيتها.
- الأستاذة الدكتورة إكرام العدوى أستاذة علم النفس فى آداب عين شمس.
- مايبنى فى الطفولة يظل مع الإنسان طوال حياته فمن المشاهد المحفورة فى ذهنى أن الوالد كان يجمعنا جميعا ونتحلق حوله ونقرأ القرآن عليه يوميا وهو يصحح لنا فى أناة وصبر علينا وكانت ترابيزة السفرة نجلس عليها جميعا وهو يجلس بيننا ويظل معنا إلى أن نتهى تماما وتقوقنا فى اللغة العربية والنحو خاصة من اهتمامه بهذا.
- معظم وقته لبيته وأولاده وكانت هناك صورة لايمكن أن أنساها حينما يوقظنا

ونحن أطفال فى رمضان للسحور فكان يلبس عباءته الواسعة التى يختبيء كل واحد منا فيها من البرد وهو يربت بيده علينا جميعا ويقذف بالطعام فى أفواهنا.

ـ وكان تربويا فى التعامل معنا فلاأذكر أبدا أنه كان يتعامل معنا بالأمر ولكن بالتوجيه الرقيق فمسألة الحجاب هو شرح لنا أهمية الحجاب بالنسبة للمرأة وكيف أنه حافظ لها وتركنا لذا فكل منا كبنات له تحجبت فى وقت مختلف عن الأخرى لأننا اقتنعنا بكلامه ولقى صدى فى نفوسنا قالإكراه لايجوز فى هذه الأمور وهذه تعلمناها منه.

ـ فى اختيار تخصصات الدراسة كل منا اختار لنفسه مايريد من تعليم فأنا تخصصت فى علم نفس الطفل والدكتورة رقية أختى تخصصت فى القلب وأخى محمد فى الفيزياء.

ـ كان حريصا على تنمية مهاراتنا ومواهبنا فالأجازة ليست للعب فقط وإنما لتنمية المهارات فكنت أعزف الموسيقى فكان يشجعنى عليها وكنت أحب آلة الإكسيليفون فأخذنى لشارع محمد على واشترى لى آلة الإكسيليفون وأختى الدكتورة رقية تحب التفصيل اشترى لها ماكينة خياطة وهكذا.

ـ كمتخصصة فى علم النفس وعلم نفس الطفل خاصة أجد أن معاملة الدكتور عبد الرحمن العدوى لنا هى القواعد التى أدرسها لطلابى الآن فى الجامعة سواء للأطفال أو الشباب فجزاه الله عنا خيرا.

الأستاذ محمد عبد الرحمن العدوى أستاذ الفيزياء

ـ فى تعامله معنا كان شديدا بعض الشيء معنا كشباب أما معاملته مع البنات فكانت رقيقة لكن كنا نختار لأنفسنا دون إكراه منه وكان شديد القرب منا وكان يسمع منا ويناقشنا ويتحاور معنا دائما فى كل شيء.

ـ كان يعلمنا عندما نتعرض لشيء مهم كامتحان أو موقف صعب أن نردد كلمة.

«يا جواد».

أربع عشرة مرة وسوف يفرج الله ما أنت فيه وهذه أصبحت من مأثوراته التى نحرص عليها جميعا.

فى ليلة الامتحان كان يأخذنا جميعا فى مكان هادئ فى القاهرة أو فى زيارة لأحد المعالم وأذكر أنه كان يأخذنا إلى قصر البارون أو إلى مجموعة حدائق كانت فى مصر الجديدة حتى يخفف التوتر من الامتحان.

بروفايل

العلم والفقه والعقل والرشد عندما تجتمع فى إنسان ثم ينضم القلب بما هو مخزون فيه من مشاعر حية وإنسانية راقية وينضم إلى كل هذا تقى وتجرد وإخلاص وتفانى فإننا أمام نوع من البشر النادرين الذين ينظر إليهم كاللؤلؤ والمرجان من فرط الندرة هذا النوع الذى عقد عقدا متينا مع ربه بالطاعة ومع نفسه بالإخلاص ومع الناس بالحب فأضحت حياته مثالا فى كل أموره فقد رأيت عندما رأيته قصيدة شعر مكتملة المعانى وافرة الألفاظ مقفاة بالنظم المحكم وهذا ليس مدحا وإنما هو نوع من الوصف لما رأيت.

فلقد نشأ نشأة كريمة ملأ الطهر نفسه بحفظ القرن وكانت هذه الكلمة التى قالها له شيخ المعهد عندما اختبره فى القرآن كله «هذا الولد نزل من بطن أمه وهو يحفظ القرن» وكان المسجد الأحمدى هو الحاضنة الأولى التى تربى فى رحابها وكانت صوفية أبيه على الطريقة الشاذلية هى آلة الذكر بعد صلاة الفجر يوميا وكانت الانطلاقة والاختيار للمذهب الحنفى مذهب أهل الرأى على الرغم من أن والده كان شافعى المذهب وهذه إشارة لما كان عليه الناس وقتها فأبوه كان مقاول مبانى ومع ذلك كان يعبد الله بمذهب معين ثم كانت الجامعة برحابتها تأخذ هذا الشاب المؤهل وكان اللقاء بهذه الثلة من الأساتذة الكبار وكان اللقاء مع علم الأزهر الكبير الشيخ عبد المجيد سليم فى درس من دروس العمر فى سقرة قنا وما فيها من خبرة قد لا يجدها فى حياته وكانت مجموعة من النجوم النيرة فى مجال العلم والدعوة الدكتور عبد الحليم محمود وهذه القصة التى كان فيها اختيار الله له أن يبقى بجوار الحبيب المصطفى ﷺ بعدما أعلن عن إخلاصه بكونه جنديا من جنود الأزهر يجند حيث

مصلحة هذه المؤسسة العريقة وللإخلاص فوز وللتجرد لله سبحانه ثمن وفير فى هذه الذرية الطيبة فى هذه الشجرة الوافرة الثمر والوارقة الأغصان فالدكتورة رقية الأستاذة فى كلية طب الأزهر والدكتورة إكرام الأستاذة فى علم النفس بآداب عين شمس والأستاذ محمد الأستاذ فى القيزياة وهذه الحكايات الجميلة عن لون من ألوان التربية التى أنتجت أدبا راقيا وأخلاقا عالية ونفوسا زكية وأرواحا جميلة وكأننا فى بستان من بساتين الحكايات الجميلة التى كنا نقرأ عنها فإذا بنا نعاينها واقعا نراه بأعيننا.

لكن لابد من الابتلاء لكى ينقى الذهب الخالص من شائبة قد تعلق به فهذا الرجل التقى النقى المتجرد يبتلى فى ولد من أولاده يتعرض لحادث سير بعد زواجه بقليل فيصاب بشلل رباعى فيخير فى أدب زوجته التى اختارت الرحيل ثم يجهز له حياة يعيشها معه بكل تفاصيلها ويغمره بالحب والعطف ويوصى أولاده به إذا حل الرحيل ولايمر يوم إلا ويفرغ نفسه له ليبثه الرضا والقبول بالقدر والصبر الذى يوفى فيه الصابرون أجرهم بغير حساب.

لم تغيره السلطة حينما كان صوتا من أصوات أهل الحكم فى مجلس الشعب بل ظل محتفظا باحترامه لنفسه ولعلمه بل أنتجت قريحته قانونا كان طوق النجاة لمن جار عليهن الأزواج وهو قانون الخلع الذى تعرض فيه لإساءات لكن عزاءه أنه كان سببا فى التخفيف على كثير من النساء ممن لم يطقن أن يعيشن تحت سقف واحد مع من يكرهون.

تحية إكبار لهذا العالم الجليل الذى اقترب من سنواته المائة قضاها علما وبحثا وتدريسا وكانت السياسة هامشا لم ينل منه إلا قليلا.

أمد الله فى العمر وبارك فى الصحة والعافية.

ختاما

هذه اللقاءات مع هذه الشخصيات التى تمثل شريحة من شرائح أهل العلم والفكر وهم علماء الدين راعيت فيها أن تكون ممثلة عن جميع العلوم الدينية الإسلامية فمنها العالم فى العقيدة والذى يتعرض من خلال كتبه وأبحاثه إلى الفكر بشكل عام فلابد أن يكون دارسًا للفلسفة والفكر وهذا الاتجاه يمثله الأستاذ الدكتور محمود مزروعة ومنها عالم الحديث والسنة النبوية رواية ودراية وهذا الاتجاه يمثله فى الكتاب الأستاذ الدكتور الأحمدى أبو النور والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، ومنها عالم الفقه وأصوله الذى يعلم كل ما يتعلق بالفقه مذاهبه وكيفية ظهوره وكيف يمكن الاستنباط للأحكام من مصادرها المختلفة وهذا الاتجاه يمثله الأستاذ الدكتور أحمد طه ريان، ومنها أستاذ الدعوة ومناهجها وكيفية الوصول للناس بطريقة سهلة وهذه يمثلها فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم أكبر علماء الأزهر سنًا قبل وفاته ـ رحمه الله ـ ومنه علم القراءات وتحفيظ القرآن الكريم وهذه يمثلها قطب القراءات وعالمها الأول فى مصر وشيخ المقارئ المصرية فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف ـ رحمه الله ـ ومنها عالم الدين الذى درس اللغة العربية وعلومها لكنه مسئول عن أكبر جمعية خيرية إسلامية فى البلاد وهذه يمثلها الأستاذ الدكتور محمد المختار المهدى رحمه الله.

ويمكن أن نجمل ما رأيته يسهم فى إثراء الفكر والعلم من خلال الحوار مع هذه الشخصيات فى هذه النقاط:

١ ـ عرض لتاريخ مرحلة مهمة من تاريخ مصر الحديث من خلال هذه الشخصيات فكل واحد منهم عرض لحياته فى المكان والزمان الذى نشأ وتربى فيه فرسم

صورة لمصر، فهذا يصور القاهرة قبل ثورة يوليو وكيف كانت أجمل مدن العالم كما قال الدكتور الأحمدى أبو النور وذاك يصور الريف المصرى وكيف كان يعيش الفلاح قبل ثورة يوليو كيف كان يعيش الناس فى ظل الإقطاع كما قال الدكتور محمود مزروعة والثالث يتحدث عن الحالة الدينية فى مصر قبل وبعد ثورة يوليو كما قال الشيخ معوض عوض إبراهيم أكبر علماء الأزهر سنًا وكيف كانت القيم هى التى كانت سائدة قبل أن تطغى المظاهر فقط وتذوى تلك القيم.

٢ ـ عرض لفكر مجموعة من العلماء الكبار فى جميع العلوم الإسلامية وكيف يفكر كل عالم من هؤلاء العلماء الكبار، ومحاولة منى قائد دفة الحوار أن أستخرج من كل منهم جل ماعنده بعضهم كان من اليسير الوصول إلى ذلك وبعضهم كان يعرض موضوعاته بتقص ولكن حاولت رغم ذلك الوصول إلى مبتغاى فى النفاذ إلى مايريد أن يقول.

٣ ـ السياسة دست أنفها فى حياة هؤلاء العلماء بحيث كانت على اختلاف الدرجة ففى واحد منهم كانت سببًا فى غياهب السجون وضياع إحدى عينيه بل وضياع أفدنة الأرض فى الإصلاح الزراعى، والثانى كانت سببًا فى كرسى مجلس الشعب ورئاسة اللجنة الدينية والثالث كان معتزا بأزهريته تجاه عواصف السياسة والرابع كان موازيًا لها لا له ولا عليه منها لكنها فى النهاية كانت فاعلة وكانت ذا آثار سيكتشفها قارئ الكتاب على معظم هذه الشخصيات بالسلب أو بالإيجاب هذا ما سيحكم عليه أثناء قراءة الحوارات وتعليقاتنا عليها.

٣ ـ لا أخفى كمحاور أننى قد أعجبت بهم جميعًا لكن لا أخفى أيضًا ـ رغم احترامى الشديد لهم ـ أننى اختلفت مع بعضهم فى بعض آرائهم وحاولت فى الكتاب أن أرد برأى لأحد العلماء فى المسألة محل الخلاف كمسألة الردة أثناء حوارى مع الأستاذ الدكتور محمود مزروعة أو مسألة قروض البنوك مع العلامة الأستاذ الدكتور أحمد طه ريان لكن يبقى أن الخلاف فى هذه الآراء يثرى الفكر ويفتح للناس مجالًا للاختيار الأوسع فى مجالات الحياة المختلفة.

٤ ـ «رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى يحتمل الصواب» هذه المقولة للإمام الشافعى تحققت فى معظم هذه الحوارات لكن أحيانًا كانت تُنسى فى غمرة توحد العالم مع رأيه واعتباره أنه الرأى الأصح وهذا مايجده القارئ لهذه الحوارات والحقيقة أن هذه آفة الفكر التى يقع فيها أحيانًا من يشتغلون بالفكر والعلم....

هذا كتابى الأول من سيرة ومسيرة بعنوان «علماء الدين بين ثوابت الدين وعواصف السياسة».

الكتاب الثانى من سيرة ومسيرة بعنوان «حوارات مع قادة الفكر حول الفلسفة والعلم والدين».

والحمد لله رب العالمين.

ملحق الصور

الشيخ معوض إبراهيم وأنا بجانب أذنه حتى يسمعنى والشيخ أحمد ربيع يجلس عند قدمه

وهو يشرب القهوة

ونحن نتحدث قبل الحوار مع الشيخ معوض

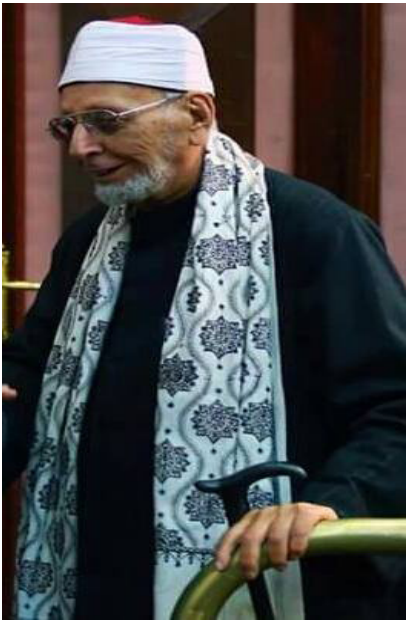

الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف شيخ مقارئ مصر السابق رحمه الله

مع الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم

الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم

مع الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف أثناء إجراء الحوار الإذاعى

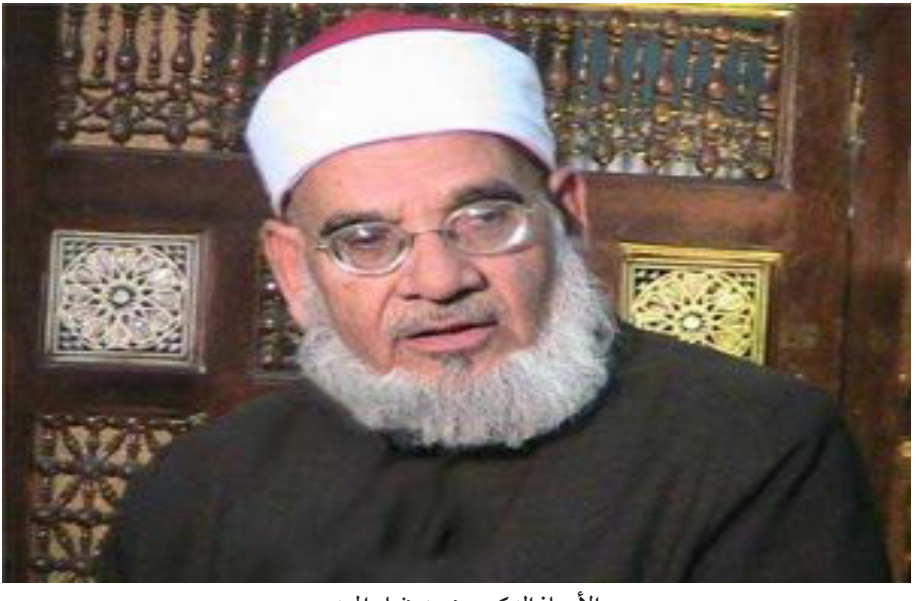

الأستاذ الدكتور محمد مختار المهدى

الأستاذ الدكتور الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف الأسبق

للكاتب وهو يجرى الحوارات

الدكتور أحمد طه ريان

الدكتور محمود محمد مزروعة

الدكتور عبد الرحمن العدوى

الكاتب وهو يجرى الحوار